٣ قروش

المختار
من ريدرز دايجست

فى كل مقالة لذة دائمة

هل تستطيع العصابات أن تحرر إسبانيا	مجلة «كوليرز»	١
ما الذى تعرفه عن الرجال؟	مجلة «ومانزهوم كومبانيون»	٦
سفينة الجحيم	إيرا ولفرت	٨
كن سيد عملك — ٣ —		١٤
النازى يدفنون مصانعهم فى جوف الأرض	مجلة «ذى أميركان ميركيورى»	١٦
الطفل الفاسد يبعث بعثاً جديداً	مجلة «سرفاى جرافيك»	٢١
جحيم يتفجر فى كنساس	مجلة «الكيمياء»	٢٧
الجمد فى الطريق إلى موسكو	مجلة «ستردای إفننج بوست»	٣٢
الرجل الذى لم يرد أن يموت	مجلة «نيويورك صن»	٣٩
الفتق — إماطة اللثام عن حقيقته	بول دى كروف	٤١
نيمتز وقواده البحريون	مجلة «هاربرز»	٤٥
هذه هى طبائع البشر		٥٢
قضية القنصل القتيل	أنتونى أبوت	٥٤
السير توماس بيتشام وأساليبه الغريبة	مجلة «لايف»	٥٦
قهر أعظم عدو فى المحيط الهادى «المرض»	«ذى أميركان ليجيون مجازين»	٦١
الرجل الذى صنع المطاط	مجلة «فيوتشر»	٦٦
الآن يمكن أن تروى القصة	مجلة «تركولور»	٧٢
نم فى رعاية الله	مجلة «جود هاوسكيبنج»	٧٨
نصف مليون يابانى من المخلفين	مجلة «ليبرتى»	٨٠
إيقاد نار	جاك لندن	٨٤
تآلف الحيوان	مجلة «نيتشر»	٨٩
وفر إنتاجك «مشروع زراعى لسكان المدن»	مجلة «بترهومز آند جاردنز»	٩٢
لحية جوزيف بالمر	مجلة «ذى أميركان سكولار»	٩٧
مكتبة «الطريق إلى الرق»	فردريك ا. هايك	١٠١

يونيو ١٩٤٥

يوزع من مجلة ريدرز دايجست اثنا عشر مليون نسخة تطبع فى خمس لغات. إن الطبعات الانجليزية تصدر فى الولايات المتحدة الأمريكية و بريطانيا ومصر والصين واستراليا والهند. والطبعة الأسبانية تباع فى ثمانية عشر بلداً من البلدان المتكلمة باللغة الأسبانية فى أمريكا اللاتينية. والطبعة البرتغالية تباع فى البرازيل والبرتغال. والسويدية فى السويد. وهذا هو العددُ الثانى والعشرون (العاشر من السنة الثانية) من الطبعة العربية. وقد وُزِّعت نسخهُ فى مصر وفلسطين وسوريا ولبنان وشرق الأردن والعراق والمملكة العربية السعودية واليمن وسائر الجزيرة. ويرجو المحررون أن تنال هذه المجلة رضاك ويسرُّهم أن يتلقوا ما يبدو لك من ملاحظة أو نقد أو اقتراح بتحسينها و إتقانها

READER'S DIGEST

(Reg. U.S. Pat. Off. Marca Registrata)

تصدر شهرياً فى بليزانتفيل، نيويورك، بالولايات المتحدة الأمريكية — وتصدر طبعات انجليزية، وأسبانية، وبرتغالية، وسويدية، وعربية — وتصدر دار الطباعة الأمريكية للعميان بلويزفيل كنتكى طبعتين للعميان إحداها طبعة «برايل» وأخرى على «أقراص مسجلة».

قسم التحرير: رؤساء التحرير — ده ويت ولاس، ليلى أتشيسون ولاس

سكرتير التحرير: كنيث و. باين، مدير التحرير: الفريد س. داشيل

قسم الإدارة: المدير العام — ا. ل. كول، المدير المساعد — فرد د. طمسون

الطبعة العربية: — التحرير والإدارة: ١٦ — شارع شامبليون بالقاهرة. تليفون: ٥٧٨٩٣

المدير العام ورئيس التحرير: فؤاد صروف

مصر والسودان — ثمن النسخة ٣ قروش صاغ — قيمة الاشتراك السنوى ٣٠ قرشاً صاغاً

فلسطين وشرق الأردن ٣٥ ملاً — العراق ٣٥ فلساً — سوريا ولبنان ٣٥ قرشاً

الاشتراك السنوى ما يعدل ٤٠ قرشاً مصرياً

الطبعات الدولية — المدير العام: باركلى أتشيسون

حقوق الطبع ١٩٤٤ محفوظة لريدرز دايجست أسوسياشن انكوربوريتد. جميع الحقوق ومنها حقوق الترجمة محفوظة للناشر، فى الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا والمكسيك وشيلى والبلدان المشتركة فى اتفاق حقوق الطبع الدولى واتفاق حقوق الطبع للجامعة الأمريكية. ولا يجوز إعادة طبع شىء من هذه المجلة بغير استئذان الناشرين.

المختار
من ريدرز دايجست
كتاب فيه لكل يوم مقالة محكمة الإيجاز باقية الأثر
السنة الثانية يونيه ١٩٤٥ المجلد ٤ العدد ٢٢

هل تستطيع العصابات أن تحرّر إسبانيا الفاشية؟

عزم المحاربون القدماء، الذين شنوا أول حرب على الفاشية، على أن يحوزوا النصر الأخير.

بقلم ألان ...... ملخصة عن مجلة "كوليير"

أخذت جيوش فرانكو تسير تحت شمس إسبانيا الحامية مارّة بالمنصة التى وقف فيها العارضون فى أوفيدو، عاصمة إقليم أستوريا فى شمال غرب إسبانيا، على حين كانت فرق الموسيقى تعزف ألحان حزب الفلانج على مسامع الألوف المجتمعة هناك بأمر من الحزب. كان ذلك فى يوم ١٧ يوليو سنة ١٩٤٣، وهو يوم العيد السنوى السابع لثورة القواد الإسبان على الجمهورية الإسبانية. ووقف موظفو القنصلية الألمانية على منصة العرض، وقد أرهفوا أسماعهم حين عزفت إحدى الفرق المارة النشيد الوطنى الألمانى، وهتف الفلانجيون ورفعوا أذرعتهم بالتحية النازية الفلانجية، وكان يوماً مشهوداً.

وكان يقف فى صفوف الجانبين ثلاثة رجال قد أرسلوا إلى أوفيدو ليستوثقوا من أن الاحتفال كان قد استأثر بالتفات الجيوش ورجال الشرطة، ولو كان رجال شرطة فرانكو أشد يقظة لتبينوا أنهم من عمال المناجم، ولخامرهم الشك فى أنهم من جواسيس عصابات بيبون دى لا كامبا، وبيبون إذا وقف على قدميه الناعلتين يبلغ طوله ست أقدام وأربع بوصات، وهو يقود أكبر جيوش العصابات وأشدها بأساً فى إسبانيا.

وبينما كان الفلانج يلهون فى أوفيدو هبط بيبون ورجاله من جبال أستوريا وأحاطوا بمدينة سان استبان دى پرافيا على مسافة ٣٥ ميلا، وفتحوا أبواب السجون،

وأطلقوا سراح جميع المسجونين السياسيين المناوئين لفرانكو ، وجمعوا كل عربات النقـل وسياراته الموجودة فى النـواحى المجاورة ، وأخذوا من دار الصنعة الضخمة كل بندقية ورصاصة وقنبلة .

وألغى فجأة الاحتفال فى أوفيدو ، وأسرعت الجنود إلى سان استبان دى برافيا ولكنهم حين وصلوا كان بيبون قد انصرف وكانت الذخائر قد سلبت ، وكان المسجونون السياسيون قد فروا ، وخرج معهم ٣١٤ رجلا من أهل المدينة وانضموا إلى رجال العصابات .

وبيبون هو أكثر قادة العصابات اليوم فى إسبانيا نشاطاً ، وهو باعث الرعب فى قلب جيوش فرانكو فى أستوريا . وكلما قدرت مكافأة جـديدة كبيرة لمن يأتى به حياً أو ميتاً ، يقدّر هو مكافأة مقدارها قرش « لمن يأتى بفرانكو ميتاً أو حيا ، والأفضل أن يكون ميتاً » . ويقدر عدد الرجال الذين يقودهم باثنى عشر ألف رجل ومعظمهم من عمال المناجم السابقين الذين يفخرون بقدرتهم على حمل الديناميت ، وبأنهم يحسنون الرماية أيضاً .

وعمال المناجم يكرهون فرانكو لما فعله فى إسبانيا ، ولأنه قاد المغاربة الذين أخمدوا حركة إضرابهم سنة ١٩٣٤ ، وقتل حينذاك مئات من عمال المناجم العزّل ، والباقون منهم لم ينسوا له ذلك ، ولكنهم لم ينفردوا وحدهم ببغض فرانكو ، فكثير من جنود الجمهوريين ، بعد هزيمتهم فى سنة ١٩٣٩ ، لاذوا بالجبال جماعاتٍ صغيرة . وفى السنتين الأولين كانت كل جماعة لا تتجاوز العشرة ، وكانوا يغيرون إغارات ضئيلة على مراكز الجيش ومستودعات التموين . ولما كان هتلر يجتاح أوربا كان موقفهم يبعث على اليـأس ولكنهم لم يستسلموا .

وفى بادىء الأمر أخـذ عددهم يزيد فى بطء ، ولما اشتدت وطأة طغيان فرانكو تكاثر عدد الذين انضموا إلى رجال العصابات من الإسبانيين ، فقد كانت إسبانيا فى مجاعة ، وجعل فرانكو حالة إسبانيا الإقتصادية خاضعة لحاجات الألمان ، وسادت الفوضى .

ومات من المرض والمجاعة فى إسبانيا بين سنة ١٩٤١ إلى سنة ١٩٤٤ عدد من الناس أكثر ممن ماتوا فى أى قطر آخر من أقطار أوربا ، وكانت نسبة عدد الموتى من المدنيين أعلى نسبة فى أوربا ، بما فى ذلك البـلاد التى اجتاحتها الجيوش مثل يوجوسلافيا واليونان . وبالرغم من أن الحرب الإسـبانية وضعت اوزارها منـذ سـنة ١٩٣٩ ، فإنه لم يكن هناك إصلاح ولا إحياء ، فأسعار الضروريات باهظة ،

والعمال الذين يبلغ أجرهم نحو ٢٠ قرشاً عليهم أن يدفعوا ٢٤ قرشا ثمناً لاثنتى عشرة بيضة .

ومعظم المصانع الجديدة يملكها الألمان ، فقد كان الألمان يحتلون إسبانيا ، هذه هى الحقيقة وإن كتمت ولم تذع ، وبالرغم من اقتراب هزيمة ألمانيا ظلت إسبانيا محتلة . والشركات المساهمة فى إسبانيا ، وعددها اليوم ٤٨٠٠ شركة ، منها ٩٨٧ يسيطر عليها أصحاب الأموال من الألمان سيطرة تامة ، ويقدر عدد الشركات التى يشرف عليها مديرون من الألمان بألفين .

ومن عهد قريب فى الصيف الماضى أنشأ الاتحاد الكيميائى الألمانى الضخم ! . ج . فاربن أربعة مصانع كيميائية فى مدريد ، وفى خلال سنة ١٩٤٤ أتم إنشاء مصنع لعمل الزيت الصناعى قرب قرطبة ومصنعاً للمغنسيوم فى سانتاندر . والشركات الألمانية لصناعة الفولاذ والنسيج تسيطر أيضاً على مصانع الذخيرة ومصانع النسيج والمناجم .

ورجال العصابات يعرفون ذلك ، فصاروا يبذلون الجهود بعد الجهود ليمنعوا النحاس والولفرام والزئبق والحديد والفحم والقنابل والبنادق والدبابات وآلات الطائرات التى تصنع فى إسبانيا من أن تصل إلى جيوش هتلر ، فكانوا يخربون السكك الحديدية ، وينسفون الجسور ، ويعرقلون العمل فى المصانع التى يملكها الألمان ، ويزودون أنفسهم بالأسلحة ليكونوا مستعدين لليوم العظيم حين يجىء .

وزعيمهم فى مقاطعة قشتالة رجل قصير القامة نحيف ، تبدو عليه سيماء العلماء ، يعرف بالمهندس . ومهما كان ماضيه — وهو غير معروف — فإن هذا المهندس من أقدر قادة العصابات فى إسبانيا ، وهو يعمل فى جبال وادى الرَّمل (جواديراما) منذ سنة ١٩٣٩

وحينما تعوزه المؤن يحصل عليها بفضل هذا الدافع القوى الذى ميّز العصابات الإسبانية التى حاربت نابليون ، ففى السنة الماضية دخل « المهندس » وجماعة من رجاله مدريد راجلين ، وهم فى ملابس العمل ، ويمموا شطر إحدى دور الأدوية الكبيرة ، فما هو إلا أن جردوا حراس المصنع من أسلحتهم . (ولم يقاوموا مقاومة كبيرة ، بل إن بعضهم تطوع ودل على المكان الذى يُحفظ فيه أحسن الأدوية) وحمّل المهندس ورجاله ثلاث سيارات للنقل من سيارات الشركة ، وعادوا أدراجهم إلى مقر قيادتهم . واستعملوا هذه الطريقة نفسها فى الحصول على ملابس من مخزن مارتينيز كوروس وهو من أكبر مخازن مدريد .

وبعد غزو الحلفاء شمال إفريقية، استولى ٥٠٠٠ من رجال العصابات على مدينة مالقة فظلت فى أيديهم ٤٨ ساعة بعد معركة حامية، وكانوا يرجون أن ينزل الأمريكيون فيها ويساعدوهم فى تحرير إسبانيا، ولكنهم يئسوا أخيراً من المساعدة وانسحبوا.

فإذا شئنا أن نقدر ما يرجى من قيام الشعب بثورة ناجحة ضد فرانكو (لا استبدال حزب حربى بفرانكو وحسب) فينبغى أن نتذكر أننا إذا استثنينا بعض نواحى اليونان ويوغوسلافيا، فلن نجد بقعة من أوربا ذات شأن حررها مجهود المجاهدين فى الخفاء وحدهم. نعم لقد استطاعوا أن يقوموا بأعمال التخريب فى المصانع، وهاجموا دور الصنعة، ونسفوا الجسور، ولكنهم لم يستطيعوا هزيمة عدو مزود بأسلحة الحرب الحديثة جميعها، إلا بعد أن قدم لهم الحلفاء مساعدة صالحة، هى جيوش الغزو.

والإسبان المقيمون فى فرنسا قوة لها خطرها، وقد تتولى هى مهمة الجيش الغازى، فإن أكثر من ٥٠٠,٠٠٠ من الجمهوريين عبروا الحدود من إسبانيا إلى فرنسا فى سنة ١٩٣٩ بعد هزيمتهم، وكثير منهم تفرق فى مختلف نواحى العالم، ولكن ربما كان عدد الباقين ٣٥٠,٠٠٠، ومن هؤلاء ٥٠,٠٠٠ حاربوا مع الأنصار الفرنسيين لتحرير البلاد، ولقد كانوا هم نواة القوة الفرنسية فى جنوب فرنسا لتمرسهم بفنون الحرب، وكان عددهم ثلاثة أضعاف عدد الفرنسيين، وقد ساعدوا فى تحرير مدن مثل مرسيليا وبربينيان وبوردو. ولما استولى الأنصار على دار البلدية فى باريس، كان الإسبانيون فى طليعة الذين بذلوا أرواحهم، وكان الإسبانيون يقودون بعض دبابات الجنرال جاك ليكلير التى كانت تحمل اسم وادى الحجارة ومدريد، والتى اجتازت شوارع عاصمة فرنسا المحررة.

والهيئة التى تحرك الإسبانيين الذين يعملون فى الخفاء، هى المجلس الأعلى للاتحاد القومى الإسبانى، وهو مؤلف من ممثلى الجماعات المعادية لفرانكو، من أحزاب اليمين الكاثوليك إلى أحزاب اليسار الفوضويين والشيوعيين، وبين الطرفين نجد أحزاب الاشتراكيين والجمهوريين والوطنيين، وبين هؤلاء وهؤلاء الجناح الأيسر للاشتراكيين من بلاد الباسك وولاية قطلونية، وقد أنشأ المجلس الأعلى مجالس محلية بلغ عددها اليوم ٩٠٠ مجلس.

وأهم حادثة سياسية فى إسبانيا فى السنوات الأخيرة هى انضمام الحزب الشعبى الكاثوليكى إلى المجلس الأعلى فى سنة ١٩٤٣، وهذا

الحزب يمثل جماعات الكاثوليك من الطبقة المتوسطة واتحادات الكاثوليك ، وهم أفقر الإسبانيين وأكثرهم شقاء . وقد ناصر كثير من أعضاء هذه الجماعات فرانكو ، مؤمنين بأنه كان « يحارب البلشفية في سبيل المسيحية » ، وموقفهم في الوقت الحاضر ، مضافاً إليه ولاء الكاثوليك من بلاد الباسك ، يبطل ادعاء فرانكو أن كاثوليك إسبانيا يناصرونه ، إذا استثنينا بعض الأعضاء الأقوياء من رجال الكنيسة .

وبرنامج المجلس الأعلى يشمل ما يأتي : قطع جميع العلاقات الاقتصادية والسياسية بينهم وبين ألمانيا ، وإعادة حرية الصحافة والنشر وحرية الدين ، والبدء في إعادة إنشاء كيان إسبانيا الاقتصادي ، وإنشاء جمعية استشارية لعمل ميثاق دستوري يضمن حرية إسبانيا ، على أن يقر الشعب هذا الميثاق بانتخابات حرة ديمقراطية .

وقد حارب الجمهوريون الإسبانيون الفاشية زمناً أطول مما حاربتها أية قوة أخرى في العالم ، فهم يحاربونها منذ سنة ١٩٣٦ ، وهم مصممون في هذه المرة على أن لا تفلت منهم الحرية . وقد برموا بتلك الأساليب المختلفة التي يحلم بها رجال السلك السياسي لإعادة الملكية إلى إسبانيا .

وفي الوقت الحاضر تجد كثيراً من قادة الجمهوريين في المنفى ، ولم يستطيعوا أن يصلوا إلى اتفاق يضمن مستقبل إسبانيا . وقد يكون جوان نجرن ، آخر رؤساء الجمهورية ، هو أمل أهل إسبانيا ، لأنه هو وحده الذي يستطيع أن يضم شمل الأحزاب المختلفة ، ولكن لا ريب في أنه ليس في وسع زعيم جمهوري أن يحكم البلاد آمناً دون أن ينتهي إلى اتفاق مع المجلس الأعلى ، فإذا لم يتم بينهما اتفاق ما ، وحل محل فرانكو حكومة انتقال لا يؤيدها المجلس الأعلى ، فإن أهل إسبانيا المنهوكين الساغبين الذين لا يريدون حرباً أهلية سيضطرون برغم ذلك إلى إشعال نارها ، وإنهم ليذكرون إخوانهم الذين ماتوا ألوفاً على حدود مدريد وهم يرددون : « ستكون مدريد مقبرة الفاشية » وقد وطنوا أنفسهم مرة ثانية على الموت حتى يحققوا صدق هذه الكلمات .

الديكتاتورية : هي نظام في الحكم يجعل كل مالم يحرَّم على الناس أن يفعلوه فرضاً واجباً أن يفعلوه .

[منشستر جارديان]

ما الذى تعرفه عن الرّجال؟

أمرام شينفلد

ملخصة عن مجلة "ومانز هوم كومپانيون"

لم يزل النساء يعتقدن أنهن يفهمن الرجال خيراً مما يفهمهن الرجال. وربما كان ذلك، بيد أن العلماء قد وقعوا فى السنين الأخيرة على بعض حقائق تتعلق بالرجال لن يدهش لها النساء فحسب بل الرجال أنفسهم

فإذا قرأت ما يلى فتبيّن لنفسك ما هو الصحيح منها وما هو الخطأ — على أن تذكر دائماً أننا إنما نتحدث عن الأوساط من الرجال. فإذا أصبت في الإجابة على نصف المسائل المطروحة، فقد أحسنت

أجسام الرجال أكمل وأمتن بناء من أجسام النساء

خطأ. إن الذكور يولدون وفيهم من عيوب البدن وضعف البنية أكثر مما فى الإناث، وأجسامهم أكثر قبولا للخلل، وأقل منها كفاية فى العمل من الوجهة الكيميائية وجسم الرجل لا يفوق جسم المرأة إلا فى نمو العضل وحسب.

الرجال أسرع إلى الهرم من النساء

صحيح. جسم الرجل فى الأحوال العادية أسرع إلى الفساد، فهو من الوجهة الحيوية أكبر سناً من امرأة فى مثل سنه، وهو أقل منها مقاومة لأغلب الأمراض. فإذا أضفنا إلى ذلك المخاطر الأخرى فهو أقل منها فسحة باقية فى الأجل

أثبت الاختبار أن ذكاء المرأة كذكاء الرجل

خطأ. الذكور خير من الإناث فى المسائل الميكانيكية والحسابية والعقلية المجردة. والنساء خير منهم فى اللغات والحفظ عن ظهر قلب، وفى شئون الاجتماع وذوق الجمال.

مسائل تثبت أن الرجال والنساء جميعاً لا يعرفون كل الحقيقة عن الفروق بين الجنسين

—— **** ——

ومن أجل هذه الفروق كان غير ممكن أن يقارن بين ذكاء الجنسين بالعدل

الرجال أهدأ عاطفة من النساء

صحيح. أجمع خمسون بحثاً من خير الأبحاث النفسية الحديثة على أن اعتدال العاطفة فى النساء أقل منه فى الرجال

الرجال أقل ميلا إلى هياج الأعصاب (الهستريا) من النساء

خطأ. فى أثناء قذف لندن بالقنابل كانت حالات هياج الأعصاب بين الذكور من المدنيين أكثر منها بين النساء، وكان الذكور الذين يعالجون منه أبطأ شفاء من الإناث.

الرجال أشد ميلا إلى الانتحار من النساء إذا واجهتهم أخطار مهددة أو آلام شديدة

صحيح. إن معدل الانتحار بين الذكور أربعة أضعافه بين الإناث، ويكاد يكون فى السن العالية ثمانية أضعافه بين الإناث. وربما كان ذلك لأن الرجال قد شكلهم المجتمع بحيث ينظرون إلى إخفاقهم نظرة أكثر جِداً، أو لأن المرض أثقل وطأة عليهم. وإذا كانت هذه الحقيقة، ثم

الحقيقة الأخرى وهى أن الرجال أكثر ميلا إلى هياج الأعصاب، تبدو كأنها لا تلائم ما أوضحناه من أن النساء أحدّ عاطفة، فاذكر قصة القصبة التى سلمت على الزوبعة على حين تحطمت لها الشجرة العظيمة. فالنساء باستسلامهن للعاطفة ينحنين للشدة، أما الرجال فقد تنهار لها قوامهم لأنهم أصلب عوداً.

الرجال أقل تمييزاً للألوان من النساء

صحيح. إن عمى الألوان هو فى الرجال ثمانية أضعافه فى النساء. والاهتمام بالألوان أسرع ظهوراً فى البنات منه فى الأولاد.

الرجال لا يحتملون الحرّ والبرد أو التعرض الشديد للجو كما تحتمله النساء

صحيح. أجسام النساء مبطّنة بطبقات من الشحم وتؤدى وظائفها الغددية والكيميائية على وجه أتم.

حواس الرجال أقل رقة من حواس النساء

خطأ. إن أدق الاختبارات العلمية لم تظهر أى فرق يذكر فى التأثر بالألم أو فى حواس الشم أو اللمس أو الذوق.

الرجال عامة أقل مهارة يدوية من النساء

صحيح. وجد فى اختبارات المواهب أن النساء خير منهم فى الحركات الدقيقة. ويظهر هذا الفرق منذ الصغر فإن البنات يستطعن أن يزررن ملابسهن ويدرن أكر الأبواب بأسرع مما يفعل الأولاد.

الرجال يرثون من المواهب فى الفن والموسيقى أكثر مما ترث النساء

خطأ. كلا الجنسين سواء فيما يرى من نبوغ يورث، بيد أن المؤثرات الطبيعية (ومنها وظائف الأنثى وحمل الأولاد وقصور الهمة) والقيود الاجتماعية أيضاً، تمنع النساء أن يُظهرن من نبوغهن مثل ما يظهر الرجال.

الرجال أعمق نوماً من النساء

خطأ. الذكور من الأطفال أكثر قلقاً فى نومهم ولا ينامون قدر ما ينام البنات وهذا الفرق يميز بين الجنسين فى سن البلوغ

الرجال أقل بصيرة وبديهة من النساء

صحيح. البنات منذ الصغر أكثر ملاحظة للناس وإدراكا لهم من الأولاد، وكلما كبرن نمت تلك القوة فيهن، ويساعد على نمائها حاجة الأمهات لتفهم أطفالهن وتفهم المرضى — والأزواج.

الرجال أقل اهتماماً بمظهرهم من النساء

خطأ. يمتنع الرجال فى أمريكا وأوربا فقط — من جراء الانقلابات الاجتماعية فى القرن الماضى — من إبداء اهتمام كبير بملابسهم أما الرجال فى أغلب بلاد العالم فهم كالنساء غروراً واهتماماً بالملابس، وكثيراً ما ينفقون من الوقت والمال على مظهرهم أكثر مما ينفق النساء

فى حرم المحكمة

كانت السيدة التى دعيت إلى منصة الشهادة فى المحكمة جميلة ولكنها جاوزت عهد الشباب. فقال القاضى الكريم الأخلاق: «دعوها تبدأ بذكر سنها، ثم تقسم اليمين» [صحيفة «بوسطن پوست»]

سفينة الجحيم

إيرا ولفرت

أمريكيان نجوا من سفينة سجن يابانية أصيبت بطربيد يرويان قصتهما الصحيحة المفزعة

قصة «نَقْب كلكتا الأسود» تبوأت مكانها فى التاريخ زمناً طويلا ، ولكن هذه الحرب قد أنشأت قصة أمريكيين أشد منها هولا .

ويرويها اثنان من الذين نجوْا ، هما الجاويش البحرى فرل دوايت كتر وعمره ٢٦ سنة من كولورادو ، واونى إزورث كلم وعمره ٢٥ سنة وهو من تكساس .

قال كتر : « أخرج ٦٥٠ رجلاً منا من المعتقل اليابانى فى لاسانج فى جزيرة مندناو فى الفلبين وصفّونا خمسة خمسة ، وعقدوا بعروة سراويل مَن كان فى أطراف الصفوف حبلا سمكه نصف بوصة ، ومن لم يكن يلبس سراويل عُقد الحبل على معصمه ، فإذا كان المعصم مقروحاً ترفقوا بصاحبه — فعقدوا الحبل حول عنقه .

وكان لنا فى الطريق متسع حتى نتفرّق ونمشى على راحتنا ، ولكنهم كانوا يشدون الحبل شدا محكماً حتى يزحم بعضنا بعضاً ، وجشّمونا المسير على هذا النمط ميلين ونصف ميل إلى حيث كانت تنتظرنا إحدى سفن الشحن ، وكان بعض الزملاء يظلعون فى سيرهم من جراء القروح التى فى أقدامهم ، وأصيب بعضنا بالملاريا ، وأصاب اثنان أو ثلاثة مس من الجنون ، فكانوا لا يكفون عن الصياح .

ولم يكن أحد منا فى تمام عافيته ، وكنا قد قضينا جميعاً فى أسر اليابانيين ما لا يقل عن ٢٩ شهراً ، تنقلنا خلالها من معتقل إلى آخر ، وأخيراً حملنا إلى سفينة السجن وحشرنا فى عنبرها .

وقال كلم : « نعم لقد حشرنا حشراً ، فقد جئت فى جماعة يبلغ عددها مئة من مطار معسكر ماتينا ، وحشرنا مع ٦٥٠ رجلا ، وكان كل منا يتكىء على صاحبه أو يضطجع على بدنه ، وكان الهواء كثيفاً كريه الرائحة ، فلم يمض يوم أو بعض يوم حتى كان أشدنا أيْداً قد خارت قواه ، فاستلقينا وقد نال منا الإعياء » .

وقال كتر : « كان إلى جانبى فتى قد أصابته الملاريا ، وقد بلغت درجة حرارته نحو ٤٢ ، وأنا أكاد أكون خبيراً بالملاريا فقد أصبت بها ٤٨ مرة منذ دخلت باتان ،

وكل ما أعطانيه اليابانيون من حبوب الكينا فى هذه المرات جميعها هو ١٦ حبة لأعالج بها نفسى (*) .

وقلت : « أيها الرّفاق ، إن هذا الفتى قد بلغ منه المرض وعلينا أن نعدّ له مكاناً ينام فيه » وأخذنا نتدافع ونتزاحم حتى أفسحنا له مكاناً يأويه .

« وبعد فترة اهتدينا إلى طريقة ، وذلك بأن نتناوب النوم فينام أحدنا ساعة فى النهار وأخرى فى الليل ، ثم يأخذ نوبته واقفاً ثم جالساً على ركبتيه ثم متربعاً ، كما يجد راحته ، ثم يأخذ نوبته فى الجلوس محتبيا ، وظللنا نفعل ذلك ١٨ ليلة و ١٩ يوماً » .

وقال كلم : « وفى بادئ الأمر قلنا « يارب متى ينتهى هذا ؟ » ولكن بعد هنيهة لم نعد نفكر فى الأمر فقد تبلّدَ حسُّنا » .

وقال كتر : « وكان يقدم لنا الطعام مرتين فى اليوم ، فكانوا يدلون لنا الطعام فى الدّلاء ، وكانت كل وجبة من الأرز المغلى ونحو أربع أوقيات من الحساء الخفيف لكل رجل ، وعند اليابانيين نوع من البطاطس الحلو اسمه « كاموت » ، وكانوا يصنعون لنا الحساء من قشره المغلىّ .

« ولا يعطى أحدنا أكثر من ثلثى كوبة ماء فى اليوم . وأخيراً أحكم اليابانيون قفل الفتحة ، وفى أول الأمر تركوا لوحاً فى كل جانب ليدخل منه الضوء والهواء ، أما الآن فاعتكر الظلام فى العنبر وفسد الهواء ، حتى صار الرجال يلهثون كالكلاب » .

فلماذا عامل اليابانيون الرجال هذه المعاملة ؟ لم تكن هذه عقوبة ، فإنهم إنما كانوا ينقلونهم من إحدى نواحى مندناو للعمل فى ناحية أخرى .

ولوّح كتر بيديه وقال : « لقد تركت التفكير فى تعليل أعمال اليابانيين ، ولقد كنت مع المشاة البحرية فى الصين قبل الحرب ، وقضيت خمس سنوات وأنا أراقب أعمال اليابانيين ، وحاربتهم واستأسرت لهم ، وكل ما تعلمته هو أن أدع محاولة التفكير فيما يجعل اليابانيين يفعلون ما يفعلون » .

وقال كلم : « وأكثر من نصف الوقت الذى قضيناه فى السفينة لم يكن هناك ما يوجب أن نقضيه فيها ، ولقد ظللنا مرابطين فى رصيف الميناء ، وأظن أنهم أبقونا هناك لأنهم لم يفكروا البتة فى أمرنا متنا أو بقينا » .

وقال كتر : « وغباؤهم يسترعى النظر . وأذكر أننى وأنا فى سجن دافاو كنت أبنى حاجزاً حول ساحة الدجاج ، وكان هناك دجاج ينقف بيضه ويأكل القشرة ، ويعلم الناس جميعاً أن الدجاجة تصنع ذلك إذا

(*) أقل قدر لمعالجة الملاريا هو ٣٠ حبة فى اليوم .

نقص ما ينبغى من الكلسيوم فى غذائها ، ولكن اليابانى إذ رأى الدجاجة تصنع ذلك قذف بها إلى قفص صغير وأبقاها فى الحبس منفردة ثلاثة أيام ، ووضع علامة على القفص تدل على أن الدجاجة قد عوقبت لأنها كسرت بيضها ، وكأنه لا يكاد يخطر ببال أحد من اليابانيين أن هذا أمر مضحك . ولقد رأيت مرة حارساً يقطع ذنب ثور عقاباً له على مروره فوق مِسْحاة » .

وقال كلم : « كانت هناك أوامر قاطعة تمنع العمال من حمل الطعام إلى المعسكر ، وكنا جميعاً نخالف ذلك ، ولكننا كنا نضرب بالهراوات وأطراف البنادق حين ينكشف أمرنا . وكان فى دافاو عدد وافر من البرتقال على أشجاره ، وعندما كان اليابانيون يفاجئون أحداً منا وهو يأخذ منها كانوا يصفون جميع العمال صفين متقابلين ويأمروننا أن يضرب بعضنا بعضاً ، ثم يتضاحكون منا كما يتضاحك الأطفال . وكنا بلا ريب نتضارب برفق ، ويومىء بعضنا لبعض أين تكون الضربة حتى يستطيع أن يدور مع الضربة . وكان اليابانيون يمرون بين الصفوف فإذا بدا لهم أنك لا تضرب بما ينبغي من عنف ضربوك بالهراوة أو لكزوك بالحربة » .

واسترسل كلم يقول : « والضرب من تقاليدهم ، فضباطهم يلطمون رجالهم أمامنا ، ويطرحونهم أرضاً ، ويضربونهم بصفحة السيف ، وضابط الصف يضرب الجنود ، والجندى الذى يحمل ثلاثة نجوم يضرب الجندى الذى يحمل نجمتين ، والذى يحمل نجمتين يضرب الذى يحمل نجمة واحدة والجندى الذى يحمل نجمة واحدة لا يستطيع أن يضرب أحداً إلا الأسير أو الرجل المدنى .

« وقد حدث فى نحو الساعة الرابعة بعد ظهر يوم ٧ سبتمبر سنة ١٩٤٤ — وهو يومنا التاسع عشر على ظهر سفينة الجحيم — أن أصاب سفينة أخرى من سفن القافلة طربيد أمريكى ، فنفخ نافخ البوق لينذر ركاب السفينة ، ولكنه لم ينفخ سوى نفختين أو ثلاث ثم انقلب يلهث من الخوف » .

ونظر كلم من الفتحة ورأى بندقية أتوماتيكية مثبتة فى المنفذ ، فما كاد المدفع يرسل نيرانه حتى ألقى أحد اليابانيين قنبلة ، وكان اليابانيون يطلقون النار على الأمريكيين كأنهم فيران فى مصيدة ، وسقطت القنبلة تطقطق عند قدم كلم اليسرى فركلها كلم حتى غابت تحت بعض الألواح وانفجرت تاركة تسع شظايا فى ساقه اليسرى وأربعاً فى ساقه اليمنى وثلاث شظيات فى كل ذراع .

ثم أصاب سفينة السجن طربيد ، وقال

كلم : « عند ما وقع الانفجار الأول شمل الظلام هنيهة كل شيء ، ولما ثبت إلى نفسي كان الظلام من الشدة بحيث ظننتني أنني تحت الماء ، ولم أجترئ على التنفس ، وكانت أشياء كبيرة لينة ترتطم بي فخلتها إسفنجاً ، وخطر ببالي أني ميت ، وأن الميت هكذا يكون ، فأنت تسبح في الظلام وتظل قطع كبيرة من الإسفنج الناعم ترتطم بك ، ولكن سرعان ما أدركت أن هذه القطع لم تكن إسفنجاً ، وإنما كانت أجساد الموتى من الأمريكيين ، وعلمت أني لست تحت الماء ، وأن سبب الظلام هو أني بقيت مطبقاً جفني من الخوف .

« وكان السلم غاصًّا بالزملاء الذين كان بعضهم يثب من فوق بعض ، فأخذت في الصعود معهم حتى أخرجت رأسي من فتحة العنبر . فأبصرت جنديا يابانيا يطلق مدفعاً رشاشاً على كل من يخرج من العنبر ، وأصابتني رصاصتان إحداهما في الناحية اليمنى من رأسي ، والثانية تحت الذقن تماماً ، محدثة جرحاً عميقاً وألقتني على ظهري في جوف العنبر .

« واستك مسمعي فلم أستطع أن أسمع ، وكنت أتقلب بين العظام المهشمة واللحم الممزق ، ثم عدت إلى ظهر السفينة . وكان الياباني الذي يحمل المدفع الرشاش قد ذهب ، ولكن يابانيا آخر كان يطلق علينا بندقيته من برج السفينة فذهبت مارقاً وأقمت حاجزاً بيني وبينه .

« وكان الموتى من الأمريكيين في كل مكان ، وكان الماء غاصا برؤوس الأمريكيين واليابانيين وهي تهتز ، وكنت أستطيع أن أرى الشاطىء على بعد ثلاثة أميال ، وأتذكر قولي لنفسي : « إن عليك أن تسبح سبحاً طويلا » فخلعت السراويل التي لم يكن يسترني غيرها .

« وجاء ياباني يزحف فقبضت بيدي على منطقة النجاة ونزعتها منه ، ولست أدري من أين جاءتني القوة ، فلست أستطيع أن أصنع ذلك الآن . ولم ألق عناء في التغلب عليه ، وعسى أن يكون قد جمد من الرعب .

« وانحدرت من السفينة فلما لمست الماء لم أستطع تحريك ذراعي اليمنى فقد كان في كتفي شظيتان من فولاذ الطربيد وشظية أخرى في أعلى الذراع ، ولم أكن قد تنبهت لها من قبل » .

وعندئذ كان الجاويش كتر قد أفاق من غشيته بعد انفجار القنبلة ، وأخذ يحاول الصعود على السلم الحديدي . قال :

« لم تكسر الشظايا عظمة من عظامي ، ولكن دمي كان يسيل ، ولما تسلقت نحو ثلث المسافة صدمني شيء أعادني إلى جوف

العنبر ثانية ، وصعدت نصف المسافة ثانية وإذا بدفقة من الماء تندفع من العنبر وتقذف بى إلى ظهر السفينة ، وقد أنقذ هذا الماء حياتى ، ولكنه أغرق كل من كان تحتى .

« وبلغ ارتفاع الماء على ظهر السفينة ثلاث أقدام ، وكانت الأجساد تموج فيه ، وجاء أحد اليابانيين فصككته على فكه بيدى الدامية فخر على ظهره ، ووضعت قدمى فوق عنقه ، ونزعت عنه منطقة النجاة . ورأيت حينذاك أن اليابانيين يطلقون علىّ الرصاص من البرج ، فانبطحت فى ظل البرج بحيث لا يستطيعون أن يصيبونى .

« ورأيت إذ ذاك صديقى هارى ميسون واقفاً فى المنفذ وهو يلقى لنا الألواح لنتخذها مناطق للنجاة ، فصحت به : « طأطئ رأسك إنهم يطلقون عليك الرصاص ! » .

« وفجأة ارتفعت فى الهواء اللوحة التى كانت فى يده ، فقد أصابته رصاصة فدار دورتين ثم هوى ، فبادرت أبحث عنه تحت الماء ، ولكن الماء كان غامراً طاغياً وقد احتمله معه ، ولما عدت إلى مكانى تحت البرج لاحظت أن منطقة النجاة قد مزقتها رصاصة ، والعجيب أنى لم أتنبه قط إلى أن الرصاصة قد أصابتنى .

« وهبطت مع السفينة ، وخشيت أن أبتعد عن البرج خشية الرصاص ، وقد ظل اليابانيون يطلقون الرصاص كأنما قد ألهتهم شهوة القتل عن خوف الغرق . وأقسم أنى سمعت طلقات فى ذلك الصمت القليل الأخير الذى يشوبه خرير الماء ، قبل أن تغرق السفينة وتجرنا جميعاً معها » .

وقال كلم : « وحينما غرقت السفينة كنت قد ابتعدت عنها وأخذت أسبح جاهداً ، وكان الماء يتلاطم حولى من كل ناحية ، ورأيت أمريكيا متعلقاً بلوح من الخشب ، فيممت نحوه موجة من الماء . وسرعان ما تصلبت ذراعاه وغاص فى الماء ، ولم أستطع أن أتصور ما حدث ، فقد كان عقلى مثل عضلة أصابتها رصاصة فجمدت ، وكان هناك أربعة من الأمريكيين أو خمسة يحركون أيديهم وأرجلهم فى الماء فقصدتهم . وأقبل عليهم موج متدافع ولوّح أحدهم بذراعيه ، وحدث حولنا تلاطم واصطدام وسرعان ما غابوا جميعاً فى الماء .

« وأدركت أن الرصاص يطلق علينا ، وشرعت أسبح بعيداً عن كل إنسان ، وجرى فى خاطرى أنه خير لى أن أنفرد بنفسى ، وأبصرت حينذاك قارباً يابانيا على مسافة ١٠٠ ياردة وفيه ضابط يابانى فى يده سيفه ، وتحرك بالقارب نحو جماعة من الأمريكيين ، واتكأ الضابط اليابانى على حافته وأخذ يضرب الرؤوس السابحة ضرباً

منكراً . وعلى بعد منه خمسة قوارب أخرى ، ورأيت فى كل قارب شعاع الشمس وهو يتألق على السيوف .

« ولم أصل إلى الشاطئ إلا بعد ساعتين ، ونهض من بين الحشائش جماعة من مقاتلة العصابات الفلبينية ، وخلع الأول سراويله وأعطانيها ، ولم يزل الرصاص يطلق من جميع النواحى ، وأصاب الطربيد سفينة أخرى عند الشاطئ ، وخرج منها اليابانيون وانتشروا على الشاطئ ، وكانوا يطلقون النيران على الأمريكيين حين يخرجون من الماء » .

وقال كتر : « بعد أن غصت مع سفينة الجحيم طفوت فى وسط جماعة من اليابانيين ، وكان أحدهم قد أمسك بمنطقة مستديرة من مناطق النجاة فانتزعتها منه ، ودفعته بعيداً ، وأخذت أسبح نحو الشاطئ . وأبصرت هارى ميسون مستلقياً على ظهره فوق لوح من الخشب ، وكان ثلاثة من ضباط الجيش يجرونه ، وكان أحدهم قد أصيب برصاصة فى ساقه ، ولكنه لم يسبح فحسب بل ظل يساعد فى دفع لوح الخشب ، وكان الرصاص قد مزق كتف هارى وقطع له شرياناً ، ولم يكن هناك شئ يمكن استعماله لمنع النزف ، فلذلك ترفق الضباط فى دفع لوح الخشب نحو الشاطئ غير عابئين بما يهددهم من خطر ، وسبحت لأعاونهم فما كدت أصل حتى كان هارى قد مات ، فتركناه طافياً فوق لوح الخشب وتفرقنا ، فذلك أخلق أن يضمن سلامتنا حتى نعود إلى الشاطئ .

« وكان اليابانيون على الشاطئ يوالون إطلاق الرصاص على الأمريكيين عند خروجهم من الماء ، فيممت شطر ناحية بعيدة عن الشاطئ وظللت فى الماء حتى أرخى الليل سدوله » .

واسترد كتر وكلم عافيتهما بعد هذه المحنة ، وذلك بقوة الشباب الساحرة المعجزة ، وحملتهما غواصة أمريكية من مندناو بعد ٢١ يوماً من إنقاذهما بوساطة رجال العصابات ، ولقد كان فى سفينة الجحيم ٧٥٠ أمريكيا لم ينج منهم فيما يُعرف سوى ٨٣ رجلا .

ليس التوفيق فى الزواج أن يجد المرء زوجة صالحة ، بل أن يكون هو زوجاً صالحاً .

المزاد العام

في أيام الأزمة الاقتصادية فى أمريكا لاحظ الدلال لى مارتن من مدينة لادى سميث بولاية ويسكونسن أنه لم يدلل على مبيعات تكفى أن تردّ عنه شبح الفقر. فابتدع طريقة « المزاد العام » ، فأعلن فى جريدة محلية وحدد موعداً ومكاناً يجلب إليه الرجل أىّ شىء انقضت حاجته إليه ، ويحب أن يبيعه . وقد بلغ ربحه فى أول بيع تسعة قروش فقط ، ولكنه ثابر حتى نجح ، وظل يقيم هذه المزادات مرتين فى كل شهر سبع سنوات . وكان معدل دخله من كل مزاد حوالى ألفى ريال ، يأخذ منها مارتن ١٠ فى المئة . ويقصد مزاده جمهور من الناس يتراوح عدده بين خمسمئة شخص وألف ، يأتون من ست مقاطعات ، ويشترون أشياء مختلفة من بيانات إلى مواش ، وملابس قديمة وفئران أليفة . وقد هيأ مشروعه هذا عملا لمساعد له وكاتبين .

تنظيف الأرض

تنظيف أرض الغرف مشكلة قائمة فى البيوت والمخازن والكنائس والمطاعم وعيادات الأطباء ومكاتب الأعمال.

وإذا كان الرجل خبيراً بتنظيف الارض المصنوعة من الخشب ، وكان يحسن تركيب أخشابها على اختلاف أنواعها ، وجمع لعمله ما يلزمه من الآلات ، كان خليقاً أن يضمن لعمله الزبائن والربح فى كثير من البلاد . ويمكنه أن يتولى تنظيف البيوت نهاراً وتنظيف المحلات العامة بعد ساعات العمل .

وقد يتسع المشروع حتى يشمل أعمالا كثيرة كتنظيف الأثاث وصقله وغسل المصنوعات الخشبية وتنظيف الشبابيك والمرايا

تيسير غسل الملابس

رأى ماك إوين من فورت لودرديل بولاية فلوريدا أن كثيراً من النساء يحببن أن يغسلن ملابسهن بأيديهن ، لو تيسر لهن استعمال أجهزة حديثة ، فأنشأ مغسلا خاصا فى بناء مساحته ٢٢ قدماً فى ٥٠ ، جدرانه من الخشب ، وأرضه من الإسمنت وتتوافر فيه الشروط الصحية ، وأقام فيه ١٤ مجموعة من الأجهزة ، تحتوى كل منها على آلة كهربائية للغسل. وهناك حبال للنشر فى فناء مشمس ، وعربات عجلها من المطاط لنقل الغسيل الثقيل من السيارات وإعادته إليها ، ولحمله إلى حبال النشر .

وقد جعل ماك إوين أجر استعمال آلة الغسل الكهربائية وثلاثة طسوت ١١ قرشاً

فى الساعة ، وأجر المَدْرجة الكهربائية (الجندرة) ١٥ قرشاً ، وأجر مكواة اليد الكهربائية ٤ قروش ، أما ثمن الصابون والنشاء وغيرهما فشئ زهيد . ويبلغ عدد زبائنه فى اليوم ١٢٥ زبوناً .

أمتعة الأطفال المستعملة

تستطيع الأم أن تستبدل سريراً من الخيزران بأرجوحة أو عربة صغيرة أو تشترى مجموعة كاملة من أمتعة الأطفال القديمة التى تم إصلاحها ، وذلك فى متجر صغير فى مدينة جلنديل بولاية كاليفورنيا . وقدبدأ هذا المتجر منذ سنتين ورأس مال صاحبه ٥٠ ريالا وكدح لايفتر، فصارت قيمة ما يتجر فيه اليوم ١٥٫٠٠٠ ريال فى السنة . وهو يشترى ويصلح ويبيع كل أنواع أمتعة الأطفال ، من الأراجيح والكراسى والدرّاجات . وكلما اتسع العمل أضاف إلى ما عنده أصنافاً جديدة من الأثاث والأمتعة .

وصاحب المتجر هو جلبرت جلاسو ، وتراه يسعى إلى توسيع عمله بأن يرسل بطاقة ومعها هدية إلى كل والدة يذكر اسمها فى كشف المواليد فى الصحف . وهو على ثقة من أنك تستطيع أن تعمل كما عمل فى أية بلدة متوسطة برأس مال قليل .

دمى الأطفال

أنشأت المسز مارى جولت والمس آن واتون ، من مدينة كارتر زفيل بولاية جورجيا ، مصنعاً صغيراً برأس مال من فضلات الأقمشة وخيوط النسج لا تساوى إلا ٢٧٠ ريالا ، فاتسع نطاقه فى سنتين حتى بلغت أجور عماله ١٠٠٠٠ ريال فى الشهر . ومن هذه الفضلات صنعت السيدتان دمى وعرائس متقنة تمثل طوائف من الأمة . وقد حملتا نحو ١٥٠ منها إلى ميامى لتعرفا مقدار رواجها ، فطافتا بها بين الناس على شاطئ البحر ، فكثر الإقبال عليها ، فعادتا من فورهما إلى نيويورك . فطلبت مخازن نيويورك منهما أن تصنعا لها ٣٥٠ دمية .

وهما تملكان اليوم مصنعاً تبلغ مساحته ١٥٫٠٠٠ قدم مربعة ، ويعمل فيه ١٥٠ امرأة ، وثلاثة رجال ، وينتج فى اليوم ١٨٠٠ دمية تباع بين نيويورك وهنولولو بثمن يتراوح بين ٤٠ قرشاً و ١٢٠ قرشاً .

وهذه الدمى تمثل ١٥ رجلا وسيدة من أبطال القصص المشهورة ، وطوائف المجندات فى الأسطول والجيش ، وممرضات الصليب الأحمر ، والجنود والبحارة ، ومنها ما يمثل الحيوان فى قصص الحيوان المشهورة كالأرانب والبط والفيلة .

النازى يدفنون مصانعهم فى جوف الأرض

إدوين مولر • ملخصة عن مجلة "ذى أمريكان ميركيورى"

حلّ يوم الغزو فى يونيه سنة ١٩٤٤ كانت القاذفات الأمريكية والبريطانية قد دكت مصانع الطائرات الألمانية إلا قليلا، وأصبح للحلفاء السلطان المطلق على الجوّ، ومضوا فى الأشهر التالية يقذفون مصانع الطائرات ليحولوا دون ترميمها، وظلت طائراتهم تدقّ مصانع الدبابات والمدافع وسيارات النقل وغيرها، حتى خلنا أن أداة هتلر الحربية لن تستطيع أن تعد عدتها لهجوم كبير آخر.

ولكنها فعلت.

وحين انطلق رونشتد فى ديسمبر الماضى يلهب جيوش الحلفاء، ملأ لهم الجوّ أسراباً كثيرة من الطائرات الجديدة، وأسرف إسرافاً فى ما أرسل عليهم من دبابات ومدافع وسيارات نقل، وازداد ما يقذف من القنابل الطائرة والصواريخ.

فمن أين جاءت كل هذه الأسلحة الجديدة؟ لقد جاءت من مصانع عظيمة جديدة مدفونة على مئات الأقدام فى جوف الأرض.

كانت ألمانيا كالمذعورة تنبش جوف الأرض تبتغى فيه ملجأ، وقد بلغت ما أرادت. وكان الظن أنه حين جاء أول فبراير سنة ١٩٤٥ كان ثلث إنتاج ألمانيا الحربى يتم تحت الأرض. ولن يقتصر أثر هذا التطور على خطة الحرب فى أوربا وحدها بل يثير مشكلات جديدة خطيرة فى حرب اليابان، وإنه ليجعل ما يمكن أن يكون فى أى حرب كبيرة فى المستقبل، شيئاً يقصر عنه الخيال.

وقد فرغت لساعتى من زيارة أحد هذه المصانع المدفونة المفزعة.

فى مقاطعة الأردين الوعرة ذات التلال، على تخوم فرنسا ولكسمبورج، ترى وادياً طويلا متعرجاً تبعثرت فيه المناجم والمصانع، جللها تراب الفحم والدخان. وفى منتصف الوادى تقع قرية تيل، فترى صفاً من الأكواخ الحقيرة، وينعطف من شارعها طريق ينتهى فجأة عند سفح أكمة. وهناك ثغرة لا تكاد تستوقف النظر — هى مدخل منجم قديم. ولم يعلم بخبرها قط المستكشفون

من طيارى الحلفاء ، ومع ذلك كان يدخل من هذه الثغرة كل صباح خمسة آلاف عامل ومعهم مقادير كبيرة من ألواح المعدن وغيرها من خامات الصناعة ، وكان يخرج منها كل يوم أكثر من مئة قنبلة طائرة معدة لأن تنقل إلى قواعد قذفها .

مضيت أنا ودليلى وأضاء كل منا مصباحه ، وركبنا مركبة مضت تقعقع فى ظلام النفق الضيق ، وترى على جانبيه مداخل إلى أنفاق أخرى ، — بين المدخل والمدخل بضع مئات من الأقدام — فلما قطعنا نحو ميلين وقفت المركبة ، وجهدنا حتى تبينا على ضوء المصابيح أننا فى حجرة كبيرة معقودة السقف قد يبلغ عرضها ٦٠ قدماً ، وكانت أرضها من الأبرق (الخرسانة) وكان سقفها وجدرانها التى لم تتم مدهونة بالبياض . فتلمسنا طريقنا بين الآلات المتراكمة ، واجتزنا دهليزاً قصيراً إلى حجرة أخرى تماثلها ، ثم إلى ثالثة فرابعة وكان وقع أقدامنا يتردّد صداه فى السكون الرهيب . فأحصيت عشرين حجرة ثم ضلّ عنى التعداد ، وقيل لى إنى لم أر إلا أقل من النصف . وكل هذه الحجرات قد نقرها فى الصخر الصلد عمال ساقهم الألمان فى العمل سوقاً حثيثاً .

وقد صفت مئات من خير الآلات صفوفاً منتظمة كأنها خط طويل من خطوط التجميع : محركات ، ومخارط ، ومطاحن ومكابس ، وآلات للحام الكهربائى ، وآلات للحام بالغاز ، ومناشير ، وأحواض ، بعضها مصنوع فى ألمانيا وبعضها فى إيطاليا أو فرنسا أو أمريكا . ورأينا أكواماً منسقة من صفائح الألمنيوم وصناديق ملؤها قطع شتى ، وفى إحدى الحجرات عشرة هياكل للطائرات أو أكثر ، قد بقيت جميعها كما تركها العمال حين دخل الحلفاء .

كانت القوة التى تحرك الآلات تأتى من الخارج ، فإذا انقطع تيارها من جراء قذائف الحلفاء ، فلديهم مولدات حاضرة لوقت الحاجة . وقد وضعت آلات الحفر على مقربة من المدخل العام لتستعمل إذا سدته قذائف الحلفاء .

كان عمال هذا المصنع الضخم المدفون فى باطن الأرض ، من المسخرين رجالا ونساء — ولعل عددهم كان ١٠٫٠٠٠ من الروس والبولنديين والتشك والإيطاليين . وقد صممت جميع آلاته على أن لا تقتضى من العامل إلا أقلّ ذكاء . وهذا الضرب من التصميم الذى بلغ فيه الألمان أعظم مبلغ فى زمن الحرب ، يفسر أمر الإنتاج العظيم الذى استطاعوا أن يظفروا به من عمال مسخرين كارهين غير حاذقين . ولا

يحتاج مثل هـذا المصنع إلا إلى عدد قليل من الرؤساء والمهندسين الألمان ، ومعهم عصبة شديدة البأس من حراس الجستابو .

وحياة العمال هناك كحياة السجناء ، ويسكن بعضهم فى قرى الوادى ، يحشر منهم كل عشرة أو خمسة عشر فى غرفة واحدة ، ويسكن أكثرهم فى ثكنات أنشئت على عجل ، وينامون على أكياس من القش ملقاة على الأرض ، ويفطرون على قدح من الحشائش المغليـة ، وخمس أواق من الخبز الأسود ، وغداؤهم ملء كوبين من حساء البطاطس أو اللفت ، وعشاؤهم ثلث أوقية من (السجق) وخمس أواق من الخبز .

والمشرفون الألمان يعملون على ثلاث نوبات ، كل نوبة ٨ ساعات . أما العمال فيعملون على نوبتين ، كل نوبة ١٢ ساعة ، من السادسة إلى السادسة . فإذا انبلج الفجر قاد الحراس الألمان أولئك العمال إلى المدخل ، وحشروهم فى المركبات ، ونقلوهم إلى جوف المصنع . وحجر العمل تضاء بالكهرباء ، والتهوية فيها جيدة ، لا من أجل العمال بل لئلا يصيب الفساد الآلات ، وأكبر الظن أن المصنع خلو من المرافق الصحية .

والذين يعملون فى هذا المصنع لا يستطيعون أن يصفوا لك ما فيه من الضجيج ، وهم إذا استعادوا ذكر ما فيه جحظت عيونهم ووضعوا رؤوسهم بين أيديهم ، فإن هذه الآلات تحدث ضجة هائلة ، وهى تعمل بأقصى سرعة ممكنة ، والحجرات يتردد فى جوانبها الصدى ، فيتضخم الضجيج حتى يصبح زئيراً مدمراً .

وعلى الجدران لوحات كثيرة ، بعضها للتربية السياسية : « أنت الآن موظف فى الريخ الألمانى ، فتحيتك يجب أن تكون : هايل هتلر » ، وبعضها صور متخيلة تصور ما يتوهمونه من دمار تنزله القنابل الطائرة بالحلفاء ، ولكن معظمها كان تحذيراً للذين قد يتوانون فى عملهم . وثمة صور تمثل ضروب العقاب من جلد وحرمان من الطعام والماء . وترى الرؤساء ورجال الجستابو يسيرون جيئة وذهابا للتفتيش على الإنتاج . وبين الحين والحين يأخذون رجلا توانى فى عمله ويجعلونه أمثولةً لسواه .

ولم يحدث قط عصيان ، فالعمال ، إذا ما فرغوا من العمل وقد أضناهم الضجيج والتعب ، لا طاقة لهم على شىء إلا أن يسيروا مترنحين إلى بيوتهم ، ثم يلقى أحدهم بنفسه على فراش القش وينام . ولما اطلع ضباط المخابرات من الحلفاء على ما يجرى فى هذا المصنع وغيره ، صاروا لا يعتمدون على ثورة العمال المسخرين فى ألمانيا .

وقد وجد الحلفاء عشرات من هـذه

المصانع المدفونة فى كهوف وأنفاق فى المناطق التى حرّروها ، وما وجدوه منها فى فرنسا وبلجيكا ولكسمبورج لا يعد شيئاً مذكوراً إذا قيس إلى ما رأوه فى ألمانيا .

لم يفكر الألمان فى دفن مصانعهم فى باطن الأرض إلا أخيراً ، ففى أول الحرب كانوا على ثقة من أن الريخ فى مأمن من الهجوم الجوى ، ثم بدأوا يقلقون حين رأوا التقدم العظيم فى صنع القاذفات الضخمة من أمثال لانكستر وهاليفاكس فى إنجلترا ، والقلاع الطائرة وليبريتور فى أمريكا . وبعد أن شن أول هجوم بريطانى بألف قاذفة على كولون سنة ١٩٤٢ عزم الألمان على أن يتدبروا لأمرهم ، فاستغرق وضع الخطط ومسح الأرض سنة كاملة ، فما جاء منتصف سنة ١٩٤٣ حتى كان مشروع دفن المصانع فى باطن الأرض قد قطع شوطاً كبيراً . وقد تم هذا الانتقال على مراحل محكمة التنسيق ، فلم ينقل مصنع واحد كل آلاته دفعة واحدة ، ولا وقف مصنع واحد عن الإنتاج تماماً وهو ينقل آلاته . وكان يتحرّون أن يتخذوا المناجم والكهوف وأنفاق السكك الحديدية المهجورة ، التى تكون فى حضن أكمة ، فيجعلوها مداخل للمصانع حتى تكون بمنجاة من خطر القذائف . فإذا لم يجدوا بداً من اتخاذ مدخل لا يحميه مثل هذا الموقع الطبيعى ، غطوه بطبقة من الأبرق (الخرسانة) سمكها يتراوح بين عشر أقدام وثلاثين قدماً .

وفى بعض هذه المصانع ما يزيد على عشرة آلاف عامل ، وهى تتخذ أيضاً مستودعات للقنابل والطائرات والزيت . وبعد أن كانت الغارة الكبيرة على بينامونديᐟ(*) جعلت جميع مصانع القنابل الطائرة والصواريخ ومعاملها فى جوف الأرض . ومن المحتمل أيضا أن تكون الصناعات الألمانية الحربية الخفيفة مثل صناعة الأسلحة الصغيرة ، والذخيرة ، والأدوات الكهربائية وأدوات الصناعة الدقيقة ، قد جعلت فى مأمن فى باطن الأرض . أما صناعة الدبابات والقاطرات والمدافع الثقيلة فتحتاج إلى آلات ضخمة ومساحات واسعة ، ومع ذلك فقد روى أن مصنعاً واحداً على الأقل من مصانع القاطرات قد دفن فى باطن الأرض .

ولم يهتد الألمان حتى الآن إلى حل مشكلة بعض الصناعات ، كصناعة الصلب ، فليس فى وسعك أن توقد تنوراً لصهر الحديد فى كهف ، وغير مستطاع أن تجعل

(*) « أربعون دقيقة غيرت وجه الحرب » المختار ديسمبر ١٩٤٤ ص ٢٢

مصـنع تكرير للزيت فى جوف الأرض .
فكيف تستطيع قاذفات الحلفـاء أن تهاجم هذه المصانع المدفونة هجوماً مجدياً ؟ والجواب : إنها لا تستطيع . ربما انسد مدخل أحـد المصانع ، ولـكن غاية ما فى ذلك أن يقف العمل فيه قليلا . وقد تقذف خطوط السكك الحـديدية التى تفضى إلى المصنع ، ولـكنها ترميمها ميسور . وليس ثمـة طريقة لتدمير مصنع منهـا إلا أن تستولى عليه .

ولم تعد للألمان فسحة من الوقت حتى يدفنوا جميع مصانعهم فى جوف الأرض ، ولـكن ربما اتسع الوقت لليابانيين ، فهم يعيشون فى أرض تـكثر فيها الآكام والمناجم والـكهوف .

وكل هذا يوحى بصورة جديدة للحرب المقبلة . والأمم حين تتأهب لها لن تهمل أمنع أسباب الدفاع ، فستنشىء مواقع تحت الأرض صممت وحفرت خاصـة للمصانع . وكل المصانع التى لا غنى عنها فى الحرب والتى تراها اليـوم ظاهرة على الأرض ، سينشأ مثلها تحت الأرض . وستشيد فى باطن الأرض أيضـاً مسـاكن ومستشفيات ومدارس ومعابد وساحات للرياضة ، وتخزن فيها مقادير كبيرة من الطعام .

ولن تبتدىء الحرب المقبلة بما جرى به العرف من إعلانها ، بل بألوف من القنابل الطائرة تقذف من بلد إلى بلد ، مجتازة الحدود أو المحيطات . وحين تتهدم المبانى التى على سـطح الأرض تأوى شعوب بأسرها فى باطن الأرض ، كالأرانب ، ويومئذ يخلو وجه الأرض من آثار الحياة ، ويجرى عليه جحيم من النار والتفجر والغاز السام .

ولو رأى سكان المريخ كل هذا لحيّرهم إلى أين تسير هذه الحضارة التى مهدنا لها وأنشأناها .

بين الجزاء والعقاب

عهد إلى موظفة فى شركة بأن ترسل إلى عملاء الشركة تنبئهم بأن جهازاً جديداً للتدفئة بالغاز قد أعد للتسليم لمن يطلبه . ولـكنها أخطأت فأرسلت أكثر الظروف فارغة . ولم يكشف الخطأ إلا حين توالت المخـاطبات بالتلفون من العملاء يسألون عما كان ينتظر أن يكون فى الظروف ، فتبينت الشركة أن هذا الخطأ أحدث من الاهتمام بين العملاء أكثر مما كانت ترجوه من الرسائل — وينتظر أن تنال الفتاة مكافأة طيبة .

[صحيفة « فلادلفيا ريكورد »]

ما أكثر الصغار الذين ساروا سيرة جديدة فى المدرسة الابتدائية رقم ٣٧ بنيويورك

الطفل "الفاسد" يبعث بعثاً جديداً

إلسى ماك كورميك • ملخصة عن مجلة "سرفاى جرافيك"

ليس فى مظهر المدرسة الابتدائية رقم ٣٧ بنيويورك ما يدل على أنها من أعلى المدارس الابتدائية شأناً فى البلاد، بيد أنك إذا ما دخلتها، ابتسم لك من تلقى من الصغار فى الردهات، وألقوا عليك تحية الصباح بمودة صادقة لا تتوقعها. فإذا ما صحبتك رئيسة المدرسة المسز ليليان. ل. رشكيس إلى حجرة الدرس، رأيتها مزينة الجدران بصور من عمل التلاميذ، ورأيتها من النظافة بحيث يرضى عنها ربان بحرى ينظر بعينى صقر. ثم ترى تلميذاً يخرج إليك مزهواً زجاجة زيت الليمون التى يستعملونها فى صقل مكاتبهم. ويقترح عليك آخر أن تفتح مكاتب التلاميذ لترى كيف نظامها. فإذا هممت بالانصراف دعاك الصغير الذى يفتح لك الباب أن تعود فتزور المدرسة، بلهجة المضيف الودود.

ومن يزور المدرسة فى صباح يوم الخميس حليق أن يشهد الاجتماع المدرسى، فيرى ٢٥٠ تلميذاً يستمعون للخطيب مصغين. ثم تنهال الأسئلة، وهى تدل أكبر الدلالة على سعة الاطلاع المدهشة فى تلاميذ تتراوح أعمارهم بين العاشرة والخامسة عشرة.

وهم من أجناس مختلفة، وبينهم كثير من السود، ولكنه لم يكن فى حجرة الدرس وجه واحد تبدو عليه السآمة أو العبوس، وليس فيهم إلا كل أنيق يقظ، حتى ليخطر لزائرها أنها مدرسة للأولاد المتفوقين فى اختبارات الذكاء، والذين تشهد لهم السجلات بأحسن السلوك.

بيد أن الحقيقة هى أن الأولاد الذين ألحقوا بالمدرسة الابتدائية رقم ٣٧ هم من ذوى الخلق المعوج فى مدينة نيويورك. فبعضهم كان فى العصابات التى تعيش على السلب والنهب، ومنهم من اعتدى على غيره من الأولاد بالضرب أو بالطعن بالسكين، ومنهم من كانت عادته الهرب من المدرسة، والتطاول على المدرسين، وتخريب كل أثر قائم، وإشاعة الجلبة والضجيج المستمر فى حجرات الدرس. ولا يقل من دخل المحاكم منهم عن النصف، وقد كان إرسال كثير منهم إلى المدرسة رقم ٣٧ على سبيل التجربة الأخيرة قبل تسليمهم إلى معاهد الإصلاح.

ومن هذه المادة الخام أنشأت السيدة رشكيس، هى ومن معها من المدرسين، مدرسة يعد مستواها من حيث المواظبة

والأدب وحسن السلوك ، فوق المتوسط .
وهى كما قال جوفنال مارشيسيو ، قاضى محكمة العلاقات المنزلية فى نيويورك . قد أنقذت أكثر من ٩٠ فى المئة من تلاميذها ، وهيأتهم ليكونوا رجالا صالحين فى المجتمع .

والمعتاد أن يأتى الولد المرسل إلى المدرسة رقم ٣٧ بحراسة الموظف الموكل بالمتشردين ويكون الولد شكساً مشاغباً سفيهاً ، وإنه ليتوقع أن يجد فى المدرسة من الشدة ما يناسب شر أخلاقه .

ولكن الفصل الذى يسلكونه فى زمرته يحيره . فهو فصل صغير ، لا يزيد تلاميذه على ستة عشر ، والمكاتب موزعة فى الحجرة على هيئة نصف دائرة غير منتظمة ، ثم يرى أن الأولاد يبدو عليهم الاهتمام بدرسهم . فيحس القادم الجديد كأن الأنظار كلها ترمقه ، فيصفر لهم صفير الاستهزاء ، وإذا به يدهش حين يرى زملاءه — لا المعلم — هم الذين يسكتونه ، ويسمون أفاعيله « شغل أطفال » .

وسرعان ما يتبين صاحبنا أن سوء السلوك لم يعد يسترعى الأنظار ، وأنه لا يستطيع هنا أن يطمع فى الصيت إذا هو تباهى بسوابقه ، فإن بين هؤلاء الأولاد من يضارعه ، بل يزيد سجل اعتداءاته على أى سجل . وهكذا ينتهى الأمر بأن تنهار جميع الدعائم الفاسدة التى تقوم عليها شخصية هذا الفتى .

وما هذه إلا الخطوة الأولى ، وتقول المسز رشكيس : « إن أهم شىء هو معرفة العمل الذى يصلح له . فهو لم يلق حتى الآن غير الملامة والنقد ، وإنه ليشعر فى نفسه أن ليس فى الناس من يريده أو يحبه » .

وما يكاد التلميذ يدخل المدرسة حتى يختبره طبيب العقل وعالم من علماء النفس موفدان من « مكتب إرشاد النشء » ، ويزور أسرته أحد المربين . ويقدم ما جمعوه من نتائج أبحاثهم إلى مجلس يضم الرئيسة والمدرسين ، فيدرسون مشكلة الطفل وأسبابها ، ويحللون كفاياته وخصائص أخلاقه ، ويضعون الخطة لتقويم اعوجاجه .

ولقد اتضح أنه فى تسع حالات من عشر يقع اللوم على الوالدين . وقد تبين فى درس أمر ٦٥ طفلا أن أربعة منهم فقط كانت حال أسرهم مرضية . وتدل التقارير مرة بعد أخرى على أن من الأسباب : القذارة ، وقلة المبالاة ، وقلة إدراك أمور الطفل ، والقسوة فى المعاملة ، وكثرة الشجار ، والطلاق ، وقلة مكث الآباء فى بيوتهم .

وليس لزاماً أن يكون جمع الأطفال من بيئة الفقراء . فهذا « فرانك » مثلا ، وهو فى الرابعة عشرة من عمره ، وهو

طفل تحزنك رؤيتــه ، ويختلج بدنه من ضعف أعصابه . ويدل سجله على أنه يكثر الصــياح فى حجرة الدرس ، وأنه بذىء اللسان ، وأن زملاءه يكرهونه ويخافونه .

وقد تبين للمربى الذى زار داره أن بيته أنيق الترتيب ، وأن أسرته لم تكن غــير متعلمــة . أما المشكلة فهى أن الوالد كان يتطلب من ولده طاعة سريعة ضـارعة ، فإذا تردد ضربه . ومن أجل ذلك صار سلوك الولد فى المدرسة ضرباً من الاحتجاج.

وكان فرانك ذا مقدرة فى الرسم ، إلا أن موضوعات رسمه كما اتضح لطبيب النفس ، كانت هياكل العظام وتوابيت الموتى والمدافن ، فعهدت إليه المدرسـة فى صنع صور على الجدار لحجرة الدرس تمثل مناظر من تاريخ الولايات المتحـدة فى عهـدها الأول . ولقد حفزته الرغبة فى التثبت من تفاصيل صورته إلى دراسة الـكتب المؤلفة عن ذلك العصر ، فأجاد فى أشهر قليلة من القدرة على المطالعة ما يقتضى سنتين . وكان لما ناله من الثناء على رسـومه تأثير كبير فى طبعه وخليقته ، وزال ما كان يلحقه من اختلاج بدنه . ثم بلغ من رزانته واتزانه أن ألقى خطاباً فى الاجتماع المدرسى . ولم يعد فرانك بعدها عمدة من العقد على الرغم من أن معاملتــه فى البيت لم يطرأ عليها تحسن كبير .

ومن أغلاط الوالدين الشائعة ما يشهد به حال الطفل « سولى » ، وهو من أسرة متوسـطة ذات يسار . وكان فى مدرسته يأبى أن يقول كلمة فى حجرة الدرس ، وكان إصراره على موقفه الساخر يفسد سـلوك التلاميذ . فلما دخـل المدرسـة الإبتدائية رقم ٣٧ لم يلبث أسـبوعين حتى اختارته المسز رشكيس على غـير قصد وجعلته غلام مكتبها . وبلغ من ارتياحه إلى تبليغ الرسـائل ، والرد على التلفون ، أن نسى عبوسه وصمته .

مسز ليليان ل . رشكيس

ولم تمض أسبوع حتى كان « سولى » قد قص على المسز رشكيس قصته ، فقد كان له أخ ألمعى الذكاء يعـد نفسه لعمل فنى ، فغلبه على اهتمام أمه وحبها . وقال لها : « قلت لنفسى : ماذا تجدى علىّ محاولتى أن أكون شيئاً مذكورا ؟ » . فعمدت مسز رشـكيس إلى إقناعه بأنه قادر على خدمة المجتمع فى وجوه أخرى ، وإن لم يلتحق بعمل فنى .

فشب سولى حتى أصبح من المواطنين

الصـالحين النافعين ، وهو اليوم صاحب مصنع صغير ، ورب أسرة سعيدة .

ومن عادة المعلمين والآباء أن لا يطمئنوا إلى تكليف طفل فى نفسه آفة بعمل فيه تبعة ، غير أنه قد ثبت أن مثل هذا العمل يكون فى أكثر الأحيان كالدواء لخلقه . مثال ذلك « جورج » ، وهو ولد لم يكن على وفاق مع زوج أمه ، فكان يعبر عن شقائه بهربه من المدرسة وحدة غضبه . وقد طردته ست مدارس قبل التحاقه بالمدرسة رقم ٣٧ . وقد ظهرت بشائر جدّه واهتمامه ، حين طلبت المسز رشكيس من الأطفال أن يقترحوا الطريقة المثلى لاختزان اللبن وتوزيعه على التلاميذ فى ضحى كل يوم . ولقد وقع الاختيار على طريقة جورج إذ كانت أوفى طريقة ، وعهد إليه بتنفيذها . فقام بالعمل على وجهه ولم يتوان يوماً واحداً.

ولقد كتب زوج أمه يقول : « لقد أصبح جورج غيره بالأمس ، وهو الآن سعيد ، وقد زالت ثورات غضبه » .

وثمة طفل آخر يعرفه كل المعرفة الموكلون بالتلاميذ الهاربين ، فعهد إليه ان يدير الصور المتحركة . وقد قضى فترتين من مدد الدراسة دون أن يتأخر أو يتغيب مرة واحدة . ولما سئل عن سرّ مواظبته ، قال : « إنى لم أكن قبل اليوم فى مدرسة أحسّ فيها بحاجة أحد إلىّ » .

والمسز رشكيس هى قلب المدرسة ، وهى امرأة ناضجة متحمسة حنون ولكنها ليست ممن تستخفهم العاطفة ، وفى وسعها أن تكلم الطفل على قدر عقله ، وأن تعرف وجهة نظره ، وأن تنفذ فى الستار الذى يقيمه الطفل بينه وبين الكبار . ولقد كان انتساب الطفل إلى المدرسة رقم ٣٧ عاراً ومسبة ، ولكن الرئيسة الجديدة عملت على أن تجعله مفخرة حين تولت أمر المدرسة فى عام ١٩٣٠

وكانت أهم المشاكل هى أن تجعل الدروس ممتعة للأطفال ، فالمنهاج الحاضر هو نتيجة بحث دقيق تولته هيئة التدريس وأهل الاختصاص فى مدينة نيويورك ، ولجنة استشارية من رجال التربية وعلماء النفس المشهود لهم . ومن البين أنهم بلغوا ما أرادوا ، فإن سجلات الحضور فى المدرسة يمكن مقارنتها بسجلات المدارس الأخرى ، وإن كان لا بد لبعض التلاميذ من السير أكثر من ساعة من بيوتهم إلى المدرسة .

وهم فى هذه المدرسة يعالجون الموضوعات المأثورة بطريقة مستحدثة . ولقد لاحظت فى كل فصل زرته أن الدرس مرتبط بموضوع رئيسى ، مثل « عظماء أمريكا رجالا ونساء » ، « قصة الصناعة الأمريكية »

« البيت الأمريكى » . وقد يشق عليك أن تتصور أن البحث فى مسألة « البيت الأمريكى » يروق أطفالا فى الحادية عشرة، كانوا أشد الأولاد شغباً فى مدارس نيويورك ، ولكننى لم أزر قط مدرسة كان تلاميذها أشد اهتماماً بمثل هذا الدرس ، فلقد تجمع هؤلاء الصغار حولى يطلعوننى على رسوم تبين تطور السكنى وارتقاءها ، وعلى نموذج مصغر صنعوه لمنزل كامل من طبقتين . ولقد نقل كثير منهم ما استفادوه من المدرسة إلى بيوتهم ، فكانوا يدهنون الأثاث ويصلحونه، ويرتقون بمستوى أهلهم فى النظام والنظافة .

والمدرسة تصرف إلى التغذية اهتماماً خاصاً ، لأن الطعام غير الملائم قد يكون له أثر كبير فيما يصدر عن الأولاد من سوء الخلق . فقد تبينت إدارة المدرسة أن فطور بعض الأطفال لا يعدو ما ثمنه مليمان أو ثلاثة ملاليم من الحلوى يشترونها فى طريقهم إلى المدرسة . وفى بعض البيوت، التى لا تجد فيها من يشرف عليها ، لا يطعم الأطفال غير الشطائر (الساندوتش) فى غدائهم ، أو صحفتين من المثلجات . وقد انتهى الأساتذة إلى إعداد فطور جيد للتلاميذ يتألف من الفاكهة واللبن والحبوب ، وأبلغوا أمره إلى الأمهات ، ودعوهن أن يحضرن دروساً فى أصول التغذية . فإن جودة التغذية تفضى إلى قلة المرض وإلى زيادة استقرار العواطف

وكان ١٥ فى المئة من الأطفال الذين يلحقون بالمدرسة فى ألسنتهم لثغة أو تأتأة مما يدل على اضطراب النفس وعواطفها . فعين لهم أستاذ متخصص فى إصلاح المنطق ليعينهم على التغلب على آفات اللسان. ثم يمرنون على الخطابة العامة فيكتسبون منها الاتزان والثقة بالنفس .

وتتيح أوقات الاجتماع للأطفال وسيلة التنفيس عن نشاطهم ، فهم فى كل يوم أحد يتباحثون فى المسائل المدرسية ويتبادلون الرأى ، فيتعلم الأولاد أن يحترم بعضهم آراء بعض ، وأن يختلفوا دون أن يفضى اختلافهم إلى الملاكمة . ولهذه الاجتماعات روعتها ، فالطبول تقرع وهم ينشدون النشيد الأمريكى ، والنفير والجرس يؤدون تحية العلم ، وينشد التلاميذ الكبار لحناً فخماً رائعاً . وقد كان معظم هؤلاء التلاميذ الكبار من المشاغبين العتاة فى مدارسهم السابقة ، ولكن ما يحسونه هنا من كرامة نفوسهم أحدث تغيراً مدهشاً فى أخلاقهم .

والمدرسة رقم ٣٧ تعنى كل العناية بتعليم الحرف ، ولقد هيأت مصانعها الصغيرة لأشغال الخشب والطباعة ، وتمريناتها على

أعمال المكاتب ، عدداً كبيراً من التلاميذ لإتمام الدراسة فى المدارس الثانوية للحرف. وهى تشجع الكبار منهم على اتخاذ عمل فى غير أوقات الدراسة ، فإن كسب المال يزيد احترامهم لأنفسهم ، ولا يترك لهم فسحة من الوقت لمصاحبة العصابات من أهل جيرتهم . ثم تراهم أيضاً حِراصاً على إعداد أنفسهم لما يرغبون فيه من الأعمال بعد أن تنقضى سنوات الدرس

ولا يكاد يمر يوم لا يزور فيه المدرسة تلميذ من تلاميذها الأقدمين ، ليحدّث مسز رشكيس حديث عمله الجديد ، أو يقدم لها عروسه ، أو يعرض عليها صور أولاده ، أو ليريها وساماً أنعم به عليه لما أدّاه من خدمات فيما وراء البحار . ولقد رأيت عندها بحاراً أصهب الشعر برتبة الأونباشى ، قدم أخيراً من جنوب المحيط الهادى ، يحمل شارة القلب الأرجوانية تدل على أنه جرح فى القتال ، وإشارة تكريم له فى نشرة يصدرها رئيس الجمهورية . فلما قدمته مسز رشكيس إلى التلاميذ أنشدوا فى صوت واحد « نشيد البحرية » بحماسة ارتجت لها قاعة الاحتفال .

ولقد قال الفتى بعد ذلك : « إنى لا أستحق كل هذا الثناء ، فهو أولى أن يوجه إلى الأساتذة الذين جعلونا رجالا » .

ويقول القاضى مارشيسيو إن إنشاء مدارس مثل المدرسة رقم ٣٧ فى الولايات المتحدة ، إنما هو خطوة واسعة تؤدى إلى معالجة الإجرام فى الناشئة . ولقد أشار الدكتور فرانك . ج . أوبرين المراقب المساعد إلى أن زيادة النفقات تعد شيئاً زهيداً إذا قيست إلى ما ينفق على المجرمين الأحداث فى معاهد الإصلاح أو السجون ، هذا فضلا عن إنقاذنا لمستقبلهم من الضياع . ويضيف الدكتور فرانك إلى ذلك : « إن كثيراً من معالم هذه الطريقة لا يقتضى زيادة فى النفقة ، فإن إذاعة روح الصداقة والمحبة ، وإشعار التلميذ بالكرامة ، وتحميله التبعة الذى يعلمه الثقة بنفسه ، كلها من الأمور التى يمكن تطبيقها فى أى معهد فيه معلمون من ذوى الحِجَى والعطف » .

فكل جماعة ، مهما كانت صغيرة ولا قدرة لها على أن تنشئ مدرسة خاصة ، تستطيع العمل بهذه المبادئ فى سائر مدارسها ، فإن هذا الضرب من الحياة المدرسية كفيل بإظهار الجانب الصالح فى الأطفال جميعا .

جحيم يتفجر في كنساس

تشب النيران كل بضع دقائق في مصنع « سن فلاور » حيث تعالج الفتيات بارود الصواريخ الجديد ، أدهى أنواع البارود على الإطلاق ، ومع ذلك فإنهن أدنى إلى السلامة هنا منهن في بيوتهن .

پول و . كيرني

ملخصة عن مجلة "الكيمياء"

قد تمضى سنوات على ألوف من المصانع دون أن تشبّ فيها نار — فإذا شبت النار الأولى فربما كانت الأخيرة القاضية . ولكن فى بلدة « سن فلاور » بولاية كنساس مصنع تشب النار فى قسم واحد منه مئة وخمسين مرة كل يوم ، وقد بلغ هذا العدد مئتين وخمسين فى أربع وعشرين ساعة منذ عهد قريب . وهذا المصنع من أكبر مصانع البارود فى العالم . وقد احتشدت فى جنباته أسباب الموت الزؤام ، ومع ذلك فإن معدّل الحوادث فيه أقل من معدلها فى الصناعة الأمريكية جميعاً .

بنت الحكومة الأمريكية « مصنع سن فلاور » للذخائر ، وعهدت بإدارته إلى شركة هركوليز للبارود ، تحت إشراف قسم الذخائر فى الجيش الأمريكى . وهو يشغل أرضاً مساحتها أربعون ميلا مربعاً قام فى أرجائها خمسة آلاف بناء ، وهو أحد خمسة مصانع تصنع للجيش والأسطول البارودَ الجديد المستعمل فى دفع الصواريخ . وهذا البارود اللازم لدفع الصواريخ والنفّاثات يجب أن يستعر استعاراً شديداً .

وهنا حيث يصنع هذا البارود فى « سن فلاور » ويشب ١٥٠ حريقاً كل يوم ، ترى ستين فى المئة من العمال من النساء ، ولكن أسباب الوقاية بلغت من الإحكام مبلغاً عظيما ، فلم تحدث وفاة ما ، ولم يصب إلا سبعة عشر عاملا بإصابات بسيطة منعتهم عن العمل زمناً قصيراً وحسب . وهؤلاء العمال الذين يعالجون أدهى أنواع البارود ، أدنى إلى السلامة فى هذا المصنع منهم فى بيوتهم أربعة أضعاف .

إن برنامج الجيش والأسطول الأمريكيين لصنع الصواريخ يقتضى اليوم صنع مقادير من بارود الصواريخ تبلغ قيمتها ١٥٠ مليون ريال كل شهر . ولم يكن أحد فى الولايات المتحدة يعلم منذ ثلاثين شهراً ، كيف يصنع هذا البارود . وحين طلب قسم الذخائر فى

« وليد الحرب المهول الصارخ » المختار مايو ١٩٤٥ ص ٦٤

الجيش إلى شركة هركوليز أن تنشىء مصنعاً لبارود الصواريخ فى أغسطس ١٩٤٢ ، فرع مهندسان من مهندسيها وأحد ضباط قسم الذخائر ، إلى انجلترا ليظفروا بصيغ تركيب البارود التى كان الإنجليز تعلموها من الفرنسيين والألمان .

فلما عادوا إلى أمريكا تبينوا طرقاً لزيادة السرعة فى أساليب البريطانيين فى الإنتاج . ولكن كل وسيلة تقريباً من وسائل توفير الوقت التى عمدوا إليها ، كانت تزيد الخطر على العمال ، وتقتضى احتياطات محكمة لضمان سلامتهم . فمثلا كان البريطانيون يخلطون البارود ثم يجففونه أربعا وعشرين ساعة قبل بسطه رقائق ، فذهب الفنيون الأمريكيون إلى أنه إذا ما أحميت الأسطوانات استطاعوا أن يجففوا البارود ويبسطوه دفعة واحدة . ولما كان ٥٠ فى المئة من بارود الصواريخ مؤلفاً من نتروجليسرين ، على حين لا يزيد النتروجليسرين فى أصناف البارود الأخرى على ٢٠ المئة ، فقد كان هذا الرأى باعثاً على الجزع ، ولكن أرقام الإنتاج تبلغ مبلغاً عظيما إن تمّ إنفاذ هذا الرأى . فدعى المختصون بضمان سلامة العمال لكى يزيلوا ما فى العمل من خطر يهدّدهم .

تبدأ صناعة بارود الصواريخ بمعالجة القطن بالحمض النتريك لصنع النترسلولوز ، أو قطن البارود . ويمزج هذا بالنتروجليسرين ومواد أخرى ، ثم يخضّ حتى يصبح كالمرَق الكثيف ، فى مراجل كبيرة مجهزة بمراوح متحركة مصنوعة من المطاط . وحين تنظر فى جوف أحد هذه المراجل ، تسرى فى بدنك قشعريرة ، إذ تذكر أن هذه المراوح تخضّ النتروجليسرين وقطن البارود ، كما تخضّ زوجتك عجيناً رقيقاً لتصنع منه فطيراً . ولكن الثقة الهادئة البادية على وجود صناع البارود سرعان ما تبدّد مخاوفك ، ولا تلبث حتى تبتسم ابتسامة خفيفة حين تسمعهم يذكرون العربة التى تنقل هذه المادة فيقولون « عربة الملائكة » .

وهؤلاء الناس يعلمون أن الكارثة تكتنفهم فى كل وقت ، فلا تفوتهم حيلة من الحيل فى اجتناب الأذى . والعمال الذين يعملون فى مناطق الخطر يعلمون أن حمل عود من الكبريت القدّاح هو الطرد من العمل فى الحال ، والمبانى مبنية كأصغر ما يمكن أن تكون ، وتفصل بينها مسافات بعيدة .

وحتى عدد الذين يعملون فى بناء واحد ، عدد محدود ، فإذا كانوا خمسة ، وجب أن يخرج أحدهم من البناء قبل أن يدخله زائر . ويحيط بكل بناء خطر جدار من التراب يبلغ سمكه عند قاعدته اثنتى عشرة قدماً ، لكي تتحوّل قوة أى انفجار إلى فوق .

وللمبانى مزالق للنجاة بدل السلالم ، وأرضها مبلطة بالرصاص لتخفيف خطر الشرر ، وثمة احتياطات كثيرة أخرى .

ولا يكاد يخرج هذا المرَق الكثيف من الدور التى يخلط فيها ، حتى يكون قد جفف فصار معجوناً رطبا ، فينقل إلى الدور التى يبسط فيها . فيلقى قدر زنته ستة أرطال من هذا المعجون على أسطوانتين ضخمتين من الصلب قد أحميتا إلى درجة ٩٨ سنتجراد ، فتضغط الأسطوانتان المعجون حتى يصبح رقيقة تشبه ملاءة من المطاط الأسود . وفى هذا المكان تشبّ أكثر الحرائق .

ترتدى كل عاملة ثوباً أنيقاً أبيض ، حذاءين وقفازين وعمامة لا تأخذ فيها النار ، وتتقنع بقناع من العجائن الكيميائية يغطى وجهها ، وتتدلّى منه فوطة مدسوسة فى طوق ثيابها لتقى حلتها . وجميع الملابس مما لا تأكله النار .

ودار البسط (وثمة عشرات منها) بناء منخفض يبلغ طوله نحو مئة قدم ، وله شرفة مسقوفة تمتد من طرف إلى طرف . وفى كلّ بناء أربعة عنابر ، وفى كل عنبر آلة وعاملة واحدة ، وبابان للخروج . وللعاملة مساعدة تنقل إليها من دار الخلط ملء دلوٍ من معجون البارود ، وتسلمها إياه عند الباب الخارجى . فتمشى العاملة مسافة خمس وعشرين قدما وتفرغ البارود على الأسطوانتين ، ومن ساعتئذ لا تولى الآلة ظهرها أبداً .

تراها ترجع القهقرى إلى باب العنبر الداخلى ، حيث الأذرع التى تسيطر بها على الآلة ، فتحرّك الأسطوانتين وتقفهما مراراً حتى يصبح معجون البارود موزعا توزيعا متساويا عليهما . ثم تدخل العنبر ثانياً وتفرغ ملء ظرف صغير من مادة كيميائية ، منحنية قليلا لكى تبسط المادة . ثم ترتد متقهقرة فتمد يدَها وراءها لتأخذ مكنسة ، وتعود لتكنس الآلة والصحن الكبير الذى تحتها . ثم تعود القهقرى ، كأنها مروّضة الأسد فى قفصه ، فتضع المكنسة مكانها .

والآن تبدأ الأسطوانات تدور و « تطبخ » البارود وتضغطه فى أربع دقائق أو خمس فتجعله كالملاءة ، وتجلس الفتاة على كرسىّ فى الشرفة لتراقب الساعة ، وفى الوقت المحدد تعود إلى أذرع السيطرة فتحرك إحداها ، فتقطع شفرة رقيقة تلك الملاءة عن الأسطوانتين ، فتسقط فى الصحن تحت الآلة . وحين تفعل ذلك تسارق النظر على حذر إلى هيكل الباب ، لأن معظم الحرائق يشب فى أثناء هذا العمل .

ويسبق شبوب الحريق دائما صوت

قرقعة مخيف ، فهو نذير للفتاة بالإسراع إلى الفرار . فضغط الغاز الذى يتولد فى جزء من الثانيـة يبلغ مبلغاً عظيماً يحس خارج البنـاء ، على أربعين قدماً أو أكثر من الآلة . وقد ضغط مرة فتاة عاملة على الجدار فكانت كأنما سمّرت عليه — قالت : « كأن مارداً أخذ بتلابيبي وضرب بى الألواح » . وكانت نفخة الغاز كافية لتطرح فتـاة أخرى على الأرض ، ولكنها ظلت محتفظة برباطة جأشها ، فبقيت منطرحة على الأرض وخرجت متدحرجة من البـاب .

وعلى أن مقدار البارود فى معظم الآلات لا يزيد على ستة أرطال ، فإن هذه المادة تحترق كأنها مشعل عظيم متوهج ، فتستطير منه ألسنة طويلة هادرة من اللهب ، وعلى أثرها سحب من الدخان الأصفر الخانق ، وأحياناً تتطاير فى كل جهة قطع من البارود المشتعل . وقد كنت واقفاً على عشر أقدام خارج الباب الخارجى حين رأيت أول نار شبت هنـاك ، فإذا هبّـة قوية من الضغط كادت تطير قبعتى عن رأسى .

ومع ذلك فإن الآلات فى الأماكن التى تشبّ فيها هـذه النيران تعود إلى العمل بعد عشرين دقيقة ، والنار نفسها لا تتعدى أبداً الموقع الذى تشب فيه . وترى تفسير هـذه المعجزة فى نظام الوقاية البارع الذى وُضع تصميمه وأتقن قبل الشروع فى بناء مصانع بارود الصواريخ . فقد دعا س . ل . جونز مهنـدس شركة هركوليز المختص بسلامة العمال ، جماعةً من مهندسى شركة « أتوماتيك سبرنكلر » (الرشاش الآلى) الأمريكية وقال : « أريد أن تبتكروا نظاماً للرش ينطلق يعمل فى نصف ثانيـة أو أقلّ » .

فعاد المهنـدسون وهم يدمدمون ، لأن أسرع نظم الرش تستغرق ثلاث ثوان قبل الشروع فى العمل . ومع ذلك فقد نجحوا فى وضع نظـام للرش يستطيع أن يقذف تياراً من الماء على نار مشبوبة فى نصف ثانية ، وقد اسـتطاع أن يفعل ذلك مراراً فى خمس ثانية .

ويركب نظام « الطوفان » هذا فى كل آلة فيجعل جزءاً أصيلا فيها . وتركب أجهزة دقيقة الإحساس على بضع بوصـات فوق الأسـطوانتين وتحتهما ووراءهما . وتـكتنف جانبى الآلة أنابيب يقـذف من ثقوبها رذاذ من المـاء يكون كالضـباب ، وثمة أنابيب أخرى ترسل ماءها على سائر أنحاء العنبر وعلى العاملة أيضا . فحين ترتفع فجأة حرارة البارود ، كما يحدث قبل نشوب النار ، تحرّك الأجهزة الحساسة الصمامات فى أجهزة الرش ، فينطلق المـاء من كل

ثغرة بمعدل ٣٥ جالونا فى الدقيقة . فيسقط « طوفانه » على الآلات وفى الغرفة كلها عند مدخلها . ومعظم الحرائق يخمد فى خمس ثوان ، قبل أن يحترق معظم البارود .

والعاملات الجديدات اللواتى يبدأن العمل مساعدات للقديمات فى نقل البارود ، معرضات لهياج الأعصاب حين يعهد إليهن أولا بإدارة إحدى هذه الآلات ، ولكن ثورة أعصابهن تهدأ بعد أن يشاهدن الحريق الأول . وقد قالت إحداهن : «أنما وأنت ترى النيران تشب حولك النهارَ كله . فإنك لا تملك إلا أن تتعودها » .

إن البلل وتشعيث الشعر المصفف هما أعظم خطر يتعرض له .

ومنذ أشهر أصيب عامل بإصابة شديدة، فأفسد هذا الحادث البسيط نجاحا متصلا منقطع النظير فى سلامة العمال فى هذا المصنع . فقد سلخ المصنع مليوناً ومئة وخمسة وعشرين ألف ساعة ، من ساعات عمل الرجل الفرد ، دون أن يصاب أحد من العمال . وقد كان هذا العامل الذى أصيب نجّاراً ، ولم يزد ما أصابه ، فى بقعة مساحتها ٤٠ ميلا مربعاً يطيف بها الموت الزؤام ، على أن انزلق من السطح فالتوى بعض عضل ظهره .

صوت التجربة

فى سنة ١٩٣٦ كان الجنرال سيمون بوليفار بكنر قائد القوات الأمريكية فى ألاسكا الآن ، يتابع دراسات خاصة بالضباط من رتبة قائمقام ، فقال محاضر صغير السن إنه ينبغى لقيادة الآلاى أن يَعـدّ برامج التدريب للسرايا ، لأن الضباط من رتبة يوزباشى قد تعوزهم التجربة فيرتكبون أخطاء إذا هم أعدّوا هذه البرامج .

فوقف بكنر وقال : « كان العم زيك مشهوراً فى بلدته بالحكمة وسداد الرأى . فسأله صديق فى أحد الأيام : « كيف أدركت كل هذه الحكمة ياعماه ؟ »

فقال الشيخ : « لأن آرائى صائبة . والرأى الصائب تكسبه بالتجربة ، والتجربة — آه .. التجربة بنت الرأى الفاسد » . [الجنرال جون و . لانج]

الجمد فى الطريق إلى موسكو

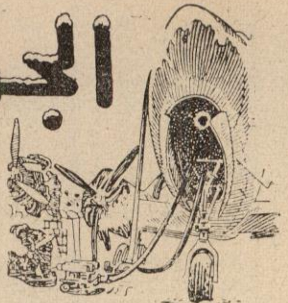

ألوف من الطائرات تنقل فى الجو نقلا مأموناً من مونتانا إلى موسكو فوق « ألسيب » وهو الطريق المار بالدائرة القطبية حيث كان الموت بالمرصاد لرجال الطائرات التى ترغم على الهبوط .

وزلى پرايس • ملخصة عن مجلة "ستردای ايڤننج پوست"

أشد الطرق الجوية برداً فى العالم هو الطريق الذى يبدأ فى ولاية مونتانا على حدود كندا فى المنطقة الغربية من الولايات المتحدة ، فيعبر ألاسكا وسيبريا متجهاً إلى موسكو . ولقد سلكته قاصدة روسيا ستة آلاف طائرة مقاتلة وقاذفة أو تزيد ، فكانت تطير مندفعة خلال أطباق الجو القارس. وقد أطلق عليه اسم «ألسيب» منحوتاً من الحروف الأولى فى لفظى ألاسكا وسيبريا .

وقد جاد أحد عشر رجلا بأرواحهم فى يوم واحد ليصونوا مسلك هذا الطريق. وكان بعض هؤلاء على متن ناقلة طواها عارض من السحاب فوق كندا . ويعتقد الطيارون أنها اصطدمت بجبل فانهال عليها الثلج ودفنها إلى الأبد . وكان آخرون فى طائرة مخصصة لموظفى الخط كانت تحاول الوصول ليلا إلى «وطسن ليك» فى عاصفة، فلما سقطت مات الطيار ومساعده ، وبقى اثنان من ركابها على قيد الحياة ، فمكثا ١٤ يوماً مع الجثث التى جمّدها البرد . ثم ربطا الزلاجات بسيقانهما المكسورة ، ولبسا أحذية الثلج فى أيديهما، وزحفا زحفاً فى جو هبطت حرارته إلى ٤٥ تحت الصفر، ثم عثر عليهما بعد أربعة أيام وهما لا يزالان يزحفان ، وقد قطعا أربعة أميال .

وفى اليوم نفسه اجتازت ناقلة منطقة يوكون على ارتفاع ١٤٫٠٠٠ قدم ، وقد تعطل جهاز التدفئة فيها ، وكانت درجة الحرارة ٥٦ تحت الصفر . فحاول أحد ركابها ، وكان جاويشاً ، أن يعيد الحياة إلى قدميه المتجمدتين ، فعرضهما للهيب متصاعد من جهاز صهر المعادن .

وكان ذلك يوماً فى أبرد شتاء عرف فى ألاسكا منذ ربع قرن ، شتاء ١٩٤٢ — ١٩٤٣ ، الذى جرب فيه طريق « ألسيب » أول مرة . فثمة بضع مئات الطائرات يجب أن تسلم للطيارين الروس فى فيربانكس بألاسكا فى شهر ديسمبر . ولكن لم يقطع هذا الطريق سوى ١٤ طائرة منها وحسب ،

فقد سد البرد والجمد مسالك الطريق إلى موسكو .

ولم يكن بدّ من تحطيم العوائق ، فقد كان النازيون أسرع فى تسيير دباباتهم الجديدة إلى ستالينجراد من الأمريكيين فى تسليم الروس طائرات ب — ٣٩ المسلحة بالمدافع التى تنسف تلك الدبابات . أما طائرات الإعارة والتأجير المرسلة بحراً إلى روسيا عن طريق مورمانسك ، فكانت مئات منها تغرق وهى فى صناديقها . فجاء أمر الرئيس روزفلت بأنه يجب أن تقدم الطائرات المرسلة إلى روسيا على كل شئ ، حتى على الطائرات المرسلة إلى سلاح أمريكا الجوى ، فإن ستالينجراد إذا سقطت ، ضاعت روسيا وخسر الحلفاء الحرب .

وكان عملا يضنى الرجال ويزلزل القلوب ، فاضطلعت به الجماعة السابعة لنقل الطائرات ، وفرقة ألاسكا من قيادة النقل الجوى فى سلاح الطيران الأمريكى . وفى الشتاء الماضى اجتازت هذا الطريق ألوف من الطائرات تخرج جماعات جماعات ، وكانت توجهها الأشعة اللاسلكية ، وتهبط للتزود بالوقود من قواعد جوية عظيمة ، فيها مدارج معبدة وحظائر مدفأة .

ولم تكن محطات الوقود فى أول الأمر سوى مدارج ضيقة من التراب ، وكان الميكانيكيون يسكنون فى خيام ، ويصلحون الطائرات فى العراء ، وكانت أجهزة اللاسلكى سخرية الساخرين . وكان الطيارون يقطعون ١٩٣٥ ميلا بين جريت فولز فى ولاية مونتانا ، وفيربانكس فى مقاطعة ألاسكا ، مقتفين أثر طيار آخر يكون قد قطعها من قبل . كانت الخرائط تحدد مواقع الأنهار

الكبيرة تحديداً صحيحاً ، ولكن بعض البحيرات كانت مرسومة على ٥٠ ميلا من موقعها الصحيح. وربّ جبل تبلغ قمته ٥٫٠٠٠ قدم، فلا ترى ارتفاعه على الخريطة أكثر من ٤٫٠٠٠ قدم .

ثم يذوب الثلج فى الربيع فتنشأ عنه بحيرات تبقى حيناً ، فيختلط الأمر حتى لا يميز بينها وبين البحيرات الحقيقية المرسومة على الخرائط . وتشب حرائق عظيمة فى الصيف ، فيتكاثف دخانها حتى يستر فورت نلسون وفورت سانت جون ووطسون ليك ، ثلاثة أيام متعاقبة . وفى

عاد الروس إلى ألاسكا بعد ثلاثة أرباع قرن منذ اشترتها أمريكا من القيصر إسكندر الثانى . ويذرع الطيارون السوفيت شوارع فيربانكس فى أحذيتهم الضخمة وسراويلهم الزرق المنتفخة وقلانسهم المكسوة بالفرو ، فى انتظار الطيارين الأمريكيين لكى يتسلموا منهم الطائرات ويطيروا بها فوق مفاوز المنطقة المتجمدة إلى الميدان الشرقى الأوربى ، ومع الطيارين عدد من النساء الميكانيكيات . ويأكل الروس طعام الأمريكيين ويشترون مما يشترون وقد زودوا بنقود أمريكية خلفتها القوات الأمريكية فى حملة أركانجل فى روسيا سنة ١٩١٩

والأمريكيون والروس لا يتكلمون لغة واحدة ، ولكن لا فرق بينهم فى الجوهر ، فكلاهما يميل إلى الأغانى المرحة ويحب المغامرة والطعام الشهى والنساء الجميلات والملابس المزخرفة الزاهية ، والطيارون الروس والأمريكيون يعجب بعضهم ببعض ، فالشجاعة تحيي والرجال الذين يطيرون فى طريق ألسيب شجعان حقا .

[رتشرد نويبرجر فى مجلة « كورونت »]

الشتاء يخفى الثلج بحيرات وأنهاراً يتخذها المسافرون أعلاماً يهتدون بها . وإذا هبت الريح سَفت الثلج فيستر المدرج ، فلا ترى شيئاً من مسافة ثلاثين قدماً فوقه قبل الهبوط . وإذا كان الجو ساجياً عجز الطيار عن أن يقدّر بعد طائرته عن الأرض وهى تهبط ، وذلك لانبساط الثلج أمام عينيه ، فلا بد من أن تغرس أشجار على جوانب المدارج ، لتعين العين على صحة التقدير .

ولا يزال بعضهم حتى الآن يضل الطريق مع ما هيئ من خرائط مفصلة ومحطات للتوجيه اللاسلكى ، فالثلج يحدث فى أجهزة الاستقبال اضطرابا فتختلط الأصوات . أما الجبال والرواسب المعدنية فتؤثر فى الأشعة اللاسلكية فتعوجّ وتنثنى،أو تنحرف متجهة إلى طرق غير مطروقة . ويحذر الطيارون من أنه ربما انقلبت الإشارة الثابتة التى تدل على الاتجاه الصحيح إلى جلبة وضوضاء ، أو تحولت إلى صمت خدّاع . وقد تنحرف إبرة جهاز التوجيه الآلى

منجذبة إلى أضواء القطب الشمالى أو إلى أقرب قمة عالية . والجو يتقلب تقلباً عنيفاً مفاجئاً ، وقد تتقلب الرؤية فى قاعدة « نوم » فى ٢٠ دقيقة وحسب ، من مدى لا حد له ، إلى « صفر فى صفر » ، دلالة على أن ارتفاع السحاب وكثافته فوق المطار قد جعلا مجال الرؤية معدوماً فى كل اتجاه . وتربض السحب طول العام متراكباً بعضها فوق بعض على الطريق ، فيتراكم الجمد على الطائرات ، وهو أخوف مايخافه الطيارون .

ويقع على عاتق سرب الأرصاد الجوية السادس عشر من سلاح أمريكا الجوى مهمة تقدير الحالة الجوية ، وهو يعتمد فى ذلك على ١٢٥ محطة موزعة على طول الطريق ، وبعضها يقع فى مناطق موحشة داخل الدائرة القطبية ، فما تظفر من البريد والمؤن إلا بما يلقى عليها بالمظلات . ورجال هذه المحطات جماعات ، كل منها سبعة رجال أو ثمانية من المتطوعين ، ثبت للذين يختارونهم أدق اختيار أنهم أقوياء الشكيمة شداد المراس ، إذ ربما مضت عليهم ستة أشهر دون أن يروا وجهاً جديداً ، فينبغى أن يكونوا أهل صبر وجلد .

فى يونيو سنة ١٩٤٢ بدأ العمل فى طريق ألسيب لنقل الطائرات فى الجو ، فوقع اختيار قيادة النقل الجوى على « جريت فولز » لتكون قاعدته الجنوبية ، لأن الجو فيها صاف صفاء البلور فى ٣٠٠ يوم من السنة . وإلى الشمال كانت تقع سلسلة من مطارات التدريب تابعة لسلاح الطيران الملكى الكندى ، وممتدة إلى مدينة إدمونتون ، ثم تليها بعض المدارج التى يستخدمها الطيارون المحليون فى الأدغال . وقد كان هذا طريقاً جويا ، ولكنه طريق مختل ، فلم يكن بد من أن تنشأ مهابط أخرى بين المهابط القائمة ، وأن توسع حتى تصير فى حجم المطارات الحربية ، ثم تعبّد أرضها .

فمدينة إدمونتون مثلا ، لها مطار معروف ، ولكن حدث فى صيف سنة ١٩٤٢ القائظ أن غاصت القاذفات الأمريكية الضخمة حتى محاور عجلاتها فى قاره الذى أذابته الشمس ، وأسرع الكولونيل تد بولن إلى معسكر فيه عمال ينتظرون أن ينقلوا شمالا لكى ينشئوا مطاراً فى « بج دلتا » على الطريق إلى فيربانكس ، فخطب فيهم وقال : إن فى مطاره ٨٠ طائرة جاثمة لا تتحرك ، ولا بد من أن تطير إلى ألاسكا — فقد قذف اليابانيون قاعدة دتش هاربور بقنابلهم . وكان عنده حمل قطار من بُسط الفولاذ ، ولكن يعوزه العدد الكافى من الجنود لإنزالها وبَسْطها على المطارات ،

ويعوزه المال أيضاً لاستئجار المدنيين . فمن منكم يتطوع للعمل — وبغير أجر ؟

وتطوعوا جميعاً — ١١٥٠ رجلا ، وفرشوا البُسط فى سرعة لا تقدر بمال ، وأنجزوا العمل فى الثالثة صباحاً ، ثم وقفوا عند الفجر يلوّحون للقاذفات وهى فى طريقها إلى غايتها .

وكانت الطائرات الأولى التى طارت إلى روسيا فوق طريق ألسيب خمساً من طائرات الهجوم طراز (أ — ٢٠) ، بدأت رحلتها من جريت فولز فى ٣١ أغسطس ١٩٤٢ ، ثم أرسلت جماعة نقل الطائرات السابعة فى ذلك الخريف عدداً أكبر من القاذفات مع طائرات نقل من طراز (ث — ٤٧) ومئات من المقاتلات طراز إيرا كوبرا (ب — ٣٩) . وكان الشبان من الأمريكيين ، الذين لم يكادوا يتمّون تدريبهم على قيادة تلك الأنواع الجديدة ، يترفقون فى الهبوط بها فى فيربانكس كأنها بيض يُخشى أن يتكسر . أما الطيارون الروس الذين كانوا يتسلمون تلك الطائرات ، فكانوا أكبر سناً وأشد بأسا ، وجميعهم من الطيارين المقاتلين ، فكانوا يطيرون بها كأنهم فى حومة القتال ، ويطلقون لها العنان . وكان عليهم أن يطيروا إلى « نوم » ثم أن يعبروا مضيق بيرنج فى طريقهم إلى موسكو ، أى حوالى ٦٠٠٠ ميل ، وكانوا على عجلة فى أمرهم .

ومضى نقل الطائرات على خير حال حتى أطبق الشتاء الأول ببرده ، فكان الميكانيكيون يتناوبون الخروج كل عشرين دقيقة من خيام مدفأة إلى الطائرات ليتعهدوها . فإذا عريت أيديهم سقطت أصابعهم من البرد ، وإذا ارتدوا القفازات عاقتهم حتى لقد يستغرق تغيير شمعة الشرارة ساعتين من وقتهم . وكان البنزين إذا انصبّ على الأيدى ، تجمدت كأنما مسها هواء سائل ، وكان الصقيع يذهب بأصابع الأقدام . وقد فقد أحد الضباط المنكودين شفته السفلى . وكان الرجال يختفون إذا اشتملت عليهم العواصف الثلجية وهم على بعد ١٥ قدماً من مدرج الطيران ، فكانت جماعة الإنقاذ تركب الجرارات لتبحث عنهم .

أما أعقد مشكلاتهم فكان تحريك المحركات . وقد نصحهم رواد الطيران فى ألاسكا بأن يخففوا الزيت ببعض البنزين عند هبوط الطائرة ، وأن يدفئوا المحرك فى الصباح بالنار . أما الآن فقد أصبح فى وسع البريجادير جنرال ديل ف . جافنى قائد فرقة ألاسكا أن يضمن دوران المحرك إذا اتبع الأسلوب الآتى : يخفف الزيت ، ويدس جهازاً كهربائياً للتدفئة فى خزان الزيت

ويتركه فيه طول الليل ، وفى الصباح يزيد الحرارة ساعتين . ولكن عليك أن تسخن آلة توليد الحرارة أولا حتى تستطيع أن تشعلها .

وقد قتل عشرون طياراً على طريق ألسيب ، وبعضهم ضاع ولم يعثر عليه . وفى الشتاء الأول كاد الموت يكون حتما على كل من اضطر إلى الهبوط ، أما الآن فقد قلّ مقدار ما يفقد من الطائرات إلى طائرة واحدة من كل ١٢٠ ، كما صرح بذلك الكولونيل كرميت هات قائد الجماعة السابعة لنقل الطائرات ، ولكن معظم الطيارين ينقذ .

وأنشأت فرقة ألاسكا فى ديسمبر ١٩٤٣ جماعة للبحث والإنقاذ ، وجعلت الميجور جوزيف وستوفر قائداً لها ، وهو طيار قديم مجرب ، ومن يومئذ لم تفقد طائرة إلا وعثروا عليها .

وقد عمد بعض الطيارين الضالين إلى تحريك جهاز الاستغاثة بالراديو ، فأتتهم طائرة الإنقاذ فى أربعين دقيقة . ويعمد آخرون إلى إرسال أعمدة الدخان فى الهواء ، أو رسم علامة الخطر على الثلج بالأقدام قبل إحاطتها بأغصان الشجر . فإذا لم ير الطيارون الباحثون هذه العلامات فتشوا عن أرض اسودت من النار ، أو شجر تكسرت أعاليه ، فهذه دلائل قاطعة على سقوط طائرة . وإذا عجزت طائرة الإنقاذ عن الهبوط على الزلاجات أو العوامات ، ألقيت المؤن بالمظلات ، ثم يتجه فريق من رجال الإنقاذ إلى المكان فى زلاجات تجرها الكلاب .

ويعود الطيارون الذين ينجون من الهلاك بعد أن يقفزوا بالمظلات أو يضطروا إلى الهبوط ، فيروون روايات عجيبة عن حسن حظهم . فالملازم توماس ديكيارا الذى قفز فى زوبعة شتوية دون قفازات أو مؤونة أو عيدان ثقاب ، قد هبط على مقربة من الخط الحديدى الوحيد فى منطقة تبلغ مساحتها مئات الأميال ، وبعد خمس عشرة دقيقة التقطه قطار لا يقطع الطريق إلا مرة كل أسبوع . وكان الملازم كرين هو الرجل الوحيد الباقى على قيد الحياة من ركاب قاذفة ساقطة ، فعثر على كوخ صياد غاص بالمؤن ، وبعد أربعة وثمانين يوماً عاد إلى قاعدته .

ويزود الطيارون قبل رحيلهم بتعليمات خاصة عن المحافظة على الحياة فى المنطقة المتجمدة . فالأقدام هى المشكلة الأولى . وقد اتضح أن أحذية الطيارين المبطنة بالصوف ، والتى كانت تقدر أعظم تقدير ، لا قيمة لها على الأرض ، فداخلها يبتل من العرق وقطع الثلج ، والأقدام تجمد إذا ابتلت .

وخير منها أحذية خفيفة من القماش الخشن، نعالها من الجلد اللين ، فضفاضة بحيث تسمح بلبس عدة أزواج من الجوارب . فإذا لم تكن هذه الأحذية متاحة ، أشير على الطيارين بأن يلفوا حول أرجلهم شرائط من قماش المظلات .

ويعد الجنرال جافنى طريق ألسيب أعظم طرق العالم مشقة — فهو مماثل لطريق بورما الجوى بين الهند والصين ، ولكنه خمسة أضعافه فى طوله، وهو محتاج إلى مايزيد على ٢٠ قاعدة جوية وميداناً للهبوط الطارىء . وأكثر هذه الميادين بعداً وانقطاعاً عن الدنيا ميدان « جالينا » ، الواقع على منعرج فى نهر يوكون بين مدينتى فيربانكس ونوم . وفى الربيع الماضى ارتفع مستوى نهر يوكون بعد أن سدّت الثلوج مجراه ، فأغرق المدارج والثكنات والحظائر تحت ست أقدام من الماء . وعثرت طائرات الإنقاذ على رجال المطار متجمعين على ثلاثة أكوام من الحصى وسط الماء القارس والحطام الطافى .

فإذا منع الماء أن يدخل مطار «جالينا» ، بزيادة السدود حوله ، أصبح طريق ألسيب صالحا للعمل فى جميع فصول السنة من مونتانا إلى نوم . وهو الآن الطريق الجوى الذى حظى أكثر مما حظى أى طريق جوى آخر بمعدات تهيئه لمواجهة الشتاء . ويحتمل أن يصبح هذا الطريق الذى أنشأته قيادة النقل الجوى لإمداد روسيا ، جزءاً من شبكة خطوط الجو فى زمن السلم .

● روى آرتشى بلوم ، خبير مكتب الأرصاد الجوية فى مطار وشنطن القومى ، أن سيدة استدعته بالتلفون فى أحد أيام مارس لتسأله عن حالة الجو يوم ١٨ يونيو ، لأنها تنوى أن تقيم حفلة فى الخلاء احتفالاً بزواج كريمتها .
فقال : « لا نستطيع أن نعلم حالة الجو على هذا المدى البعيد » .
فقالت محنقة : « ما بالكم يا قوم ، أليس عندكم تقويم ؟ » [فرانك كارى]

● تعب جزّار فى بردجبورت بولاية كونكتكت ، من تكراره لعملائه : « لا لحم اليوم » ، فأخذ ذيل بقرة وربط عليه شريطاً وعلقه ، وعلق فيه بطاقة جاء فيها : « لم يبقَ إلا هذا » . [جيمز هوارد فى صحيفة « ب. م »]

الرجل الذى لم يرد أن يموت

بوب دايفس • ملخصة عن مجلة "نيويورك صن"

قال طبيب الجيش: « إن علم الطب ليس آخر سلاح لإنقاذ الأرواح، كما يعلم كل طبيب مارس العمل فى جبهة القتال وسأضرب لك مثلا :

« كان بين الجرحى فى مستشفى مؤقت وراء خطوط القتال فى شاتوتيرى سنة ١٩١٨ جندى إرلندى من مدينة أيوا، أصيب برصاصة اخترقت ظهره خلف الترقوة اليمنى ونفذت فى الرئة والحجاب الحاجز والمرارة والكبد، وثقبت فى أمعائه ١٣ ثقباً منها ستة ثقوب مزدوجة ».

فسألته : « هل كان الجريح فى وعيه ؟ »

قال : « أجل كان كامل الوعى طيب النفس، ولما أخذنا نتهيأ لإجراء الجراحة قال بصوت سمعه كل واع بالمستشفى : سأكون بخير حال ، فلا يشغلك أمرى يا دكتور.

« وخدرناه بالأثير ثم فتحنا بطنه وخطنا الثقوب ، وفعلنا كل ما ينبغى . وأعجب العجب أنه لم يمت ، بل لقد أفاق من المخدر نشيطاً نشاطاً مدهشاً ، وقال إنه بخير حال ، وكان إلى جواره اثنا عشر آخرون مصابون بجراح بليغة ، فاستوى أحدهم فى سريره جالساً ونظر إلى جندى أيوا فانطلق ضاحكا وهو يقول : « إذا كان هذا الرفيق قد استطاع أن يبرأ فكذلك أستطيع أنا » .

« ومن يومئذ إلى أن انقضى الأسبوع كنت كلما دعيت إلى حجرة أخرى، حيانى الجريح بتحية لا تختلف : « سأكون بخير حال ، فلا يشغلك أمرى يا دكتور » . وكذلك أصبح يدعى بالرجل الذى لا يريد أن يموت ، وقد ألقى فى كل نفس ممن حوله عزماً على أن تعيش . وانتكس مرات فارتفعت حرارته ، وتواتر نبضه ، واختلفت عليه الأعراض المقلقة ، ولكن إيمانه بالشفاء لم يتزعزع مرة حتى وهو فى بُحرانه الدائم.

« بل لقد جعل يرسل الممرضات رسلا إلى المرضى ويقول لإحداهن : قولى لهذا الرجل الراقد هناك ذى الرأس المهشم إن فى أحشائى من ١٣ إلى ٢٠ ثقباً ، وإننى سأعود إلى الجبهة من جديد . وقولى لذلك الرفيق الذى يحسب أنه سيفلج ، إن هذه الحرب لم تكد تبدأ ، وسليه أن ينهض قائماً على ساقيه بأسرع ما يستطيع . وكانت رسالته إلى ضابط أصيب برصاصة فى جنبه

الأيمن : ما دام قلبك سليما فلا عليك ، إن شاباً مثلك يستطيع أن يحتمل شيئاً كثيراً من نوائب القدر ويتغلب عليها ، وعند ما أعود إلى الفرقة سأقول لأصحابي إن قضاء شهر في المستشفى ليس إلا إجازة .

« وعند ما غادرت المستشفى مررت بهذا الجريح لأودعه فقال لي : أعلمني بمقرك لأرسل لك كتاباً يحمل إليك نبأ عودتي إلى فرقتي . إن الرجل لا يستطيع أن يقضي حياته راقداً هنا محوطاً بطائفة من الممرضات بخدمنه . الوداع يا دكتور ولا يشغلك أمري .

« ولا ريب في أن هذه النغمة المتفائلة التي ظلت تتردد كل يوم ، قد ألقت سرها في قلب كل من كان في المستشفى . وقد مات أربعة من اثني عشر مصاباً بالجروح البليغة ولكن الثمانية الباقين تأثروا بما سمعوا منه حتى خرجوا من المحنة سالمين . ولقد كان الأطباء والممرضات جميعاً يشعرون بالقوة التي يبثها هــذا الرجل الفرد وهو يصيح حتى يسمعه كل أحد : « سأكون بخير حال » . وقد لاقيت فيما بعد طبيباً من أطباء المستشفى كان هناك يوم فارقها هذا الرجل المتفائل ، فأخبرني أن كل زملائه في الحجرة كانوا يؤمنون أن هذا الإرلندي هو الذي أخرجهم من القبور .

« لقد علمني هــذا الجندي أن المريض الرعديد مصيره إلى الهلاك ، وأن الدواء بلا أمل لا خير فيــه . ومن الهدايا التي خرجت بها من تلك الحرب ، رسالة جاءتني من جبهة القتال بخط جندي عاد إلى فرقته وهذا نصها بتمامه :

« إنني بخير حال ، فلا يشغلك أمري يا دكتور ! » .

نشر مخزن كبير في بلدة جاكسونفيل سلسلة من الإعلانات عن صنف جديد من رقائق الصابون ، وكان فوق الكلام صورة غسالة تبتسم وذراعاها غارقتان إلى المرفقين في رغوة الصابون . وفي بريد الصباح التالي تلقى المخزن رسالة ، تحتوي على قصاصة الإعلان وقد كتب تحتها : « أنا لا أعبأ شيئاً برقائق الصابون ، ولكن أين أجدُ الغسالة ؟ »

"الفتق"... إماطة اللثام عن حقيقته

پول دى كروف

يصيب الفتق ملايين من الناس ولكن قل من يعلم أن علاج الفتق بالجراحه بسيط ميسور

لى صديق من المثقفين فى بداية العقد السادس من عمره، ولم يشتد به مرض قط، فانتابته ذات صباح نوبة من السعال، وما لبث أن شكا من ألم فى الصِّفاق (ما بين أسفل البطن وأول الفخذ) ثم اشتد الألم، وغثيت نفسه، وأحس بنتوء فى موضع الألم فأسرع إلى طبيبه، فأخبره أنه مصاب بالفتق.

كان صديقى يعرف كلمة الفتق ولا ريب، ولكن لم يكن يدرك شيئاً من خطر الفتق، ولا ما عسى أن يكون له من أثر خطير فى حياته. وكان قد قرأ ما ينشر الدجالون من دعايات عن أحزمة الفتق وعلاجه بلا ألم. على أنه كان يظن دائماً أنه لا يصاب بالفتق إلا الذين يزاولون أعمالا مرهقة للبدن، ولم يكن يدرى شيئاً عن حقيقة الفتق، ولا عن سبب إصابته به، ولا كان يعلم أن له علاجاً ناجعاً.

وكان صديقى فى جهله مثلا لمعظم الملايين من المصابين بهذه العلة التى يبدو أن الناس اتفقوا على كتمان أمرها، فلم يظهر عنها مثلا غير مقال واحد فى المجلات العامة بالولايات المتحدة فى السنوات الخمس الماضية.

والسبب الذى لا يكاد يكون فيه شك لهذا التحريم، هو أن أغلب الفتوق تحدث فى الصِّفاق على مقربة من أعضاء التناسل. وكذلك أسدلت الحشمة المتكلفة ستورها على المرض، فأصبح علاجه مسرحاً لأرخص أنواع الدعاية والشعوذة.

إن الفتق "العادى" ليس إلا نتوء طية من طيات الأمعاء فى عضل الجزء الأسفل من جدار البطن حيث يتصل البطن بالفخذ، ومثل هذا الفتق يسمى فتقاً فى الصِّفاق غير مباشر، وهو غير مباشر لأن الأمعاء تتدلى مائلة فى جدار البطن، وهو فتق الصِّفاق، لأن الصفاق هو الاسم الطبى لما بين البطن والفخذ. وقد يظل هذا النتوء صغيراً زمناً طويلا ولكنه يأخذ يزداد، وقد تهبط منه الأمعاء الناتئة فى النهاية إلى الصَّفَن — كيس الخصيتين.

وليست العلة الأولى التى تنشأ عنها هذه الفتوق هى إجهاد البدن أو ما يصيبه من أذى كما يظن الناس، بل إن مرجعها إلى زمن الطفولة. فى وقت الميلاد تكون

خصيتا المولود الذكر لا تزالان فى بطنه ، ثم تأخذان أثناء نموه فى الهبوط ، تدفعان أمامهما أغشية البطن الرقيقة ، وتثويان فى كيس منها ، ويشق هذا الكيس طريقه بين عضلات البطن مكوناً فيها قناة يبدأ أعلاها فى البطن وينتهى أسفلها فى الصَّفَن حيث تستقر الخصيتان .

وينسد هذا الكيس فى معظم المواليد من أعلاه فى البطن ومن أسفله فوق الخصيتين عقب الميلاد ، ويتلاشى بعد أن تكون الخصيتان قد مرّتا فيه إلى مستقرهما ، ولكنه يدوم فى بعض الحالات ، بل قد يدوم على الحياة ، فيؤلف موضعاً ضعيفاً فى جدار البطن يصبح موضع الفتق فى المستقبل.

فإذا زلت قدم الإنسان أو أجهد إجهاداً مفاجئاً ، أو سعل أو عطس بعنف ، أو رفع ثقلا أو دفعه أو جره ، فقد يحدث الفتق من هبوط طية فى الكيس من طيات الأمعاء . ولا يزال الضغط فى داخل البطن يدفع هذه الطية فى الكيس شيئاً فشيئاً ، فيتسع موضع الضعف فى جدار البطن . ويصبح هذا الكيس كأنه وتد يدق بين عضلات البطن فيضنيها ويوهنها حتى تصبح من الرقة أوهى من نسيج الشبك .

بل لقد يختنق الفتق من ضغط العضلات عليه عند عنق الكيس فى داخل البطن ، فيعوق هذا الاختناق سير محتويات الأمعاء سيراً طبيعياً . وأسوأ من هذا أن يؤدى الضغط إلى وقف دورة الدم فى جدر الأمعاء نفسها ، ويسمى هذا الحادث المشؤوم باختناق الفتق الذى لا تجدى فيه إلا الجراحة العاجلة ، خشية أن تبدأ أُكلة (غنغرينا) الأمعاء التى قد تظهر آثارها فى خمس ساعات أو ست . ويبلغ معدل الوفيات بالفتق المختنق ، إذا لم تعمل للمصاب هذه الجراحة ، نحو مئة فى المئة .

وإنه لأبعد ما يكون عن الحقيقة أن الفتق يكثر حدوثه للعمال فى الصناعات الثقيلة . ومن الطبيعى أن يكون الفتق إلى الرجل الذى يقطع الصخر أسرع منه إلى رجل الدين ، ولكن ذلك لا يمنع أن يحدث للموظفين عاجلا أو آجلا ، إذا كان لديهم هذا الكيس الذى رافقهم من عهد ميلادهم دون أن يحسوا بوجوده .

ويندر أن يهبط الفتق على صاحبه هبوط الصاعقة ، وإنما هو مرض بطىء مطرد قد يظل يسرى سريان النار تحت الرماد سنين كثيرة ، قبل أن يبدأ فى تعذيب من يصاب به . ويقول الدكتور ج . ج . مورهيد الجراح بمدينة نيويورك ، إن عدداً كبيراً جداً من الرجال قد يكونون مصابين بالفتق ولا يشعرون به شهوراً أو أعواماً ، ومع ذلك فالأطباء الحاذقون يستطيعون

أن يتبينوا المرض فى أغلب الأحيان حتى فى هذا الدور الخفى . واحتمال الإصابة بالفتق من أكبر الأسباب التى توجب على المرء أن يحرص على أن يفحصه طبيبه فى فترات .

وقد يصاب النساء بالفتق ، وإن كانت إصابتهن أندر كثيراً من إصابة الرجال . والفتق فى النساء خليق أن يُعْجزهن ، وأن ينتهى إلى الاختناق الخطير . ويحدث فيهن الفتق من ضعف فى المكان الذى تمر فيه أوعية الدم الكبيرة من البطن إلى الفخذ ، والفحص الطبى يكشف هذه الحالة فى أول عهدها .

ومعظم ضحايا الفتق قوم يقضون حياتهم فى كرب ممض وهمّ مقيم ، فإن النتوء فى الصّفاق لا يلبث أن يبدو لهم فيدركوا أن عضواً حيوياً من أحشائهم صار فى مكان لا ينبغى أن يكون فيه . وهذا الكرب يضنى الفكر كما يضنى الجسم ، إذ يظلون فى خوف دائم من أن يجرّوا شيئاً أو يدفعوه أو يرفعوه ، أو يقوموا بعمل شاق ، بل حتى تراهم يخافون العطاس .

ويحاول الملايين من المصابين بالفتق أن يكبحوا هذه العاهة الخطرة المضنية باستعمال الأحزمة . والعادة أن يكون رد الفتق ممكنا فى أدواره الأولى بدفع طية الأمعاء الناتئة من مكانها فى الكيس إلى البطن ، وعندئذ قد يمكن أحياناً حبسها فى البطن بحزام ، لكن الأحزمة لا تشفى الفتق أبداً ، وإنما هى تخفيه .

والأحزمة فى ذاتها كرب ، وأشد ما تكون مضايقة فى الصيف . وفوق ذلك فإن ضغط الحزام الدائم يوهن العضلات ، ويجعل برء الفتق أعسر إذا مست الحاجة إلى إجراء جراحة فى المستقبل . وكثيراً ما يجد الجراحون أن الفتق قد أفلت من جانب الحزام مع وثوق المريض من حبسه ، بل إن الحزام ، مع عجزه عن علاج الفتق ، قد يمهّد الطريق للاختناق .

ولولا الفتق لزاد فى جيش الولايات المتحدة اليوم ٢٤٠٫٠٠٠ من المقاتلين الأشداء . ويقدرون أن عمال الصناعات المصابين بالفتق يقلّ معدل قدرتهم على العمل ٢٥ فى المئة . وليست ثمة وسيلة تقى من الفتق قبل حدوثه ، ولكن الفتق مرض من أقرب أمراض الجسم شفاء .

وقد انقضت ٢٥ سنة زاد فيها معدل الشفاء الدائم زيادة باهرة ، ولعل أكثر من ٣٠ فى المئة من مرضاه كانوا ينكسون بعد الجراحة فى العقد الأول من هذا القرن .

ولكن المصابين بالفتق اليوم يبرأون فى ٩٥ حالة من كل ١٠٠ ، برءاً دائماً فى

المستشفيات التى يمتاز جراحوها بالمهارة وكثرة التجارب .

إن الفتق إصابة آلية بسيطة فى جهاز الجسم البشرى ، ومن اليسير التغلب عليه . وإليك موجزاً من الجراحة التى تجرى له : يكتشف الجراح كيس الفتق المسبب للعلة فيشقه ، ويعيد الأمعاء إلى مكانها ، ثم يحكم سد الكيس من عند عنقه فى جدار البطن ويزيله . ثم يدعم جدار البطن الواهى بتثبيت العضلات والأربطة بعضها فوق بعض .

والخطر من هذه الجراحة لا يكاد يذكر إذا أتيح للمريض جراح ماهر . وفى أكثر المستشفيات الحديثة يستطيع المريض أن يجلس فى سريره فى اليوم الذى يلى إجراء الجراحة ، بل لقد يستطيع أن يتمشى فى اليـوم الثالث . وجاء التخدير الموضعى فأصبح الشيوخ أنفسهم والمصابون بالقلاب لا يحرمون من العلاج الجراحى كما كانوا يحرمون فى الماضى . ولقد بلغ من نجاحها أن أصبح جيش الولايات المتحدة الآن يقبل من كان يرفض من المجندين المصابين بالفتق ، إذا عولجوا بالجراحة الموفقة .

مشاهد فى زمن الحرب

قد يهم الذين يضطرون إلى الوقوف فى مركبات الترام وقطارات النفق ، أن يعلموا ما حدث لجوزيف بارنز محرر الشئون الخارجية فى صحيفة نيويورك هيرالد تريبون . فقد كان عائدا من إنجلترا فى قاذفة فاضطر أن يظل واقفاً فيها طول المسافة من جزيرة أيسلندة .

[صحيفة « نيويورك هيرالد تريبون »]

• • •

لم تزل قبيلة تشيبيوه من الهنود الحمر ، محافظة على ما جرت به تقاليدها من تجهيز الميت بكل ما يلزمه لرحلته إلى أرض السعادة . فحين مات شيخ القبيلة جونى أنتواين من عهـد قريب ، وضع أتباعه على تابوته وعاء من الثمار وماء للشرب ومعها بطاقات التموين !

[جون ديفيد بايك]

الرجل الذى أعاد بناء أسطول المحيط الهادى للولايات المتحدة ، يرى أن الروح المعنوية خير عدة للهجوم .

نيمتز
وقوّاده البحريّون

فلتشر پرات

ملخصة عن مجلة "هاربرز"

دعى الملازم « لامار » لمؤتمر عاجل فى وزارة البحرية وكان فى حمامه فى ساعة متأخرة بعد ظهر يوم الأحد ، ولم يذكر له شىء عن الغرض منه . وقد احتشد لدى الباب عدد كبير من مشاة البحرية فى ذلك اليوم الأغبر من ديسمبر سنة ١٩٤١ ، فأدرك لامار أنها هى الحرب . وكان قد دار حديث متقطع بين نوكس وزير البحرية ، وفورستال نائبه ، والأميرال ستارك ، والرير أميرال نيمتز من مكتب الملاحة البحرية .

وكانوا يُرَوْن كالحيارى لافتقارهم إلى الأنباء عما كان يجرى فى هنولولو (حيث كانت المدافع الرشاشة لاتزال تدوى) . وكانت المناقشة إذا انحصرت فى أمر محدود ، تنتهى عادة بالموافقة على اقتراح نيمتز .

لم يكن هو يومئذ سوى أحد رؤساء المكتب (وعددهم سبعة) ، وكان من صغار أمراء البحر ، ولكن مدار حديثهم فى ذلك الاجتماع كان : « بمن نستطيع أن نثق ؟ » وقد كان نيمتز الضابط بمكتب الملاحة ، وهو المكتب المختص بشئون الموظفين ، خليقاً أن يعلم الجواب . وكان هو المرشح بعد القائد الموجود لقيادة أسطول المحيط الهادى .

إن قائد الأسطول فى أية بحرية يجب أن يعزل لساعته إذا هزم ، فقد أضاع الثقة به . وفى تلك الساعات السود ، حين كانت القنابل لا تزال تتساقط على بيرل هاربور ، لم يكن مقدار الخسائر التى وقعت معلوماً فى وشنطن ، بيد أنه كان من الواضح أن الولايات المتحدة ، فى ظل قيادة الأميرال كيمل لم تعد تملك أسطولا صالحاً للهجوم .

عمل فلتشر برات فى دار الكتب الحربية فى الحرب العالمية الأولى . ثم اشتغل بالكتابة وتخصص فى الشئون العسكرية . وهو عضو فى المعهد البحرى للولايات المتحدة ومؤلف كتب فى القوة البحرية وتاريخ الأسطول الأمريكى . وقد عاد برات حديثاً من بيرل هاربور حيث حادث الأميرال نيمتز وغيره من الضباط .

فما هو إلا أن ذكر الاسم التـالى فى القائمة ، اسم تشستر . و . نيمتز . وقد كان لأمرال كيمل صديقه الصدوق ، فلم يكن يود أن ينافسه ، ولكن ليس لضابط فى زمن الحرب حق مجاملة خلانه وأصحابه . فحين أمر نيمتز أن يتولى قيادة أسطول المحيط الهادى ، لم يكن قد نام أو أكل شيئاً يذكر منـذ بضعة أيام . وقبيل أن يركب القطار إلى سان فرنسيسكو انتحى أحد الجراحين بالملازم لامار وأخبره بأنه اختاره حارساً له — ليتعهد الأميرال حتى يصيب شيئاً من الطعام والنوم خلال رحلته .

وقد تمت هذه الرحلة فى أحوال تـكاد تـكون منتزعة من قصة متخيّلة ، فقد اشترك الأميرال والملازم فى غرفة واحدة بالقطار ، وقد حمل نيمتز اسما مستعاراً هو « مستر وينرايت » ، وزوّد بتعليمات تقضى ان يتجاهل كل إنسان . ولقد استطاع أن يصطنع بروداً تاما على ملامحه عند ما حيّاه أحد معارفه القدماء . وكان ذلك احتياطاً حكيما ، فمن يستطيع المرء أن يثق ؟ لقد قذفت إحدى سفن الشحن بالطربيد بين سان فرنسيسكو وبيرل هاربور ، ودأبت دوريات القاذفات على الحراسة الدائمة فى بحر صار كبحر الظلمات .

وكان لامار قد قضى مع رئيسه أكثر من عام ، ولـكنه فى هذه الرحلة وجد فى « نيمتز » رجلا آخر لم يعهده من قبل . فقد كان مما يؤثر عنه فى وشنطن أنه حريص كل الحرص على الرسميات والعناية بالتفاصيل ، أما الآن فقد انقلب إنساناً لطيف المعشر يضحك ويروى الفكاهات . وكان أول تقرير كامل عن خسائر بيرل هاربور فى حقيبة لامار ، وقد أمر أن يخفيهُ عن نيمتز أطول مدة ممكنة ، فصار لامار مشغول الذهن بذلك ، حتى أن نيمتز قال له قبل أن يصل القطار إلى شيكاغو إنه لن يحسن قط ألعاب المقامرة بالورق ، فاخترع له سلسلة كاملة من الألعاب التى يلعبها الرجل بمفرده لتبين له كيف تـكون عمليات التوفيق والتبديل الحسابية . فلم يكن الملازم يدرى أيهما يُسرّى عن الآخر ! !

وفى فترة الانتظار بين القطارات فى شيكاغو ، أفلتت من لامار إشارة إلى ذلك التقرير الكامل عن خسارة بيرل هاربور ، ومن هذه اللحظة أصبحت الكلمة للأميرال . وسرعان ما وضع نظاماً ثابتـاً للعمل بدأ تنفيذه منذ تحرك القطار من مدينة سانتا فى . وبمقتضى هـذا البرنامج كان نيمتز يشرب كأسين من الـكوكتيل القوى ، ويأكل عشاء كاملا ، ثم يعكف بقية المساء على تلاوة شطر من التقرير ، مهمهماً ومتمتما بين الحين والحين :

« إن هذا لخليق أن يقع لأى إنسان » .

فلما بلغا شاطىء البحر قفل لامار راجعاً ، واستقل الأميرال طائرة إلى بيرل هاربور ، ويقول الذين رأوه حين لقى كيمل ، إنه كان يحاول أن يجره جرا إلى دار القيادة ، ونيمتز يتأنى وهو ينظر إلى الأنقاض المتراكمة على امتداد الشاطىء

ولما دخلت صفوف رجال بيرل هاربور إلى حجرة الاجتماع فى ٣١ ديسمبر ليقابلوا قائدهم الجديد، لم يحملوا معهم سحب الكآبة القاتمة لتلك الكارثة وحسب ، بل دخلوا وهم يعتقدون أنهم سينقلون . وكانوا يرجحون كل الترجيح أن يعود « كيمل » إلى حيث يواجه مجلساً عسكريا ، وأن يجىء فريق نيمتز فيحل محلهم . ولكن الأميرال نيمتز قال لهم إنه يريد أن تظل هيئة أسطول المحيط الهادى كما هى لتعمل معه ، بلا تغيير .

وقد قيل إن هذه اللحظة هى لحظة الأزمة الحقيقية فى بيرل هاربور ، لحظة النصر بعد الهزيمة التى مهدت لما تم بعد من انتصار أمريكا فى المحيط الهادى . وقد كانت أيضاً بداية اجتماعات تعقد كل يوم ويحضرها جميع الضباط فى بيرل هاربور ويتولى رياستها الأميرال .

ولم تكن تلك الاجتماعات كلها جميلة وضاءة ، ولاسيما فى الأيام الأولى ، حين كانت عامة الأنباء سيئة . وكان ضباط الطيران ، الذين يقودون القوة الوحيدة المهاجمة ذات الأثر لدى الأسطول إذ ذاك ، قد اشتد حنقهم لما كان من أول نبأ قوبل به نيمتز عند وصوله — وهو أن القوة البحرية المؤلفة من حاملات الطائرات التى عهد إليها بنقل النجدة إلى جزيرة ويك قد أمرت بالعودة لظهور الأسطول اليابانى على مقربة من الجزيرة .

ثم إن أميرالات البوارج يحسون أنهم أصبحوا فى المرتبة الثانية بعد القوات الجوية . وكانوا يعتقدون اعتقاداً صادقاً أن إرسال قوات قوامها الطرادات وحاملات الطائرات إلى مياه يمكن أن تلتقى فيها ببوارج العدو ، ربما أدى إلى كارثة تخسر أمريكا من جرائها الحرب .

وقد حسمت هذه المشكلة الاستراتيجية فى بحر المرجان فى مايو سنة ١٩٤٢ ، عندما فاجأ الأسطول اليابانى الذى دار بجزر سليمان أسطول الحاملات الأمريكية تجاه أستراليا ، فلاذت البوارج اليابانية بالفرار . ولكن الأمر المهم هو الطريقة التى حل بها نيمتز مشاكل علاقاته الخاصة بهؤلاء الضباط . ففى مبدأ المناقشات ذكرته حدة الأخذ والرد قصة رواها للحاضرين ، فتبلجت الأسارير ضاحكة ، فلما عادوا إلى المناقشة عادوا يتطلبون أساساً يجمعون عليه .

وقد استطاع نيمتز أن يحذق سياسة التندر بالقصص ، بفضل ذاكرته وقدرته فى الأدب التى تتيح له أن ينتزع فكرة دقيقة من كتاب قديم ويجعلها مطابقة لموضوع جديد .

ومن ذلك أن الاستعداد لأعمال غزو سيبان سنة ١٩٤٤ أثار بعض قوارص الكلام بين قواد الجيش والبحرية . فقال نيمتز : « إن هذا كله يذكرنى بأول عمل اشترك فيها جنود البر والبحر ، وهو الذى تولاه نوح عليه السلام ! فإنهم عند ما كانوا يفرغون حمولة الفلك رأى زوجاً من القطط يخرجان منه وخلفهما ست من صغار القطط ، فقال : « ما هذا » فأجابه القط الكبير : ها ! ها ! كأنكم كنتم تظنون أننا كنا فى عراك طول الوقت ! ! »

وكان أحب شىء إلى نيمتز أن يكون على بصيرة بأساليب تفكير من يحيط به . وتقضى العادة فى بحرية الولايات المتحدة بأن يزور قائد السفينة أو مجموعة السفن ، كبير القواد حين يدخل الميناء . وكان الجميع يعتقدون أن هذا التقليد سيغفل أمره زمن الحرب ، هو وأمثاله من التقاليد ، ولكن نيمتز جعل الزيارة فى أمثال تلك الأحوال أمراً محتوماً ، فيدخل الزائر ويؤذن له بالجلوس ، ثم يواجه لساعته بأسئلة محرجة . ومع ذلك فقد

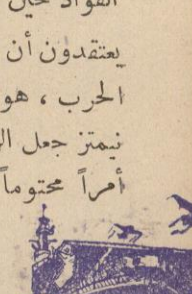

كان الأميرال يعنى بطريقة الإجابة أكثر من الإجابة نفسها . فقد كان يلتمس الرجال الذين تتجلى مواهبهم فى المآزق الشديدة . وفى ذلك ما يفسر ظاهرة من أعجب الظواهر فى حرب المحيط الهادى — وهى كثرة التغيير فى القواد. فإنما هى طريقة نيمتز فى اختيار القائد وفقاً للمهمة التى يراد أن يعهد بها إليه .

ويجتمع نيمتز أحياناً بالقائد الأعلى لأسطول الولايات المتحدة ، الأميرال كنج، على شاطىء المحيط الهادى ، ويطير كلاهما إلى المكان المحدد للاجتماع . وهذه هى الرحلات الوحيدة التى ينتقل فيها نيمتز بالجو، وقد شب هو نفسه فى سلاح الغواصات ، وليس له ولع خاص بالطيران ، بل إنه يعود من تلك الرحلات مجهداً مكدوداً .

وفى أحد تلك الاجتماعات الأولى تم الرأى على شن غارات على جزر مارشال وجلبرت فى أواخر يناير من سنة ١٩٤٢ ، على أنها تجربة تلقى ضوءاً على مسألة كانت تثير الجدل والخلاف إذ ذاك ، وهى : هل تستطيع القوات البحرية التى قوامها الطرادات وحاملات الطائرات أن تدافع عن نفسها فى دورة طويلة المدى فى المحيط ؟ ومما له مغزى أن الاختيار قد وقع يومئذ على « هولسى » لتولى القيادة وكان نيمتز قد توسم فيه أنه قائد شديد المراس يمضى فى

القتال إذا واجهته صعاب مباغتة .

ولما استقر الرأى على غزو جزر سليمان فى صيف سنة ١٩٤٢ ، طلب نيمتز أن يعهد بالقيادة إلى الفيس أميرال روبرت غورملى ، ذلك الضابط الضخم الأصلع ، الذى يتعاقب على قسمات وجهه التبسم والتجهم. وهو من أذكى رجال البحرية ، ومن أقدر الخبراء فى فن الخطط الحربية . ثم هو فوق ذلك قد درس منطقة جزر سليمان وتوزيعها الجغرافى والمياه التى تحيط بها .

وهكذا تولى غورملى قيادة أول هجوم أمريكى على القوات اليابانية . وفى الليلة الثانية ، على مقربة من جزيرة سافو ، أغرقت حاملات الطربيد اليابانية أربعة طرادات ثقيلة وأعطبت خامسة ، وهلك بذلك قلب الحملة الأمريكية كله .

كان الرأى أن يتم النزول فى جزر سليمان فى الصباح ، فخرج نيمتز من باب مكتبه نحو ساحة الرماية ، وهدّأ من أعصابه الثائرة بطريقته المعتادة ، وهى إطلاق النار على الهدف . وعندئذ ، جاءته الأنباء السارة الأولى ، فكف وعاد إلى عمله . ولما جاءته قصة كارثة جزيرة سافو مكث الأميرال طويلا متجهم الوجه ، وراح يرسل طلقاته نحو الهدف بأسرع ما يستطيع ، ثم دخل مكتبه ليملى أوامر جديدة .

ومن البيّن أن يكون أحد هذه الأوامر عزل « غورملى » ، فقد كان نيمتز على بعد ٧٠٠ ميل من مكان الكارثة ، وكان من العسير أن يعد مسئولا عنها مباشرة ، ولكنها حدثت فى زمن قيادته ، فتأثيرها خليق أن يشبه أمر كيمل وبيرل هاربور .

ثم إن معركة جزر سليمان أصبحت لساعتها مسألة دفاع عنيد حاسم فى كفاح قوات متفوقة . فلم يكن ثمة سوى قائد واحد يصلح لهذه المهمة — وهو هولسى .

كان هولسى مريضاً ، فلما أبلّ من مرضه كان عليه أن يدرس المسألة ، فلم يستطع أن يتولى قيادة الحملة إلا فى منتصف أكتوبر ، وكانت الفترة التى انقضت قبل ذلك ، وهى شهران ونصف ، أحلك فترة فى الحرب لقيها نيمتز ، فكان عليه أن يواجه الأزمة الثانية ، حين كان مشاة البحرية لا يكادون يحتفظون بمواطىء أقدامهم على جزيرة وادى الكنار ، والأسطول تصيبه سهام النقد لأنه يخفى ما خسر ، وبعض التعيينات فى القيادة وفى هيئة الضباط موضع الشك والارتياب .

لم يتنبه أحد لأى تغيير فى مظهر الأميرال ، إلا أنه أصبح أكثر لطفاً ، وأشدّ تلطفاً مع مرءوسيه . ودعى الأميرال غورملى ليتولى رياسة القسم البحرى الرابع عشر ، كى يستعان

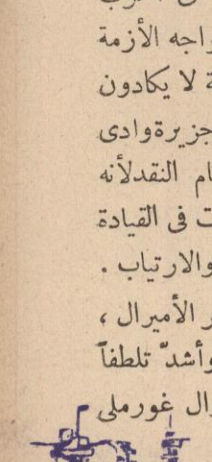

فى مقرّ القيادة بذهنـه المتوقد فى الفن الاستراتيجى. والمعتاد أن توضع الخطط قبل أن تفتح المدافع فوهاتها بنحو ٨ أشهر، وهذا الوقت الطويل ضرورى لجمع المؤن وحشد السفن، وإجراء التجارب. فلما جاء يناير سنة ١٩٤٣، كان واضحاً أن اليابانيين قد يئسوا من جزيرة وادى الكنار فأسقطوها من حسابهم. أما فى الولايات المتحدة فإن برنامج فورستال لبناء السفن كلل بالنجاح، وأصبح فى حكم المؤكد ضمان الوسـائل الميكانيكية الضرورية للقيام بأعمال الهجوم. ولـكن أى طريق تسلكه قوات الهجوم؟

إن الرأى المأثور فى الفن الاستراتيجى الأمريكى هو الهجوم فى وسـط المحيط الهادى، حيث يرجى أن يؤدى الهجوم إلى استدراج معظم الأسطول اليابانى إلى القتال. ولـكن نيمتز اختار أن يشق طريقه بين جزر سليمان، على ما يقتضيه ذلك من معارك طويلة باهظة من أجل الاستيلاء على الشواطىء، ومعارك الطائرات نهاراً، ومعارك المدمرات ليلا. وليس هنالك أدنى شك فى أنه اختار الرأى السديد. فإنّ قوات الولايات المتحدة لم تكن تملك يومئذ من التفوق فى العدد ولا التدريب ما يسمح لها بالقيام بهجوم مستمر.

وقد وضع جانباً كبيراً من الخطة الفنية ضابط جديدعين لرياسة هيئة أركان الحرب فى ربيع سنة ١٩٤٣، وهو الأميرال تشارلز ه. ما كموريس. وكان قد استقدم على عجل، ولم يكن إلا ربّاناً للبارجة «سان فرنسسكو» عند ما نشبت معركة «كيب إسبرانس (*)» سنة ١٩٤٢. ويمتاز ما كموريس بذاكرة عجيبة فيما يتعلق بحفظ الأرقام، أرقام الأطنان والتواريخ والمسافات. وفى أثناء محادثة قصيرة وجد فيه نيمتز قدرة مدهشة على تلمس طريقه خلال نسيج مشتبك من مثل هذه الأرقام، والوصول إلى إدراك شامل للموقف.

وكان لدى نيمتز منصب آخر لريموند سپروانس بطل معركة جزيرة ميدواى فى يونية سنة ١٩٤٢، وكان ذلك المنصب هو رياسة القوة الثامنة والخمسين التى غزت جزر ماريانا، وخاضت غمار المعركة الأولى فى بحر الفلبين. وقد علق أحد ضباط القيادة العامة تعليقاً يلقى ضوءاً على نيمتز وأساليبه، قال: «أجل. إن الأميرال يرى أن من الصواب إطلاق العنان لريموند الآن. فقد انتهى به إلى حيث يتشابهان فى التفكير وفى الـكلام!».

(*) على مقربة من «كيب اسبرانس» فى يومى ١١ و ١٢ أكتوبر سنة ١٩٤٢ أغرقت قوة من بحرية الولايات أربعة طرادات وأربع مدمرات يابانية. ولم تخسر إلا مدمرة واحدة.

وفى هـذا الوقت كان العمل الذى بدأ فى آخر يوم من سنة ١٩٤١ قدتم ، فأعيد بنيان الأسطول . وقد كثر فى أثناء الحرب ذكر ما طرأ على أسطول الولايات المتحدة من تقدم فى الوسائل الفنية وزيادة فى السفن والرجال . ولـكن الذى لا يفطن إليه الناس عامة هو التقدم المعنوى والحربى ، والفضل فيهما راجع إلى تشستر نيمتز ، كما أن اللوم كان لابدّ واقعاً عليه لو لم يكن ذلك التقدم .

ومن خلق رجال الأسطول : الحزم ، والثقة المطلقة بالنفس ، واتخاذ الرأى الفاصل العنيف . ولـكن نيمتز يختلف عنهم فى لين طباعه واجتهاده فى إدراك حقائق الأسباب . وقد جعله اتصاله الدائم بأرجح العقول فى رجال الأسطول أقل تشبثاً فيما يرى ممن هم أصغر منه مرتبة .

وقد أتيح له كذلك أن يقارع أصحاب أرجح العقول من رجال الأعداء . ومن عادة الأميرال ، كما هى عادة رجل الحرب الحق ، أن يسبق حركة عدوه بأن يتصور نفسه فى مكانه ، ويقدر ما عساه أن يصنع ، مستعيناً بالأنباء التى تصله عن حركات العدو التى يراها المراقبون . وقد عاد هذا العمل بربح وفير فى معركة بحر المرجان (حيث دفعته الجرأة على أن يرسـل جزءاً كبيراً من قوة البحرية الأمريكية التى كانت هزيلة إذ ذاك — إلى مكان بعيد عن قواعدها) وكذلك فى ميدواى (حيث كان يظن أن تكون الحركة التى قام بها العدو فى المحيط الهادى هى الخدعة ، وأن الحركة المتجهة إلى ألاسكا هى الهجوم الأصيل) .

ولـكن اليابانيين ، وقد أخفقوا مرة بعد أخرى فى الضرب بقواتهم المتفوقة ، قد أصبحوا يتخبطون . ويقول نيمتز : « لست أدرى ماذا عسى أن أفعل لو كنت مكانهم ؟ ولـكنى لم أ كن لأفعل ما فعلوه » .

وكانت العاقبة أن أخذ يبذل جهده فى دراسة أسلوب تفكير اليابانيين . وهو يقرأ بسرعة فائقة ، ويستوعب فى الليلة كتاباً بسهولة . وقد راح حينئذ يقرأ كل ما تقع عليه يداه عن اليابانيين ، حتى وصـل إلى بعض النتائج المدهشة مستعيناً بالأميرال ماكوريس . من ذلك أن القواد اليابانيين كانوا مكلفين أن يرسلوا التقارير بأنهم نجحوا فى أية مهمة يقومون بها ، وأن على رؤسائهم فى القيادة أن يصدقوا هـذه التقارير ولو جاءت تناقض المعقول . وعلى هذه النتائج بنيت الحركات الاستراتيجية التى بدأت فى سيبان ، وأدّت إلى موقعة بحر الفلبين الثانية ، فكانت المرة الوحيدة فى هـذه الحرب التي حاقت فيها الـكارثة بأسطول بحرى كامل .

هذه هي طبائع البشر

على حانوتيّ اشتهر بالمرح في بلد صغير بولاية أوريجون علامات الاكتئاب، فسأله صديق عن دخيلة أمره. فأسر إليه الحانوتي أنه لم يعد قادراً على تقدير ما سيكون له من عمل، وأضاف: «لقد كنت أقرأ الجريدة الأسبوعية وأقدر ما يمكن أن يكون من وفيات، ولكنني لا أستطيع اليوم أن أقدّر شيئاً. فقد قرأت ذات مرة أن فلاناً قد أثقله المرض، ثم لم ألبث أن قرأت أنه عوفي وبرأ كأحسن ما كان». ثم أضاف مسرعاً: «لا لأني آسف على شفاء إنسان، ولكن كل شيء أصبح مشكوكا فيه. أو تدرى إلامَ أعزو ذلك — إلى عقاقير السلفا اللعينة».

[كاثلين د. سلفن]

••••

كان والد له سبعة أطفال يفحص بطاقات التموين باحثاً عن قسيمة لشراء حذاء، وأخيراً وجد قسيمة في دفتر التموين الذي كان باسم طفله الصغير، وعمره ثلاثة أسابيع. وصاح وليام أكبر أولاده، وكان يراقب ما يفعله أبوه: «عجباً: أو حصلت على دفتر تموين ولم تمض أيام على الطفل الرضيع!».

فأجابه والده: «طبعاً يا بنيّ».

فقال وليام: «تالله إنكما — أنت وأمي — لتأتيان «أي شيء!» للحصول على دفتر تموين. أليس كذلك؟».

[جوزيف سلنر]

••••

في أحد أيام الشتاء أدهش والدي أفراد الأسرة بشراء تذكرة لحضور حفلات راقصة. وسألته أمي: «يا ويلتا! لماذا فعلت هذا وأنت تعلم أنك لن تذهب إلى هذه الحفلات؟». فأجابها والدي: «إني أعلم، ولكن أن يحبس المرء نفسه عن الذهاب إلى شيء، أكثر إمتاعاً من أن يبقى في منزله لغير شيء إلا البقاء».

[وير هولبروك]

••••

دعاني منذ حين جراح شهير لأرى جراحة خطيرة كان على وشك أن يجريها، فلما أخذ يستعد للجراحة من غسل يديه وارتداء غطاء الرأس والمعطف والقفازات المصنوعة من المطاط — بدا واثقاً من نفسه ولكنه متوتر الأعصاب بعض التوتر.

فسألته: «أكل شيء معدّ؟»

فاجاب: «تقريباً» ثم سكت وأحنى رأسه لحظة ثم سار هادئاً ساكناً إلى غرفة الجراحة، ولم ترتعد يداه قط وهو يعمل.

وقلت له بعد فراغه : « لقد عجبت لما رأيتك وقفت تدعو قبل دخولك غرفة الجراحة ، وكنت أحسب أن الجراح لا يعتمد إلا على مهارته » .

فأجاب : « ليس الجراح إلا بشراً ، فلا يستطيع أن يأتى بالعجائب وحده ، وإنى على يقين أن العلم لم يكن ليصيب ما بلغه من تقدم لولا معونة شىء أقوى من الإنسان » ثم أردف قائلا : « إنى لأحس وأنا أجرى الجراحة أنى أقرب إلى الله ، حتى ما أدرى متى تبطل مهارتى ، فتبدأ معونته سبحانه وتعالى » . [كينيث روبرتس]

••••

كان رصيف السكة الحديدية فى إحدى المدن يزخر بالمجندين الجدد وأصدقائهم وأقاربهم الذين جاءوا يودعونهم . وكان لكل جندى من يودعه سوى جندى شاب وسيم أسود الشعر وقف وحيداً ، قد عاجله الحنين إلى الوطن ولما يغادره . فلما بدأ القطار يتحرك اندفعت إليه بنت جميلة وقبلته ، وسمعتها تقول له فى صوت خافت : « عند ما سافر شقيقى إلى الميدان فى السنة الماضية لم أتمكن من وداعه ، وقد قتل منذ ثلاثة أسابيع . ففى رعاية الله وحافظ على نفسك » . [ت . ف ولكرسن]

فى صيف مطير كان جارى « كلارنس » يعانى مشقة فى حرث حقل فى مزرعة له بأوكلاهوما . وأخيراً غاصت جراراته فى الطين حتى اضطر إلى الذهاب إلى مخزن المزرعة لإحضار رافعة وسلسلة ومجرفة . ورآه عابر طريق وهو يجهد فى إخراج الجرارة الثقيلة فقال له : « أهناك شىء يتعبك يا كلارنس ؟ » فأجابه كلارنس باسماً : « لا . . لا تعب ألبتة . ما من شىء يتعب إلا ما لا أستطيع أن أتغلب عليه » .

[جاى هارب]

••••

كان أحد محال بيع الكتب بنيويورك — وقد قل عدد عماله بسبب الحرب — يعج بالزبائن كل فى انتظار حاجته . وقرع جرس التلفون فى قسم المشتريات بالبريد وطلب المتكلم كتباً معينة . فأجابه الكاتب : « أمهلنى دقيقة » ثم عاد يخبره أن جميع هذه الكتب موجودة وأن ثمنها ثمانية ريالات ونصف ، والدفع عند التسليم ، فبأى اسم وعنوان يرسلها .

فأجابه المتكلم : « لا حاجة إلى إرسالها ويكفى أن تحضرها إلىّ خارج المحل ، فإنى فى كشك التلفون العمومى المقابل » .

[ا . ه . نايهاوس]

قضية القنصل القتيل

آنتونى أبوت

قصة حقيقية مبنية على وقائع منتزعة من كتاب « الأطباء أبناء مايو » ، تأليف هيبت كلابساتل .

يرتكب رجل جريمة قتل ويشعل ناراً — وتكون عقبى هذه الجريمة أن يتخلص شعب من آلامه وأوجاعه .

أعنى بذلك حريقاً مشهوراً اندلعت نيرانه فى منتصف الليل ، منذ سنوات مضت ، فى السفارة الألمانية بمدينة سنتياجو فى شيلى . فلم يكد يعرف هول هذا الحريق إلا فى اليوم التالى ، وذلك حين عثر البوليس على الآثار فى المدفأة ، فأقبل رجال المباحث والأطباء الشرعيون يفحصونها ، ثم استدعوا السفير الألمانى ، فجعل يجيل طرفه فى الغرفة وقد امتقع لونه من الغيظ ، فلم يكن كالحريق المعتاد ، فقد كان حريقاً عمداً وجريمة قتل ، وقد تبين من الجمجمة المحترقة والعظام التى فى المدفأة أن الرأس حطم بآلة غليظة ، قبل أن يحرق الجسد .

صاح السفير الألمانى : « لقد اغتال قنصلنا المسكين مجرم ، وحرق جسده فى مدفأته هو ، ولعله أيضاً قد سُرق ، افتحوا الخزانة ! » .

كان السفير على حق ، فقد سلب من الخزانة مال جزيل وبعض الأوراق المالية .

ويومئذ ثارت ثائرة الحكومة الألمانية ، وبذل وزير خارجية شيلى ، ما فى وسعه ليخفف من غلوائها . وقال للسفير الألمانى : « إن بواب العمارة قد اختفى ، ولابد أن يكون هو الذى قتل قنصلكم وسرق أموالكم ولاذ بالفرار ، ولكن رجال شرطتنا سيقبضون عليه وتتم كلمة العدالة ، وسندفع لكم تعويضاً » .

وظلت الحكومة الألمانية ترسل صيحات الغضب وتهدد بإعلان الحرب إذا لم يقبض على البواب الهارب على الفور ويساق إلى المشنقة ، وخلال ذلك أعلن رئيس جمهورية شيلى نعيه للفقيد الألمانى ، أما نظام جنازته التى تكفلت شيلى بتشييعها قبل إرسال جثمانه إلى ألمانيا على بارجة حربية ، فكانت ضرباً من التذلل لم يعرف له مثيل .

ظلت سلطات البوليس وحدها ساكنة هادئة ، وأخذت تستقصى تفاصيل الحادث فاستدعت الدكتور جيرمان فالنزويلا الأستاذ فى الطب الشرعى بكلية الطب ، فتبين اضطراباً غريباً فى التقرير عن الحادث ، فقد ورد فيه أن القتيل كان فى نهاية العقد الخامس من عمره ، ومع ذلك فالجمجمة التى أمامه كاملة الأسنان ، فغادر المعمل وأسرع إلى دار أرملة القنصل .

قال لها : « هل عالج زوجك أسنانه ياسيدتى علاجاً كثيراً ؟ »

قالت : « بالطبع » .

« أرجو أن أعرف اسم طبيب أسنانه »

وما هو إلا أن كان الدكتور فالنزويلا يحادث طبيب القنصل ، ونظر كلاهما فى البطاقات والسجلات فتبين أن القنصل كان قد عالج كثيراً من أسنانه ، غير أن الجمجمة التى كانت فى المدفأة لم يكن قد خلع من أسنانها سوى ضرس واحد .

وأسرع الدكتور فالنزويلا إلى منزل البوّاب ، فلوحت زوجته بيديها فى وجهه محتدة وهى تصرخ : « إن زوجى لم يؤذ أحداً قط ، ولم يحرق بيتاً قط ، ولم يسرق قط ، ولم يقتل أبداً ، لا لم يفعل زوجى من ذلك شيئاً ألبتة » .

هدأ الدكتور من روعها ، فهو لا يريد سوى أن يسأل عن أسنان زوجها . نعم ، لقد كانت أسنانه نظيفة متينة جميلة ، وكانت هى أسنانه ، ولم يخلع فى حياته سوى ضرس واحد .

ومضى الدكتور فالنزويلا من فوره إلى رئيس المباحث ، وكانت العاقبة أن ألغى أمر القبض على البواب ، فقد عرفوا الآن أن البواب لم يكن هو القاتل بل كان القتيل ، وصدر الأمر بالقبض على القنصل الألمانى الهارب ، فقد اتضح أنه قتل البواب ، ثم ألقاه فى المدفأة ، ثم اختلس الأموال من الخزانة وأشعل النار ، ثم مضى وهو يُعدُّ فى الأموات ، يتمتع بالحياة وفى حقيبته ثروة وافرة .

وظل تدبير جريمته يبدو إلى حين ناجحاً كل النجاح ، فقد بلغ المجرم الهارب حدود شيلى الجنوبية ، وكاد يفلت إلى الأرجنتين ، لولا انهيار تل عاق سير القطار ، وقبل أن ترفع الأنقاض كبل القنصل بالأغلال ثم شنق بعد ذلك .

استردت حكومة شيلى اعتذارها وألغت نظام الجنازة ، ثم اعتذرت لها الحكومة الألمانية وقدمت لها مبلغاً باهظاً تعويضاً . ولما تسلمت الحكومة هذا التعويض أرسل رئيس الجمهورية إلى الدكتور فالنزويلا طالباً منه أن يحدد بنفسه المكافأة التى ستمنحها له حكومة بلاده المعترفة بجميله .

أغمض الدكتور فالنزويلا عينيه كأنما كان يصغى إلى صرخات الألم والعذاب الذى يعانيه شعبه ، هذا الشعب الفقير الذى لا يملك أسباب العلاج ، ولا يجد عدداً كافياً من أطباء الأسنان . فلم يطلب شيئاً إلا ما يكفى من المال لبناء كلية طب الأسنان وتجهيزها ، وهى اليوم قائمة هناك ، ثمرة غريبة من ثمرات الخير أنبتتها جريمة مستبشعة ، وأثر خالد لمروءة طبيب .

السير توماس بيتشام وأساليبه العجيبة

شريف انجليزى ديمقراطى يزاول أعظم مهن العالم ديكتاتورية

* * *

ونثروب سارجنت

ملخصة عن مجلة "لايف"

إذا استثنينا جاويشية الجيش ومدربى الحيوانات، فإن مديرى فرق الموسيقى « السمفونية » هم على الأرجح أشد الناس استبداداً وقسوة فى الأمم المتحضرة اليوم . ولا يعلل ذلك بأن مديرى هذه الفرق مفطورون على سرعة الغضب ، بل لأنهم يخالطون الموسيقيين الذين ينزعون إلى العبث والشذوذ كالقرود الذكية .

ولا آخر للوسائل التى تستطيع بها فرقة أن تعذب مديرها ، ففى وسع الزامر الذى أتقن آلته (الترومبون) أن يقذفه بكرات من الورق بدقة بالغة من خلال الموضع الملتوى فى آلته ، ووجهه البرىء إلى الناحية الأخرى . وإذا وضعت قطعة صغيرة من النقود فى أحد الثقوب فى كمان رئيس الفرقة أحدثت صوتاً غريباً كالمواء .

ومن الوسائل المسلية لتعذيب المدير أن يوقع العازف نغمات مغلوطة ليرى متى يفطن المدير إلى ذلك ، وقد لا يفطن المدير إلى الغلط أبداً . وقد حدث فى إحدى فرق السمفونيات الراقية بالولايات المتحدة أن دس عازف الكمان الكبير فقرة من نشيد وطنى فى سمفونية برامز وداب على ذلك عدة مواسم متتالية ، ولم يفطن المدير قط إلى هذا الدس . ويعد العازف هذه الخدعة من أعظم ما وفق إليه فى حياته الفنية .

ومن هذا يتضح لماذا يفترض معظم كبار المديرين من بداية الأمر أن الموسيقيين فى فرقهم مجرمون على الأرجح . ولابد للمدير من أن تكون له اليد العليا وأن يحتفظ بسيطرته . وتختلف وسائل المديرين إلى هذه الغاية باختلافهم، فتوسكانينى

مثلا له قدرة دقيقة جداً على معرفة ما يصنع كل فرد ، وفى وسعه أن يشعر بالحافز إلى العبث قبل أن يحدث تقريباً . وستوكوفسكى يخضع فرقته بنظرة فيها تسام وعظمة ، وفريتز رينر يصك جباه رجاله بوابل من الجمد اللفظى لا رفق فيه ، وسرج كوسيفتسكى يصرخ من الألم لأيسر شبهة تهاون .

ولعل أغرب وسيلة وأشدها انحرافاً عن المألوف هى التى يجرى عليها السير توماس بيتشام مؤسس فرقة الفيلهارمونك اللندنية ومديرها ، الذى كثيراً ما يتولى إدارة الفرق فى الولايات المتحدة وهو رجل له أبهة وسمت وعليه جلال يكسبه شخصية ملحوظة فى أى مجال فى الحياة . وهو يبدو كأنه اعتاد القيادة والأمر ، حتى إن المحاولات الصغرى للعبث لا تكون فى حضرته إلا غثة سخيفة . وهو لاطمئنانه إلى ما اعتاد من السيطرة ، يسعه أن يلين دون أن يخشى أن يفقد سلطانه ، وهو يستطيع أن يمزح ، وأن يستشير رجاله ، وأن يمثل طاحونة هواء . وأن يمضغ طرف عصاه ، وأن يعترف فى صراحة أنه لا يحفظ الصوت — ومع ذلك يحتفظ بجو من الوقار والاحتشام . ويروى أن برنارد شو قال : « إن بيتشام هو المدير المدرك الوحيد الذى قابلت » وهو على كل حال ذو موهبة يستطيع بفضلها أن يعامل رجاله معاملة الزملاء الراشدين ، وهذا فيما يحس عازفو السمفونيات سلوك لا عهد لهم به يتركهم مضطربين .

ويذهب كثيرون من رجال الفرق الموسيقية أن بيتشام لا يقوم فى الحقيقة بمهمة الإدارة على الإطلاق ، فإشارات كوسيفتسكى المصقولة بعناية ، وأسلوب توسكانينى الدقيق فى إيماءاته بعصاه — أشياء يستغنى عنها بيتشام . وهو فى الواقع ليس له فن تَمَّ فى استعمال عصاه ، فترى شخصه الجليل المجتمع يثب وينحنى كأنه مراهن مهتاج الأعصاب يوشك جواده أن يفوز ، ويندفع كالمبارز ، ويُقعى كأنما يهم بمصارعة النافخ فى الناى . وإذا أشار إلى الضاربين على الآلات النحاسية ليدخلوا دخولا قويا ، قام بمثل حركات قاذف الكرة ، وكثيراً ما يدع عصاه تقع من فرط اهتياجه ، بل قد يقع هو عن المنصة . وقد قال مرة بعد حادثة من هذا القبيل : « إن المنصات مجعولة خصيصاً كجزء من مؤامرة للتخلص من المديرين » . وحدث مرة فى حفلة موسيقية بقاعة كارنيجى أن بلغ من اهتياجه الفنى أن انقطعت حمالة سراويله فاضطر أن يغادر المسرح وهو ممسك بأطراف السراويل .

والعجيب من أمر هذه الحركات الرياضية

هو أن الموسيقى التى يديرها السير توماس تخرج دقيقة مصقولة الحواشى بارعة . وما من مدير آخر مشهور من معاصريه — حتى ولا توسكانينى — يستطيع أن يباريه فى إكساب الموسيقى تلك الرقة ، مع القوة التى تفيضها حركاته العنيفة على سمفونية لموزارت أو هيدن .

وترجع وثاقة الحال العجيبة التى يتمتع بها بيتشام من بعض الوجوه إلى أنه من الوجهة المالية مستقل تمام الاستقلال ، فإنه من أغنى الإنجليز ، ذلك أن الثروة التى تبلغ ١٥٠,٠٠٠,٠٠٠ ريال والتى جمعها آباؤه من اختراع أشهر مسهل فى إنجلترا وبيعه — حبوب بيتشام — قد مكنت السير توماس من أن يشترى فرقاً لموسيقى السمفونيات،ودوراً للأوبرا ، كما يمكن أن يشترى غيره من أصحاب الملايين إسطبلات لخيل السباق . ولعله المدير الوحيد فى العالم الذى يتولى الإدارة لما يفيده من المتعة — وهى متعة لا تشوبها أو تعكر صفوها أية شائبة من القلق ، من جراء ما عسى أن يكون رأى النقاد أو المستمعين أو مجالس الإدارة فيه .

وثم عامل آخر هو بلا شك ظرفه والاتزان العظيم الذى يمتاز به عقله الذى يطيب له أن يتحدى تقاليد الأبهة الجوفاء التى كثيراً ما تحيط بمهنة المديرين ، ولكن لعل أهم عامل هو أنه حجة فى فن الموسيقى ، ذلك أنه على الرغم من مخرقته عالم بالموسيقى وفنان راسخ القدم .

ولما كان السير توماس صغيراً كانت دار آل بيتشام قرب ليفربول ملتقى لمشهورى الموسيقيين من جميع أصقاع أوربا . وبينما كان توماس فى صباه يدرس البيانو والتلحين الموسيقى ، أحاط علماً بتقاليد الموسيقيين وأحوالهم النفسانية .

ولما بلغ العشرين نظم فرقته الأولى لموسيقى السمفونيات ، وكان هذا المشروع قصير العمر ، ولكن السير توماس لم ييأس . وبعد ذلك بقليل اتخذ مقعده بين صفوف الموسيقيين فى فرقة بريطانية صغيرة للأوبرا التماساً لوظيفة عازف مرافق لمغن ، وكان أحد المغنين قد نسى اللحن ، فعرض السير توماس خدمته فقال له رئيس الفرقة : « ولكن أمدرك أنت ما عليك ؟ سيكون عليك أن تعزف من الذاكرة وحدها » فقال السير توماس : « أعرف هذا على التحقيق » . ولم يقتصر السير توماس على مرافقة المغنى فى نغماته بالعزف ، بل راح يتابع ويرافق مغنين آخرين متتالين فى عدة روايات ، بلا خطأ ومن الذاكرة ، فعينه رئيس الفرقة مديراً لا عازفاً مرافقاً .

وهو اليوم من الثقة بعلمه بحيث يندر أن يكلف نفسه عناء الدرس والمراجعة ، وهو ما يعده معظم المديرين ضرورياً . وقد عرف عنه فى مسرح « كوفنت جاردن » أنه لا يحضر إلى مكان الفرقة إلا فى الدقيقة الأخيرة قبل الابتداء ، فيتناول عصاه ويقول لعازف الكمان الأول : « قل لى يا صاحبى : أى أوبرا سنعزفها الليلة ؟ » .

وقد زار بيتشام الولايات المتحدة مرات عديدة ، وصار فيها من أحب مديرى الفرق الموسيقية وفرق الأوبرا . ولا يزال وهو فى الخامسة والستين فى ذروة مجده .

وقد نال السير توماس رتبة الفروسية على أثر خدمات أداها للامبراطورية البريطانية كسفير ثقافى فى إيطاليا فى الحرب العالمية الأولى ، ولا يزال قادراً على التحدث بعمق وظرف وفكاهة فى أى وجه من وجوه السياسة الدولية أو فلسفة الحكومات ، وقد تعمق فى درس روايات عصر الملكة اليصابات ، وعلى الخصوص روايات بومونت وفلتشر وهو يضع الآن فيها كتاباً .

ومع أنه ينظر إلى الحياة نظرة الرجل الذى يعيش فى عزلة عقلية يستمتع بها ، إلا أن هناك موضوعين يتلهب من جرأيهما حنقه : موسيقى الراديو وموسيقى السنما . وهو يعتقد اعتقاداً راسخاً فيما يتعلق بموسيقى الراديو أنها « لن تستطيع أن تبلغ الكمال الصوتى الذى يجده المرء فى العزف الحقيقى ، لأنهـا تضطر إلى المرور بمفاتيح وروافع وآلات كهربائية يديرها رجال كلهم تقريباً ميكانيكيون لا فنيون » .

والثانية هى موضع بغضه الخاص ، وقد راح مرة يزأر فى حديث ويقول : « لو كنت رئيساً لجمهورية هـذه البلاد لكان أول ما أصنع هو أن ألغى الموسيقى والكلام من السنما . إن الأشرطة السنمائية جنون محض فى مستشفى مجانين . والآن وقد انقضى عهـد الأشرطة الصامتة ، فلست تستطيع أن تذهب إلى مكان ما ، ولا تسمع شيئاً » .

والطريقة التى يعالج بها بيتشام مصاعب التدريب هى طريقة زميل فنان متطامن يطلب المعونة على حل مسألة متعبة . وهو أحد المديرين القليلين الذين يدركون أن الفرقة هى التى تقوم بالعزف . فإذا وقف ليصحح فقرة مغلوطة ، تدبر الأمر فى صراحة ، فيقول شاكياً ويرفع أحد حاجبيه : « ما من أحد يعزف شيئاً كهذا الذى هو عندى . وأعتقد أن نغمة ج العالية فى البوق (وينظر إلى الزامر) أعلى مما يجب ، وليس الذنب فى هذا لك » ثم يعيد الفقرة ويبتسم راضياً عن التحسن .

وقلما ينفجر غضبه ، فإذا حدث ذلك

راح يمشى جيئة وذهاباً ولحيته مدفونة فى صدره ، وهو يزأر كالأسد ، وأحياناً يتخذ غضبه صـورة أهدأ وأبرد ، فيكون أدعى إلى اضطراب المسىء ، فيقول له بأدب كالصقيع : «إننا لانستطيع أن ننتظر منك أن تتابعنا طول الوقت ، ولـكن إذا سمحت بأن تـكون على اتصال بنا أحياناً . . » .

ولو كانت شخصية بيتشام أقل جلالا ، لـكانت قلة تكلفه خليقة أن تقضى على مكانته ، فأما والحال على خلاف ذلك فإن تبسطه يدع رجاله مضطربين . والواقع أن الموسيقىّ من الأوساط لا يشعر أن العزف كان عظيما إلا إذا نُخس ووخز وأرعب إلى حد يفقده أعصـابه وهو يعمل . وقد حدث مرة بعد أن قامت فرقة بيتشام بعزف جميل جدا فى قاعة كارنيجى أن أقبل ناقد على أحد عازفى الـكمان وقال له : « لقد كان عزفاً بديعاً » فـكان جواب العازف : « لا تـكن أبله . إن هـذا الرجل بيتشام خدعة كبيرة ، وهو لا يسـتطيع الإدارة على الإطلاق ، ويتصرف كأنما موسـيقى السمفونيات ليست إلا لهواً » .

ما بين القطبين !

نشرت مجلة بريطانية منذ عهد قريب القصـة التالية : بعيد الاستيلاء على مدينة آخن ، أراد ضباط المخابرات العسكرية من الحلفاء أن يستطلعوا الرأى العام فى المدينة . فسألوا ، الرجل بعد الرجل عن آرائه السياسـية ، فإذا هم جميعاً مناهضون لهتلر ، ولـكن خوف الجستابو ختم على أفواههم . وأخيراً قال ضابط لأحد هؤلاء الذين يزعمون أنهم أعداء هتلر : « إن آراءكم يا أهل آخن تبعث على الرضى ، فقد كنا نظنكم جميعاً من مؤيدى هتلر » .

وإذا الرجل يجيب متحمساً : « إننا نبغض هتلر . وكل ما يقال على نقيض هـذا ، إنما هو دعاية قذرة من دعايات الدمقراطية اليهودية الشـيوعية الرأسمالية المنحلة » .

[ادوين لاهى فى صحيفة « شيكاغو ديلى نيوز »]

قهر أفظع عدو في المحيط الهادى

المرض

فردريك س. باينتون
المراسل الحربي في المحيط الهادى

ملخصة عن
ذى أميريكان ليجيون مجازين

أعمال طبية باهرة قام بها أطباء الجيش والأسطول فى مكافحة الأمراض الفتاكة فى المناطق الحارة ، والتى كانت قد فعلت بالجنود أكثر مما فعلت نيران الأعداء

هذه القصة فى جزيرة وادى الكنار، وكانت معركة مفظعة ربما انتهت بهزيمة ، لا أمام اليابانيين ، ولكن أمام الحشرات والهوام الناقلة للأمراض .

تبدأ

عند ما بدأت الحرب فى الأدغال الرطبة بجزائر سليمان ،كنا نعرف كثيراً عن مهالك أمراض المناطق الحارة ، ولكنه لم يكن وافياً . فثارت بنا الحشرات ، وتكدس المرضى فى المستشفيات،فجاءت الملاريا وحمى الدنج والدوسنطاريا ، فأعجزت الجنود عن القتال ، كأنْ قد أصابهم رصاص اليابانيين سواء بسواء . وكان الجند يصابون أحياناً بداء الفيل ، وهو أحد الأمراض التى ينقلها البعوض ، ويورث أوراماً تنتفخ لها أرجل المرضى حتى تصير كأعمدة التلفون . وأخذ الجنود والمشاة البحرية الذين يحاربون بين حشائش « الكوناى » الطويلة فى جزر بريطانيا الجديدة وغينة الجديدة يصابون بحمي التيفوس المتوطن، أو ما يسمى بتيفوس الأعشاب ، وهى حمى من أخطر أمراض المناطق الحارة .

زرت حديثاً معسكراً من معسكرات المحيط الهادى فقرأت على لوحة معلقة هذا النص الصريح : « صرع المرض فى جزيرة وادى الكنار عشرة جنود ، فى مقابل كل جندى جرحه اليابانيون » . وإنه لتقدير صحيح لما حدث هناك .

وقد اتخذت قوات الولايات المتحدة كل حيطة ممكنة ، فوضعوا الشبّاك على النوافذ وطهروا المراحيض ، وحرقوا القمامة ، وحرص الجند ما استطاعوا على أن يشربوا من مزاداتهم ، وعقموا الماء فى مطاعمهم كي يأمنوا الأميبا المخيفة التى تورث الدوسنطاريا الأميبية . ولكن الماء النقى كان ينفد من الجند المحاربين فى الغابات ، فيردون الماء حيثما اتفق يطفئون به أوار الظمأ القاتل المستعر ، ولا يسعهم وهم يقاتلون أن يدخلوا كِنًّا ليأكلوا، فترى الذباب يدب على طعامهم .

وفى جزيرة طـراوة ازدادت الأمور سوءاً ، فقد توارت بأعشاب الغاب مئات من جثث القتلى اليابانيين، فتكاثرت ملايين الذباب على هـذه الجثث المنتنة ، وطفقت إصابات الدوسنطاريا تزداد .

ولم تكن ثمة كفاية من المادة العجيبة د . د.ت . مبيدة الحشرات حتى يطهر الميدان فتذكر طبيب من أطباء المشاة البحريين مركباً يسمى « بينايت » هو زرنيخور الصوديوم . والتجأ إلى س . إ . يمبرتون المتخصص الأول فى الحشرات لجمعية زراع قصب السكر فى هوائى ، وهو رجل سلخ عشرين سنة فى دراسـة حشرات المناطق الحارة ، فسـأله : « هل يقتل البينايت يرقات البعوض والذباب ؟ »

فأجابه يمبرتون : « أجل . ويقتل الكبير من الذباب والبعوض أيضاً إذا بقى نديـاً . وهو صالح على كل حال ، وإن لم يكن أثره يدوم دوام د . د . ت » .

وحين غزت قوات الولايات المتحـدة جزيرة بليليو فى سبتمبر الماضى نزلت على الشاطئ قوتان فى وقت واحد — إحداهما من الجند والبحارة للقضاء على اليابانيين ، والأخرى من الفرق الصحية للقضاء على الهوام . وضمت كل فرقة منهـا ١٥ رجلا يحمل كل منهم رشاشة مملوءة بالبينايت. وقد أهلك منهم رصاص رماة اليابانيين وقذائفهم من أهلك ، ولـكنهم بلغوا ما خرجوا له ، فأخذوا فى رش السـائل أمامهم مبتدئين بالسـاحل متجهين إلى الداخل ، فوق منشآت اليابانيين الحربية ، ومراحيضهم ، ومستودعات طعامهم ، وأكواخ الأهالى . وتبعتهم فى النزول إلى الشاطئ الرشاشات الآليـة ترش المستنقعات والقرى وخيـام الجنـود ، وقامت طائرات مجهزة تجهيزاً خاصا برش سـائل د . د . ت فى بعض الأماكن .

قال لى أحـد الأطباء : « لقـد كانت النتائج باهرة ، ولعـله الحادث الأول من نوعه فى تاريخ الغزوات الحربية فى المناطق الحارة — أن يكون عـدد ضحايا البعوض والذباب أتفه من أن يذكر » .

لقد كانت حمى الدنج مثلا تتوطن جزيرة أنجور ، وكان كثير من السكان مصابين بنوع خفيف منها ، ولـكن بعـد ثلاثين يوما لم تعرف إصابة واحـدة فى القوات الأمريكية . وفى إحدى فرق الجيش لم يحدث أكثر من سبع إصابات بالملاريا ، وربما كانت إصاباتهم قبـل الغزو . وفى عنفوان المعركة نسى بعض البحارة أن يتعاطوا أقراص الأتبرين ، فظهرت بينهم ٧٢ نكسة بالملاريا، ولم يرحل منهم عن الميدان غير أربعة .

وصادفت قوات الولايات المتحدة فى سيبان سحباً كثيفة من الذباب، فقد أصدر اليابانيون قانوناً يحرم قتل الذباب(١) وكان فى وسع المرء إذا لوّح بيده أن يقبض على مئة منها، وكان الذباب يدبّ فى المناخر والعيون، وكان أكثف ما يكون حول المطابخ والمراحيض.

وشحنت أطنان من محلول مسحوق د . د . ت فى طائرات النقل لمكافحة هذا الوباء . وكان قواد هذه الطائرات يحملون أرواحهم على أكفهم ، وهم يحلقون فوق الأشجار ، حتى يكادوا يمسون عذباتها ، ويغطون الجزيرة تغطية بهذا القاتل للحشرات. واليوم لا يوجد فى سيبان من الذباب أو البعوض ما تجده فى صقع مثله من أصقاع الولايات المتحدة . أما حمى الدنج التى كانت تستوطن الجزيرة يوما ما فقد استؤصلت شأفتها ، ولم تعد ثمة ملاريا ولا دوسنطاريا .

كان أعدى أعدائنا هناك يرقات القُراد التى تعدى عضتها بذلك التيفوس الخطر المسمى بتيفوس الأعشاب ، فإن الحقول المترامية المكسوة بأعشاب « الكوناى » والتى يبلغ ارتفاعها ٢٠ قدما فى غينة الجديدة وبريطانيا الجديدة والجزر المجاورة ، تهيء مسارب محجوبة للجرذان التى يبدو أنها عائل هذا القراد الميت . وقد عرفت الإصابة الأولى بالمرض فى ديسمبر سنة ١٩٤٣ وبلغت الإصابات فى بضعة أسابيع ٢٣٠ مات منهم ٢٢ ، وأصيب كثير من الناقهين بخلل مستديم فى القلب أعجزهم عن الخدمة العسكرية . ولقد كان الفضل فى تقليل معدل الوفيات للتمريض الدقيق دون سواه . ففى بورما حيث واجهت عصابات « مريل » هذا المرض فى جوف الأدغال دون أن تكفل لها الرعاية الطبية الوافية ، كان معدل الوفيات أكبر من ذلك بكثير ، وكان المرض يدعى على سبيل التهكم « بالسلاح السرى لليابان ! » .

وفرض على هذه المنطقة كلها نظام دقيق للوقاية ، فأبيدت الحشائش والأعشاب ، وأحرقت أنقاض المعسكرات ثم رشت بمبيدات الحشرات ، وحذر الجند أن يجلسوا أو يرقدوا على الثرى ، وغمست الكسى كلها — أحذية وجوارب وأردية — فى محلول د . د . ت ، وللخلاص من الجرذان نصبت المصايد وفيها طعم غير سامّ ، وتظل كذلك ستة أيام حتى يتعود الجرذان أن تأتيها بحثاً عن طعامها . وفى اليوم السابع يضاف السم

---

(١) لكى يحمى اليابانيون محصول قصب السكر من حشرة تفتك به استوردوا ذبابة أخرى تعد عدواً طبيعياً لهذه الحشرة الفاتكة ، ثم فرضوا غرامة على قتل أية ذبابة منها حتى يمهدوا لها سبيل الحياة .

إلى الطعم ، فتموت الجرذان بالألوف ، وبذلك زال خطر تيفوس القراد .

كانت أكواخ القرى المسقوفة بالبوص ، والتي ينقصها أبسط الوسائل الصحية ، مباءات للعــدوى . وكان الأهالى أنفسهم يعانون الدنج والملاريا والفرمبيزيا (بثور توتيــة الشكل) وأمراض الجلد والدرن والطفيليات المعوية ، فما مضى ثلاثون يوما على غزو إحدى جزر ماريانا ، وعدد سكانها ١٧٠٠٠ حتى عولجوا بأكثر من ٤٢٫٠٠٠ علاج ما بين طبى وجراحى ، وبلغت وفيات سوء التغذية والدوسنطاريا فى هذه المدة ٥٠٨ .

طهرت السلطات الحربيــة والبحرية القرى والمراحيض والمجارى ، وعالجت الرشاشات الآليــة كل المياه الراكدة ، واستخدمت النساء الوطنيات لجمع جذور التارو وقطع خضر الـكانـكونج لتضيفها إلى ما وزع على الأهالى من جرايات الجنود الأمريكيين . وفى ديسمبر ســنة ١٩٤٤ ، أى بعد ٩٠ يوما لا غير ، هبط عدد مرات العلاج الطبى والجراحى إلى ٩٤٠٠ ومات ٥٠ فقط ، فإذا ما زال أثر سوء التغذية والأمراض المزمنة انخفضت مرات العلاج إلى بضع مئات .

أما فى جزر مارشال فقــد كان ٩٠ فى المئة من السكان يعانون الفرمبيزيا ، وهو يحـدث قروحا قبيحة ، وأوراما مؤلمة فى المفاصل ، ويوهن قدرة الأهالى على العمل ، فاستطاعت حقن الأرسفينامين (٩١٤) أن تقضى على هذا المرض فى هذه الجزر . وفى شهر يناير من هذا العــام لم يعالج منه أكثر من شخص واحد من الأهالى .

وتتولى السلطات الحربيــة اليوم تعليم الأهالى الأنظمة الصحية ، ويدرب النساء على التمريض أو المساعدة فيــه ، ونظمت الوسائل لرعاية الأطفال .

وقد استطاعت هــذه العناية الطبية أن تزعزع دعاية اليابانيين بين الأهالى أن الأمريكيين قتلة وشياطين . فلما استولت القوات الأمريكية على قوات جزيرة بليليو وجدت الأهالى مختبئين فى الـكهوف التى فروا إليهــا مذعورين ، وكانوا مصابين بالأمراض الجلدية وسوء التغذية والطفيليات المعوية ، وكانوا فى حالة يرثى لها . فلما أغروا بالخروج من مخابئهم والخضوع للعناية الطبية ، برأوا ولم يحتج إلى رعاية المستشفيات إلا ثلاثة منهم فى ديسمبر المــاضى . واجتمع زعماء قبــائل الشامورو فوقعوا على رَقّ سجلوا فيه شكرهم لمــا أسدى لهم من معونة ، وهم يبذلون قصارى جهــدهم للأمريكيين اليوم اعترافا بالجميل .

وليس معنى هذا أنه لم يعد هناك إصابات

من الملاريا والدنج والدوسنطاريا ، فهنـاك مرض جلدى يشبه القراع الإنجليزي ينشأ من غزارة العرق وقلة ما يتاح من فرص الاستحمام . ولـكن أمراض المناطق الحارة لم يعد لها من الخطر ما كان ، ولم تعد ثمة أوبئة توهن قوى الألوف . ويمكن أن نقول مطمئنين — كما قال لى طبيب بحرى — إن الخسائر الناشـئة من البعوض والذباب قد هبطت إلى جزء من ٢٥ مما كانت عليه فى سنة ١٩٤٢ .

على أن اليقظة الدائمة يجب أن تظل قائمة لتحمى الشعب الأمريكى على الأقل من أمراض لا تتيح له بيئته حصانة منها . ففى كل يوم تطير عشرات من طائرات المستشفى من جزر ليتى وسيبان وأمثالهـا تحمل الجرحى من الجنود إلى الولايات المتحدة ، فربما كان فى إحدى هذه الطائرات حشرة واحـدة قادرة على نقل مرض قد ينتشر أسرع انتشار .

ومن أجل ذلك تقوم الفرق الصحيـة بتطهير الطائرات حين قيامها وفى محطات على الطريق . وثمة مصايد موضوعة فى كل المطارات لصيد كل نوع من أنواع حشرات المناطق الحارة ، وتفتش الطائرات التى تصل إلى هنولولو بعناية ، ثم توضـع كل حشرة توجد فيها فى ظرف ، وترسل هذه الظروف إلى س . ا . بمبرتون فى معمل جمعية زراع قصب السكر ، حيث تقارن بمجموعة من الحشرات المعروفة المصنفة يبلغ عـــددها ٢٠٠,٠٠٠ ، وبعـد تمييزها يفحص عن قدرتها على نقـل الأمراض . وإلى اليوم لم يستطع أن يفلت من هـذه المخـافر مرض جديد .

إن الخـبرة التى اكتسبها الخـبراء الأمريكيون الطبيون فى المحيط الهـادى ستكون لها قيمة فى السلم لا تقدر ، وستوقى حاميات الجزر يومئـذ أمراضاً كانت تسم هذه الجزر يوما ما باسم « مقـبرة الرجل الأبيض » ، وسيصبح السائحون والتجار فى أمن من الأمراض ، كأنهم فى الولايات المتحدة . ويومئذ تكون الحشرات قد غلبت على أمرها

قالت أرلين فرنسيس فى إذاعة إنها سألت أحد المجندين : « ماذا كنت قبل أن تجند ؟ » فجاءها الرد السريع : « على خير حال » .

الرجل الذى صنع المطاط

هذه قصة نجاح باهر تبعث النشوة فى النفس

فى زمن الحرب

رالف ولاس

ملخصة عن مجلة "فيوتشر"

لست تجد بين القصص العجيبة الحافلة بآيات البراعة والتحقيق التى أثرت عن العلم فى أمريكا ، قصة أعجب من قصة والدو . ل . سيمون ، فى مدينة أكرون بولاية أوهيو . ففى العقد الثالث من هذا القرن ، كان سيمون ينفق على زوجته من مرتب لا يزيد على خمسين ريالا فى الشهر ، يكسبها من التعليم بعض الوقت ، على حين يتابع دراسته العلمية العالية ليظفر بدرجة الدكتوراه . ولكنه اليوم ، وقد بلغ السادسة والأربعين ، يعد عالماً من أعظم علماء الكيمياء الصناعية فى العالم .

وإنّ ما أسداه سيمون إلى برنامج إنتاج المطاط فى أمريكا خلال الحرب ، أعظم مما أسداه أى عالم آخر . فمن مخترعاته مادة مركبة بالتأليف الكيميائى لا تأتلف مع المواد الأخرى ، ولا تشتعل ، وتدعى « كوروسيل » وقد مكنت المهندسين الأمريكيين أن يهوّنوا من خطر النار ، وأن يخففوا وزن كل سفينة وكل طائرة حربية . والمئات من دبابات الولايات المتحدة مدينة بسيور عجلاتها المصنوعة من المطاط وزيادة سرعتها ، إلى الأسلوب الذى ابتكره سيمون لربط المطاط بالمعدن . وأهمّ من ذلك شأناً أنه كشف قبل نشوب الحرب مادة « أمريبول » ، وهى أول مطاط مركب من البوتادين صنع فى الولايات المتحدة للتجارة .

ترجع براعة سيمون العلمية الساحرة إلى أيام حداثته وهو يجول فى البلاد الأمريكية من ساحلها الشرقى إلى ساحلها الغربى . وقد كان والده مهندساً يعمل ما يصيب من عمل ، فقد أنشأ محطّات للاضاءة ، وأخرى لصنع الثلج ، ومدّ سككا حديدية كهربائية ، وبنى سدوداً . وأما والدو الصغير فقد وهب عقلا يستطلع ولا يمل ، فكان دائماً يقلب كتب أبيه الهندسية منذ تعلم الهجاء .

وحين كان فى التاسعة صنع وحده وبغير معونة ، بطارية سائلة من غطاء جرّة من الزنك ، ومن قلم كربون كان فى مصباح قديم ، ومن ملح النوشادر مذاباً فى الماء .

فاستعمل البطارية فى تحريك جرس للاتصال بصديق يجاوره ، ثم أنشأ أول لاقط لاسلكى فى بلدته . وقد كلفه شراء أجزائه خمسة ريالات كسبها من جمع الفراولة بأجر يبلغ قرشين فى الساعة . فلما كان فى الفصل السادس من المدرسة اخترع جدولا رياضياً للوغاريتمات خاصاً به ليعينه على الظفر بأجوبة المسائل الحسابية بأسرع ما يمكن .

وفى سنة ١٩١٤ ، حين كانت أسرته تقطن شمال أمريكا الغربى ، عثر والدو على رسالة ألمانية فى الكيمياء العضوية ، وإذا هذه الرسالة الجافة الثقيلة تقدح شرراً فى ذهن الفتى . فقد قرأ فيها كيف تركب الأصباغ ، وكانت كل فقرة منها تدل على أن كل مركب عضوى يمكن صنعه بالاعتماد على العلم والبحث ، فانفسحت له عندئذ آفاق عالم عجيب .

ولم يكن فى وسعه أن ينفق على طلب العلم فى الجامعة ، ولكنه عزم على أن يكسب نفقة الطلب ، فقضى سنة يقطع العشب مع جماعة من المساحين عهد إليهم أن يشقوا طريقاً فى أرض معشبة بولاية وشنطون ، حيث تكثر الحيات ذوات الأجراس ، وكان مرتبه الشهرى ٦٥ ريالا فجمع خمسمئة ريال.

وقد بدت عليه مخايل النجابة المدهشة فى البحث العلمى منذ أيامه الأولى فى جامعة وشنطون . وقبل أن تخوض الولايات المتحدة غمار الحرب العالمية الأولى ، طلب قسم مخابرات الجيش من قسم الكيمياء فى جامعة وشنطون بحث مسألة ، فعهدت الجامعة إلى هذا الفتى الغر ّ ببحثها ، وكان فى السنة الثانية وسنه ١٨ سنة . وكانت المسألة هى إيجاد مواد لتظهر المكتوب بحبر سرى . فلم تنقض ثلاثة أشهر حتى كان قد كشف أكثر من مئة مادة ، وأرسل نتائج بحثه إلى قسم مخابرات الجيش . ثم ابتكر أسلوباً يزيد مقدار المتفجر من ت . ن . ت . الذى يستخرج من قدر معين من مادة التولوين . فلما كشف طريقة لصنع غاز الخردل من معدن السلينيوم ، نشرت الجمعية الكيميائية الأمريكية تقريره — وهو شرف لم يكد يناله طالب جامعة من قبل.

وكان خلال ذلك يعمل أى عمل تناله يده : خادماً فى أحد مبانى الجامعة ، أو محللا كيميائياً فى إحدى الصناعات المحلية . فلما تخرج كان فى العشرة الأوائل فى فرقته ، وكان المقدم عليهم جميعاً فى الكيمياء . وحين كان يُعدّ رسالة الدكتوراه اعتمد على دخل يسير من التعليم ، فتزوج مارجورى جن ، وهى فتاة شقراء كانت طالبة فى قسم الكيمياء ، وقد عرفها منذ السنة الأولى فى الجامعة . وزاولت زوجته

التعليم أيضاً لتعينه على نفقات البيت ، ومع ذلك فقد مرت بالزوجين الفقيرين أشهر لم يتجاوز طعامهما فيها حبوب القمح المشوية والخضر يهديها إليهما فلاح صديق ، ولكن والدو ظفر برتبة الدكتوراه وأصبح مدرساً في الجامعة .

وتلقى سيمون في أحد أيام ١٩٢٦ رسالة من الدكتور هارلان ل . ترومبول ، مدير البحث الكيميائي في شركة ب . ف . جودرتش ، فقد كان ترومبول يبحث عن شاب ممتاز ليوليه مهمة خطيرة . فهل يرضى سيمون ؟

يرضى ؟ ولم تمض أيام حتى كان في أكرون ، وإذا المهمة مما يتراءى للكيميائيين في الأحلام . فمنذ سنوات كان رجال شركة جودرتش قد سجلوا طريقة لربط المطاط بالصلب بمادة جديدة لصّاقة محضرة من المطاط ، فأنشئت تجارة كبيرة قيمتها مليون ريال ، وقامت على اتخاذ بطانة من المطاط للخزانات التي تنقل الأحماض على سيارات ، وكان لهذه الطريقة منافع صناعية أخرى . وشركة جودرتش تريد الآن أن تجد جميع المواد المركبة الشبيهة بالمطاط التي تصلح لربط المطاط بالصلب رباطاً لا ينفصم .

وقضى سيمون شهوراً يصنع بالتركيب الكيميائي مادة لصّاقة بعد أخرى ، وكان كثير منها لا يرجى منه نفع ، وبعضها يصلح للتسجيل . وأقدم ذات صباح على أن يسلك طريقاً غير مطروق ، فمنذ سنوات كان عالم روسي قد حضر مركبا دعاه « بوليفينيل كلوريد » ولكنه كان صلباً يشبه المادة القرنيـة ، فأهمل لقلة جدواه . ولكن تركيب جزيئاته كان شبيهاً بتركيب جزيئات المطاط ، فقرر سيمون أن يجرب أن يحوله إلى مادة لصاقة ، بأن يصب عليه مادة الأثير المغلي .

تجمدت في أنبوبة الاختبار مادة هلامية (جلاتينيـة) — وهي هي الشيء الذي لا يريده ، فكسر الأنبوبة وضغط المادة بإبهامه وسبابته ، فدهش إذ رآها تمط ، فأخذته هزة الفرح حين أدرك أنه وجد مادة مركبة جديدة تشبه المطاط .

ودلت التجارب على أن المادة الجديدة ذات خواص عجيبة ، فهي على خلاف المطاط الطبيعي لا تشتعل ، ولا تكاد تتأثر بأوكسجين الهواء ، على حين أن المطاط الطبيعي يتأثر به بسرعة . ثم إنها كذلك لا تتأثر بالزيت أو البنزين ، على حين يمتصهما المطاط كالإسفنجة . وقد دعاها « كوروسيل » لأنها تقاوم خاصة أكل الأجسام في كل حمض معروف تقريبا .

وصنع سيمون بعد ذلك طائفة من المواد

الكيميائية تقاوم فعل الزمن، وقد استعملت هذه المواد فى إطالة عمر العجلات المصنوعة من المطاط الطبيعى أو الصناعى جميعاً .

ودعى سيمون فى سنة ١٩٣٥ لينصرف عن بحوثه إلى حصر اهتمامه فى صنع مطاط مركب يصلح للعجلات ، فقد مضى ربع قرن وعلماء روسيا وألمانيا يحاولون تحقيق هذه الأمنية . فعمد سيمون أولا إلى دراسة كل تفصيل من تفاصيل عملهم ، فقضى ستة أشهر يجهد ست عشرة ساعة كل يوم فى مطالعة التقارير العلمية بالفرنسية والألمانية والإنجليزية .

فلما أنجز ذلك ، كان يعرف العناصر الرئيسية اللازمة فى تركيب هذه المادة ، ولكنه كان يجهل الصيغ السرية التى تركب بمقتضاها أصناف المطاط الصناعى الخمسة الرئيسية فى العالم . فما هو إلا أن شرع فى تركيب كل منها فى معمله ، وهذا العمل يقتضى تكتيل جزيئات المواد الرئيسية — وهو تفاعل كيميائى غريب تتصل فيه الجزيئات بعضها ببعض كأنها صف من الرجال أمسك كل رجل منهم بيد صاحبه ، وهذه الخاصة تعطى المطاط الطبيعى وجميع أصناف المطاط المصنوع ، صفة المرونة التى تتصف بها . فلم تنقض ستة أشهر حتى كان سيمون قد صنع جميع هذه الأصناف الرئيسية — وهو عمل علمى مدهش .

أما وقد ظفر سيمون بكل هذا العلم ، فقد سافر إلى أوربا فى سنة ١٩٣٧ عسى أن يصيب شيئاً من العلم بأساليب ألمانيا فى صنع المطاط الصناعى . وكان أخص ما يعنيه مطاط بوناس الذى اعتمدت عليه جيوش هتلر فى سحق بولندة وفرنسا . فاستقبله علماء ألمانيا واحتفوا به ، ولكنهم لم يتيحوا له أن يرى شيئاً إلا ما يُصنع من مادته « كوروسيل » وكان الألمان قد انتحلوها وصنعوا منها مقادير كبيرة أطلقوا عليها اسم « إبجليت » . وأما مصانع بونا فلم تكن مباحة له زيارتها ، وقد اقتفى الجستابو أثر خطواته ليضمنوا تنفيذ الأوامر .

فلما عاد سيمون من أوربا كان قد وثق بأن لا مفر من نشوب الحرب ، وإذا استولت اليابان على مزارع المطاط فى الشرق الأقصى ساءت حالة الولايات المتحدة ، فأوصى شركة جودرتش بمضاعفة البحث العلمى فى المطاط الصناعى . فزيد فى الحال عدد العلماء الذين تحت إشرافه ، وابتكرت طرق معقدة لاستخراج الخامات اللازمة لصنع المطاط من الكحول والبترول ، وصنعت آلات تتسع كل منها لمئة أنبوب ، وجعلت تدور ليل نهار لتكتيل الجزيئات وفقاً لصيغ كيميائية جديدة ، فصنع نحو ١٤٫٥٠٠

صنف من المطاط الصناعى ، وأجرى أكثر من ربع مليون اختبار لتقدير قيمة نماذجها المختلفة .

وإذا صيغة من صيغ سيمون تبدو حافلة بالأمل العظيم ، وهى الآن سرّ حربى إلا أن مادة البوتادين ، من عناصرها الرئيسية . ولكن لم يزالوا يجدون من المشقات ما يقصم الظهر ، فالبوتادين يجب أن يصفى حتى يبلغ من النقاء درجة ٩٩ فى المئة ، قبل أن يصلح لتركيب المطاط . وقد أفسدت العمل مراراً مقادير يسيرة من الأوشاب تعلق بأحذية العمال الذين ينظفون المراجل . وكان المطاط الأول الذى صنع أشبه بالجلد ، لا يصلح أن يفرغ فى القوالب لصنع إطارات العجلات ، ولكنهم ذللوا هذه العقبات واحدة بعد واحدة .

وأقبل خريف سنة ١٩٣٩ ، واكتسح النازيون بولندة ، وعين جون . ل . كولير رئيساً لشركة جودرتش ، فألقيت على عاتقه مشكلة ما يصنع بمادة سيمون المركبة التى اسمها « أمريبول » . فقد أنفقت مئات الألوف من الريالات على البحث العلمى ، ويقتضى صنع إطارات العجلات من الأمريبول مئات ألوف أخرى من الريالات — وربما فقدت الشركة منزلتها إذا فسدت الإطارات . ثم إن هذا المطاط الصناعى أكبر نفقة من الطبيعى ، فاستدعى كولير العالم سيمون . أفترى سيمون وزملاؤه على يقين من أن المطاط المركب الجديد يحتمل ؟ نعم ، إنهم على يقين . إذن فهو يقبل أن يخاطر .

وفى ربيع سنة ١٩٤٠ عرض كولير على جماعة من كبار رجال الصناعة أول إطار صنع فى أمريكا من مطاط مركب بطريقة تجارية ، فلم تنقض بضعة أشهر حتى اشترت الإطارات الجديدة عشرات من الشركات وألوف من الناس ليمتحنوها ، ففاقت النتائج أقصى ما كان يتمناه سيمون . وقد دخل فى صنع إطارات أمريبول ٥٠ فى المئة من المطاط الصناعى ، فاحتملت السير مسافة تتفاوت من ٢٥ ألف ميل إلى ٤٠ ألف ميل — فهو أفضل من إطارات بونا الألمانية .

وحين شرعت الحكومة الأمريكية فى إنفاذ برنامج المطاط الصناعى ، انتخب كيميائيو شركات المطاط زميلهم سيمون رئيساً للجنة الفنية الأولى ، وأبيحت مخترعاته لصناعة المطاط ، وقد أصبحت طائفة كبيرة من طرائقه أصولا متبعة فى جميع مصانع الحكومة تقريبا .

كانت سفن أمريكا الحربية تستعمل من قبل أسلاكا وحبالاً معزولة بمركب من المطاط والإسفلت ، فإذا وقعت قنبلة أو

أصاب السفينة طربيد ، اشتعلت المادة العازلة ويغلب أن تجرى النار على الأسلاك والحبال فى نواحى السفينة ، فتتقفل الدورات الكهربائية اللازمة للسيطرة على السفينة. أما اليوم فترى المواد العازلة ، فى السفن الحربية الجديدة والطائرات ، مصنوعة من الكوروسيل الذى لا يشتعل أو من «الفينيلايت» وهو مادة تشبه الكوروسيل ولما كان مقدار قليل من هذه المادة أو تلك يكفى ، فإن السفن توفر أطناناً كثيرة من وزن المواد العازلة.

أما ما عسى أن يصنع من الكوروسيل بعد الحرب فأبعث على الدهشة ، فشركات الزيت تتأهب لصنع خزانات من الكوروسيل لزيت المحركات ، وستستعمل كذلك للوقاية من أحوال الجو ، ولصنع غشاء خفى لورق جدران البيوت ، ولصنع نسيج لا ينفذ منه الغبار ولا الرطوبة ، وقد يستعمل ملوّناً فى تنجيد مقاعد السيارات فيفوق الجلد. وقد صنعت منه جوارب لا ينسلت نسيجها بحبك خيط من الكوروسيل لا لون له مع خيوط الجورب ، سواء كان الجورب حريراً أو نيلونا. وقد بلغ عدد منافعه المرجوة حتى الآن ألفين.

ومنذ أشهر اقترح اسم والدو سيمون لجائزة تشارلز. ل. جوديير — وهى أعظم شرف فى علم المطاط. وعلى أن ما أسداه كان عظيما ، فإن المثل الذى ضرب به كان أعظم ، فهو دليل على أن الفتى الأمريكى الذى لا مال له ولا جاه إذا ملك هو الشجاعة والعزم والذكاء ، استطاع أن يصير أحد علماء الدنيا العظماء.

برنارد شو ، تاجر

كان الدكتور مارسيل سترنبرجر المصور الرسمى للبلاط فى بروكسل ، فلما صوّر برنارد شو كان أجره مئتى جنيه ، فوفاها شو بعشرين شيكا قيمة كلّ منها عشرة جنيهات. فلما سئل عن ذلك قال: «يروى لى أن توقيعى يباع بخمسة وعشرين جنيهاً ، فإذا أنا أعطيتك عشرين شيكا ، فكلانا يربح. أنت تبيع كل شيك قيمته ١٠ جنيهات بخمسة وعشرين جنيهاً. والذين يشترون الشيكات من أجل التوقيع سيحتفظون بها فلا تصرف من البنك».

الآن يمكن أن تروى القصة

قادحات الشرر في جيش فرنسا السري

بليك كلارك + + + ملخصة عن مجلة "تريكولور"

> قصة مدهشة لأمريكيين وإنجليز هبطوا بالمظلات في فرنسا للمساعدة على تنظيم المقاومة وراء الخطوط الألمانية

قطعت الأخبار التي تذاع في الساعة التاسعة من محطة لندن اللاسلكية هنيهة في مساء ٥ يونيه سنة ١٩٤٤، وسمع صوت بريطاني جاف يقول: «إيلين تزوجت جو — نكرر أن إيلين تزوجت جو. البوصلة تشير إلى الشمال — نكرر أن البوصلة تشير إلى الشمال».

وكان هذا كلاماً فارغاً في رأى معظم السامعين وفي جملتهم الألمان، ولكنه كان الدعوة السرية، إلى العمل التي طال انتظار خمسمئة ألف فرنسي لها. وفي تلك الليلة، وقبل أن يضع جندي من الجنود المتحالفة قدمه في نورمندي تهاوت الجسور في فرنسا، وانفجرت السدود، وانفكت القضبان من أربطتها، وجرت القاطرات

كان بليك كلارك أستاذاً للأدب الإنجليزي في جامعة هوائي، وهو الآن في قوات أمريكا المسلحة ومقره في وشنطن

في غير طريقها، وخرت الأشجار على الطرق، وارتفعت ألسنة النيران من مخازن الوقود، وهوت خطوط التلفون إلى الأرض.

فلما أقبل اليوم التالي — يوم الغزو — كان الجنود الألمانيون ومؤنهم قد اضطروا إلى المشي خطوة خطوة. وتأخرت القوات التي أرسلت لصد النازلين في نورمندي مقدار ٤٨ ساعة في المتوسط — وتلك مسافة من الزمن عظيمة القيمة للأمريكيين والبريطانيين. وبعد أن تم الاقتحام جعلت العصابات الفرنسية تبلغ الجنرال باتون موضع كل طابور ألماني بدقة، وتحمي جناحه فساعدته على القيام بأسرع زحف في تاريخ الحروب.

وفي الوسع الآن أن نروي قصة العمل الذي قام به المنظمون السريون من البريطانيين والأمريكيين والفرنسيين لإشعال النار في بارود المقاومة الفرنسية.

كانت العمليات كلها تديرها قيادة مشتركة أقامها الجنرال أيزنهاور. وقد اتصلت أول فرقة من الرسل السريين إلى فرنسا بجماعات

التخريب المحلية التى كانت تتألف من تلقاء نفسها فى طول البلاد وعرضها ، وأقنعت هذه الجماعات بالكف عن أعمال العنف المتفرقة التى لا تثمر الا الانتقامات الدموية ، وأن تقبل القيام بما يكلفها إياه مقر القيادة العامة بلندن .

وقد أطلق على التدابير السرية الثلاثة الكبرى ليومْ الغزو أسماء : الببغاء ، والتنين ، والمدرّع ، وكانت الأهداف هى قطع المخاطبات وإسكاتها ، ونسف الخطوط الحديدية ، وبث الألغام فى الطرق لتعويق الفرق الألمانية المدرّعة .

وكان لا بد من اختيار آلاف من الفرنسيين ، وتدريبهم ، وتسليحهم ، بين سمع الجستابو وبصرهم ، ولإنجاز خطة التنين ، دبّر الرسل اجتماعاً لممثلى مليون من عمال السكك الحديدية برئيس جماعة ديجول السرية ، ولتنفيذ خطة الببغاء وضع رجال ديجول فى مراكز حيوية فى شبكة المواصلات التلفونية والبرقية ، ولإمضاء خطة المدرّع درب القرويون على استعمال المفرقعات وبث الألغام .

وكان يسع المنظم الذى يعمل على إعداد هذه الخطط أن يأمل أن يعيش من ثلاثة شهور إلى أربعة — إذا ساعفه الحظ . وكان عليه أن يحتفظ بملفات للمعلومات كانت تقع أحياناً فى يد العدو ، وكان مضطرا أن يركن إلى عدد قليل من الناس من الممكن أن يكون أحدهم جاسوساً ، وأن يبرز من حين إلى حين الأوراق المثبتة لشخصيته ، فإذا روجعت أرقامها ضاع .

وإذا كان بريطانيا أو أمريكيا فإن عليه أن يتّقى الزلات التى تكشف ستره ، فكان عليه حين يتناول طعامه أن لا ينسى أن يثنى طرف الفوطة على بنيقته على الطريقة الفرنسية ، وأن يجتنب أن يطلب صابوناً للحلاقة أو معجوناً لتنظيف الأسنان ، وهى أشياء اختفت من الدكاكين الفرنسية منذ سنتين .

وكان الجستابو ينصبون الفخاخ لينكشف أمر الرسل ، ففى إحدى المدن حظر بأمر عرفى على الناس أن يركب منهم اثنان دراجة ، وفى مدينة أخرى منع بيع النبيذ الأحمر بعد ظهر الثلاثاء والجمعة ، وعلى أصحاب الحانات أن يبلغوا أمر من يطلب هذا الشراب . ولكن على الرغم من ذلك استطاع بعض الرسل أن يحيوا حياة مزدوجة بنجاح مدهش ، ففتحوا دكاكين للسجاير ، ومحالّ لبيع الكتب ، ومخازن للأثاث المستعمل ، يختلف إليها « الزبائن » المختلفون من غير أن يثيروا الريبة .

وكانت النجاة عسيرة . اتفق مرة أن

الرسول رقم ١٥٤ ، وهو أمريكى ، جرح فى مناوشـة مع الجستابو ، فكبل بالقيود وطرح وهو غائب عن وعيه فى مؤخرة سيارة حربية ، فلما أفاق جرد مسدساً كان مخبوءاً فى جوربه وأطلقه على أقفية الألمان فأرداهم ، وبرد الفرنسـيون قيوده ، ثم واصل عمله فى منطقة أخرى من فرنسا .

وكان الرسول رقم ١٧١ ، وهو من رجال ديجول ، فى غرفة بفندق حين باغت الجستابو الفندق ، فراح يعدو إلى الطابق الأعلى غير أنه لم يجد منفذاً إلى السطح ، فاندفع داخلا إلى غرفة ، فألفى خادمة ترتب الأغطية ، فأفهمها بسرعة أنه يبغى النجاة وقال : « أسرعى ، وتعالى نامى معى على السرير » فقالت معترضة محتجة : « كلا ! » فصاح بها : « لا تكونى بلهاء ! إنى أفكر فيما هو أهم ! » .

ودفع رجـل الجستابو الباب وأضـاء النور ، فتظاهر الراقدان على السرير أنهما تضايقا ، فضحك رجل الجستابو وقال : « تمتعا بليلة سعيدة » وأغلق الباب .

وكان الرسـل يقومون أحياناً بمهمات خاصة . فمن ذلك أن الخدمة السرية للحلفاء طلبت نموذجاً من بارود مفرقع جـديد صنعه العلماء الألمان ، فاتصل الرسول الفرنسى رقم ٢٠٢ بصديق له فى مصنع تجرى فيه التجارب ، وكان الألمان قد جعلوا من المستحيل على العمال أن يحصلوا على نماذج ، وبلغ من حرصهم أنهم كانوا ينظفون أظافر كل عامل إذ يخرج ، وفى يوم ما ، بينما كان عمال المصنع يكفون عن العمل ويلزمون الصمت دقيقة على سبيل الإعلان للوحدة الفرنسية ، أصر عامل على مواصلة العمل ، فغضب الوطنيون وضربوه حتى سطحوه ، فخف لنجدته الحراس ونقلوه إلى المستشفى . وبعد شهر كان علماء لندن يفحصون نموذجاً من البارود الذى استولى عليه هذا العامل قبيل وقف العمل بلحظة .

وكان عامل اللاسلكى ألزم مايلزم لنجاح التنظيم السرى ، وقد حافظ على الاتصال المنتظم بلنـدن ، وكان يطلب الأسـلحة والمفرقعات ، ويوجه الرسل الجديدين إلى أماكن النزول . وعمال التلغراف اللاسلكي — وبينهم فتاة أمريكيـة — هم أبطال المقاومة الفرنسية المجهولون الذين لم يتغن بذكرهم أحد . وكان الذين اتخذوا باريس مركزاً لمخابراتهم اللاسلكية ، فى خطر دائم من أن يهتدى إلى مكانهم ٣٦ من الألمان الموكلين بالبحث فى الأثير عن مصادر الموجات . وكانوا من البراعة والحذق بحيث إن سيارة الدورية الألمانية كانت تصل إلى دار الرسول السرى بعد عشرين دقيقة من

إذاعة رسالته اللاسلكية . وما أكثر عمال اللاسلكي الذين فروا من نوافذ خلفية ولم يسبقوا الجستابو إلا بثوان فقط .

وما أقبل يناير سنة ١٩٤٤ حتى كانت القوة الكاملة لكل جماعة من جماعات المقاومة الفعلية فى فرنسا قد باشرت العمل فى خطط التنين والببغاء والمدرّع ، وذلك بفضل نحو ألف من هؤلاء العمال السريين . وبعث مقر القيادة فى لندن إلى كل جماعة بخرائط مفصلة لمنطقة وحدتها الخاصة ، مبينة فيها أهدافاً محلية معينة ، وأرسلت المدربين الخصوصيين فأنزلوا بالمظلات ، فكانوا يعقدون فصولا للتعليم الليلى لكل اثنين أو ثلاثة من القرويين فى وقت واحد ، يعلمونهم فيها كيف ينسفون السكك الحديدية والجسور . فلما كان أول يونيه صارت خريطة فرنسا المعلقة فى مقر القيادة مغطاة بنقط حمراء إشارة إلى المواضع التى درب فيها الوطنيون ، وزودوا بما يحتاجون إليه ، وتهيأوا لتلقى إشارة الهجوم على الأهداف المعينة .

فلما جاءت إشارة العمل ، مساء اليوم الخامس من يونيه ، تسلل خمسة آلاف من الفرنسيين يحمل كل منهم حزمتين من المواد المتفجرة ونسفوا الخطوط الحديدية فى فرنسا فى أكثر من خمسمئة موضع ، وكان من فضل عامل سرى فرنسى موضوع فى مركز له قيمته الحربية ، أن صارت لندن تعرف موعد قيام كل قطار مهم قبل أن يتحرك بيومين ، فاستطاعت طائرات الحلفاء أن تنقض على كل قطار يحمل جنودا ووجهته نورمندى .

وتلقى رسل خصوصيون أوامر من لندن ، واستطاعوا أن يحيطوا علماً بأعمال محطات المحركات الكهربائية الإضافية الأربع والسبعين فى شبكة التلفون البعيد المدى بفرنسا ، والآن وقد حصلوا على جوازات ألمانية فقد قصدوا إلى هذه المحطات ونسفوها .

وقام آلاف من القرويين ببث الألغام ، ونثروا فى الطرق كل ما من شأنه أن يمزق إطارات السيارات الألمانية . وكان أعظم ما يتطلع إليه الأمل أن تعطل النجدات الألمانية اثنتى عشرة ساعة ، ولكن الرسل استطاعوا أن يعطلوها يومين .

وقد اجتذب نجاح الحركة السرية يوم الغزو آلافاً جديدة اجتمعت لتعاون على طرد العدو من كل بقعة فى فرنسا . وقد أرسلت القيادة موجة جديدة من الجنود السريين يسمون جماعة « دوجلاس » لمساعدة هذه الآلاف على التنظيم السريع ، فهبطوا بالمظلات فى الأراضى المحتلة ، وكان كل واحد من هذه الجماعة عضواً فى فريق

مؤلف من ضابط إنجليزى وآخر فرنسى وثالث أمريكى وعامل لاسلكى .

وقد ذهب معظم رجال هذه الجماعة إلى المناطق الجبلية لمساعدة «الماكى» الذين كان عددهم قد بلغ ٤٠٠٫٠٠٠ وكلهم يحتاج إلى الأسلحة . وكان تزويدهم بما ينقصهم أهم ما ساهمت به الولايات المتحدة لمساعدة فرنسا . ففى أربعة شهور نقل بالطائرات إليهم ما زنته ١٢٫٠٠٠٫٠٠٠ رطل من البنادق والقنابل اليدوية والمهمات الطبية . وفى يوم ١٤ يوليه قامت ٣٢٨ طائرة أمريكية من طرازى القلاع والليبريتور بمهمة جريئة فى وضح النهار ، فألقت من المهمات ما يكفى لتسليح ٣٦٫٠٠٠ رجل .

وكان رجال « دوجلاس » يقاتلون دائماً فى الأراضى التى يحتلها الألمان ، فوقعت لهم حوادث يقف لها الشعر . مثال ذلك أن ضابطاً إنجليزيا انكسرت ساقه لما هبط بالمظلة ، وكان راقداً فى بيت فى ضيعة فرنسية وإذا بالألمان قد أقبلوا يبحثون ويفتشون ، فحمله عامل اللاسلكى وهو أمريكى إلى مستنقع بقى فيه ثلاثة أيام مغموراً بالماء إلى عنقه حتى انصرف العدو .

وكانت « الجماعات الخاصة » هى شياطين جهنم فى الجيش السرى ، وكانوا إخصائيين فى أعمال التخريب وفى القتال المتلاحم ، وكانوا يهبطون فى فرنسا كل ١٥ أو ٣٠ معاً ليقوموا بأعمال تتطلب براعة خاصة .

وقد ألقيت منهم إحدى عشرة جماعة فى جنوب فرنسا ليقطعوا على الخصوص طرق الهرب على النازى من ثغرة كاركاسون ووادى الرون ، وكان عددهم ١٨٢ فنظموا ودربوا وحدات « الماكى » واستطاعوا فى عمليات مشتركة معهم أن يقتلوا من الألمان ٤٦١ ويصيبوا ٤٦٧ ويأسروا ١٠٫٠٠٠ .

وقد هبطت أول جماعة فى مقاطعة « لو » حيث كان الألمان أقوياء ، فنظمت ثلاث كتائب وأوقعوا فى كمين لهم ألف ألمانى ، ونسفوا جسر السكة الحديدية ، وقنطرة ، وسدوا المقاطعة كلها فى وجوه الألمان .

ولما شرع الألمان فى الارتداد تغيرت اساليب الجماعات الخاصة وخططها ، فقامت إحدى الجماعات وهى مؤلفة من ٢٥ بإنقاذ محطة توليد الكهرباء فى إجوزون ، وهى أهم منشأة كهربائية فى فرنسا ، وكان للألمان هناك خمسمة على أتم استعداد لنسف المحطة حين يصبح الارتداد ضروريا ، فرتب الضابط الذى يقود الجماعة ، اجتماعاً مع قائد العدو وبعثر رجاله وهم فى بزتهم العسكرية فى صفوف الماكى ، ويسر للألمان أن يلمحوهم فى أثناء المفاوضة ، وهدد بالهجوم بألف وخمسمئة

من جنود جيش المظلات الأمريكى ، وعرض على الألمان أن يتركهم ينصرفون بسلام إلى مدينة أخرى ، فبارح الألمان المذعورون المكان وتركوا المحطة سليمة .
ويقر كل رجل من رجال الجيش السرى بالفضل الصريح التام لوطنية الشعب الفرنسى الذى خاطر بكل شىء للمساعدة على تحرير فرنسا . وما أكثر الذين كانوا مطاردين أبداً ، فكانوا لا يجدون مأوى صالحاً ولا الكفاية من الطعام، وكانوا يعملون فرادى أو جماعات صغيرة ، وقد واصل بعضهم الكفاح أربع سنوات، وأهبين حياتهم للجهاد ضد الألمان ، وستظل شجاعتهم تلهم كل الشعوب المحبة للحرية .

حيرة الطبيب

تولى طالب طب فى السنة الثالثة توليد حامل فى أحد أحياء الفقراء فى مدينة بوسطن . وكان هـذا أول توليد تولاه ، ولم يكن له معين ، وكانت الأسرة جميعها تشهد ما يفعل ، على ماجرت به العادة حين يكون التوليد فى البيت .
ولم تكد تتم الولادة ، حتى أخذ الطالب المرتبك الطفل الوليد ورفعه قليلا لكى يلطمه حتى يزفر زفرته الأولى . فما راعه إلا أن ينزلق الطفل من بين أصابعه ، فيقع على كومة من الأغطية ولكن لم يمسسه أذى . وكانت جدته الجالسة قرب موقد المطبخ قد التزمت الصمت فما إن سقط الطفل حتى صاحت بالطالب الفزع تقذفه بوابل من الشتائم ولكنه لم يلبث أن استرد رباطة جأشه وقال بلهجة الأطباء المجربين :«سيكون بخير ياسيدتى ، ولقد ينبغى أحياناأن نلقيهم على الأرض ثلاثا حتى يتنفسوا .

[الدكتور ل . ى . هاكورث]

***

يروى الجنرال فاند جريفت القصة التالية : جاء جندى مصاب إلى أحد مستشفيات الميدان يشكو الأرق ، فأشار عليه الطبيب بأن يأكل شيئاً قبل أن يأوى إلى فراشه . فقال المريض : « ولكنك يا دكتور أمرتنى منذ شهرين أن لا آكل شيئاً قبل أن أنام » . فغضّ الطبيب بصره وقال مصطنعا وقار صناعته : «يقيناً يابنى كان ذلك منذ شهرين ولكن العلم تقدم تقدما عظيما منذ ذلك الحين» .

[اسوشيتد برس]

نم فى رعاية الله ...

پ . ل . ترافرس

ملخصة عن مجلة "جود هاوسكيبنج"

أكان فى العالم قط طفل يحبّ أن يدخل فراشه مختاراً ! يقينى أنى لم أسمع فى حياتى بمثله . ولا عجب فالفراش عند الطفل معناه نهاية يوم جميل وختام مغامرة عظيمة . على أننى قد وجدت أن كل طفل مهما اشتد إباؤه أن يرقد ، يحب ذلك الفراش الكريه إذا ما استكن فى أحضانه الوثيرة، فهو مثواه الخاص وملجؤه الأمين وموضع ثقته وطمأنينته .

وكلما عدت بذاكرتى إلى أيام طفولتى وجدت أن وقت النوم يشغل فى مخيلتى أرحب مكان . لم يكن لدى آبائنا — وما كان أسعدهم — كتب عن تربية الأطفال ونفسيتهم ، ولم يكن لهم مرشد فى هذا الأمر سوى حنانهم وحكمتهم ، وما يتاح لهم من وقت يقضونه مع أطفالهم ، فلم تكن كثرة أعمالهم نهاراً لتصرفهم عن قضاء نصف ساعة مع أطفالهم إذا حان وقت الرقاد . فهذا الزمن القصير بما فيه من هدوء وأمن ومودّة بعد انقضاء النهار الصاخب ، يجمع فى ثناياه لحظات لهونا ، ويسلمنا فى رفق ولين إلى أحضان الليل . كانت دواءً ناجعاً لكل ماينشب من خلاف ، ولطالما شعر بعدها حتى أشد الأطفال جموحاً بالدعة والراحة .

وأنت إذا شعرتَ بالأمن شعرت أنك طيب النفس . وهكذا ينبغي أن يذهب الأطفال إلى أسرتهم متزملين فى طهارة نفوسهم .

ولقد تغير موقف الكبار منذ أن كنت صبيا ، فإن الأطفال الذين كانوا يُعدون يوما ما مخلوقات إنسانية لطيفة ، أصبحوا اليوم جنساً قائماً بنفسه له قوانينه الخاصة . ولقد ألّف بعض ذوى اللحى — وكثير منهم من غير المتزوجين — كتباً عن الأطفال، أشاروا علينا فيها بأن لا نُهَدْهِدهم ليناموا ، أو نغنى لهم أراجيز الأطفال . ولقد غالوا فى المنع فحرّموا القصص الخرافية « خشية تشجيعهم على الكذب » فما أشقى ذوى اللحى وما أشقى الأطفال بهم .

أما أنا فإنى مستعد للدفاع عن أراجيز الأطفال وإن قُتلت فى سبيلها . وإنه ليبدو لى أنه أمر غير طبيعى أن لا نغنى الطفل أرجوزة عند ما يسلم نفسه للنعاس . ولا حاجة بنا أن تكون أرجوزة من أراجيز

المهد ، فأية نغمة ناعمة خافتة تكفى . ولقد اعتدت أن أغنى لطفل صغير عرفته منذ كان لا يزيد حجمه على حجم سمكة . لم أكن أنا مَنْ علمه أن لا يخشى الليل ويلقاه بشجاعة، ولكنها الذكرى التى مازلت أحملها لأساليب والدتى . وسيذكرنى هو أيضاً حين يستسلم أولاده للنعاس آمنين .

إن القراءة والغناء والقصص الدينى تترك أثرها دائماً فى الأطفال ، وإننا لنسىء إليهم إساءة كبيرة إذا أغفلنا أن نقص عليهم القصص الدينية العظيمة ، وأن نعلمهم كيف يصلون ويدعون ربهم . فإن هذه الحقائق القديمة إذا قصت عليهم تفتح لهم كنزاً لا ينفد من الخيال يواتيهم طول حياتهم . إن تلك القصص القديمة تثير فى الطفل أول فكرة حقيقية عن كائن أعظم من نفسه . ولا أظن أن ثمة طفل لم يهتز قلبه وعقله لذكر السموات والملائكة ، وإن الأطفال ليفهمون هذه الأمور أكثر مما يفهمها الكبار . ولما كانوا لا يزالون فى سن التساؤل والعجب ، كانوا أقرب إلى إدراك الحق الخالص .

ودعاء الطفل لإنسان يحبه أن يبارك الله فيه تجعل علاقته بهذا الشخص أقل أثرة ، فهو لم يعد طفلا مدللا بل لقد وجد هو أيضاً إنساناً يدلله .

ثم إن الأغانى والقصص والقراءة عند النوم ليست هى العناصر الوحيدة التى تفضى به إلى النوم الهنىء ، فإن بعض الأطفال ممن أوتوا خيالا واسعاً يجدون فى الذهاب إلى الفراش عذاباً أليماً لخوفهم من الظلام . فإذا ما أطفئت الأنوار تراجعت جدران الغرفة ، واختفت الأشياء المألوفة ، وبدا السرير كزورق ينساب فى بحر لا نهاية له من الظلام . فماذا فى وسعنا أن نفعل بهذا الخوف سوى أن نضىء للطفل نوراً فى ليله ؟ وليس لزاماً أن يكون النور فى غرفة نومه ، فإن بصيصاً من النور من الردهة أو الحمام يكفى أن يزيل ما يعتريه من مخاوف ، ويجعله يشعر بالطمأنينة والأمان . وليس ثمة شىء آخر — مهما كان مقنعاً — يشفيه من هذا الخوف .

إنى أتحدث عن الطمأنينة ولكن لا تظنن أنى أقول إنك أو إنى أو أى إنسان كائناً من كان فى مكنته أن يقيهم شر الأحداث ، فإن الأطفال مخلوقات حية ، وليست الحياة طريقاً آمناً . وإذا ما نظرنا إلى تلك الوجوه المشرقة النائمة أدركنا ، وفى القلب غصة ، أننا لا نستطيع أن ننقذ أطفالنا مما قدر لهم مهما بلغ إعزازنا لهم . ولكن فى مكنتنا أن نوفر لهم لحظات من الدعة والسعادة ، وكنوزاً من الحقائق القديمة يستمدون منها العون إذا حزبهم أمر ، واشتدت بهم الحاجة إلى الغوث والمعونة .

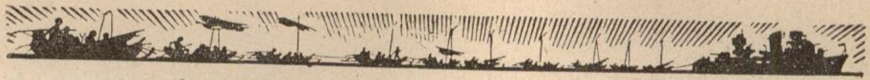

نصف مليون يابانى من المخلَّفين

موريس ماركى • ملخصة عن مجلة "ليبرتى"

« أترى نصف مليون من اليابانيين المقيمين فى الجزائر التى خلفها الحلفاء وراءهم ينشئون فى المحيط الهادى امبراطورية لليابان تبقى قائمة بعد هزيمتها » .

□□□

ماذا تراه يُفعل بنصف مليون يابانى خلّفتهم وراءها الجيوش الأمريكية والأسطول ، وهى تخطف خطفاً حثيثاً فى سيرها فى المحيط الهادى ؟ لقد قال الأميرال نيمتز : « إنا تركناهم يموتون فى ديارهم » . وهم من الوجهة الحربية ، ميتون فى ديارهم. ولكن بعض الثقات يقولون — وهم ينظرون إلى مستقبل المحيط الهادى بعد الظفر فى المعركة الأخيرة : « إذا لم يطارد اليابانيون المخلّفون ويبادوا ، فإنهم سوف يسيطرون على المحيط الهادى ، كأنهم هم الذين أحرزوا النصر فى الحرب ولا أقل » .

وأكثر هؤلاء اليابانيين جنود ، وقليل منهم صناع مدربون وعمال ، ومعهم من النساء بضع مئات من زوجات الضباط والممرضات والبغايا . ومن اليابانيين حوالى مئة ألف فى جنوب المحيط الهادى ، فى غينية الجديدة وفى إرلندة الجديدة وفى جزائر سليمان ، أما الباقون وهم أربعمئة ألف فموزعون فى جميع أنحاء القسم الأوسط من المحيط الهادى : من جزيرة أوشان غربى جزائر جلبرت ، وفى جزائر المرجان الأربع ، من أرخبيل مارشال إلى جزائر ويك وترك ، ثم الجزائر الشمالية من أرخبيل ماريانا.

والمراكب اليابانية لا تستطيع أن تمد أية جزيرة منها بالمؤن ، ذلك بأن الأسطول الأمريكى يخفر طريقها خفارة مستمرة ، ثم إنها لا تستطيع أن تتلقى أية معونة من الجو ، لأن طائرات الحلفاء تقذف بقنابلها ما فيها من المطارات مرة أو مرتين كل أسبوع . وتدل الصور على أن هذه الجماعة القليلة تبذل جهد اليائس فى إصلاح الأضرار التى تلحقها ، راجين أن تأتى طائرة يابانية ، ولكن ما تكاد أرض المطار تصلح لمثل هذا الحادث البعيد الاحتمال ، حتى تأتى قاذفات القنابل فتدكها دكا . وإنْ هو إلا عمل رتيب مطرد .

ولا يزال اليابانيون المخلّفون يحتلون حوالى ثلثى غينية الجديدة التى تبلغ مساحتها ٣١٢,٠٠٠ ميل مربع . وأهالى البلاد

الذين من عاداتهم أكل لحوم البشر واصطياد الناس هم على العموم موالون للحلفاء . وهم بين الحين والحين ينقلون أنباءهم إلى الجنرال السير توماس بلامى قائد القوات البرية للحلفاء فى الجنوب الغربى من المحيط الهادى ، وهذه الأنباء تدل دلالة لا بأس بها على أساليب معيشة هؤلاء اليابانيين .

ومن البين أن اليابانيين، على ما عرفوا به من المهارة وسعة الحيلة ، قد دبروا أمرهم على أن يكونوا فى غير حاجة إلى المعونة من بلادهم البتة ، وأرض غينية الجديدة أرض خصبة ، فبذلك كانت لهم مساحات واسعة يزرعونها .

وقد أدخلوا زراعة الأرز ، وطبقوا طرقا صالحة فى تربية الدواجن والخنازير اقتبسوها من أهل البلاد ، وقد أزعجت هذه الأشياء الجنرال بلامى حتى قال : « إن الاستعمار اليابانى فى المساحة المخلّفة فى غينية الجديدة إنما هو حقيقة واقعة . وإذا لم نستأصل شأفة هؤلاء القوم ، فسوف يتغلغلون ويسيطرون على ذلك الإقليم » .

وقد صح ما توقعه ، وكان فى جزيرة ماجورو ، وهى أحد أهداف الحلفاء من مجموعة جزائر مارشال . فعندما دخلت قوات الحلفاء مياه الجزيرة أدهشهم أن يجدوا أنها لم تكن محمية ، فقد جلت الحامية اليابانية منذ شهور ، لكى تجمع قوتها شرقا فى الجزائر الأربع المحصنة من تلك المجموعة التى تخطتها قوات الحلفاء . وقد أخذوا معهم كل امرأة من جزيرة ماجورو وممن بلغن ما بين ١٦ سنة و ٤٠ سنة . وعقبى ذلك أن يصير النسل فى النهاية خلاسيًّا، ولكن الفرق بين سكان بولينيزيا وميلانيزيا وبين اليابانيين فى ألوانهم وبنية أجسامهم ليس كبيراً ، وإن اختلفوا فى المنشأ والطباع . هذا والآباء من اليابانيين بارعون فى فرض آرائهم ونظامهم على أبنائهم .

وقد خرج منذ زمن غير بعيد قائد مدمرة أمريكية يطوف بمدمرته على بعد عشرين ميلا من شاطىء إحدى جزر الأعداء فى أرخبيل مارشال ، فرأى زورقا منصوب الشراع ، فصعد ربانه المنفرد إلى المدمرة ، وهو زعيم أهالى الجزيرة، وقد خرج راجيا أن يلتقى بسفينة أمريكية فيذكر لها حاجته : فإن قومه ، وهم مئتا أسرة تقريباً ، يلاقون عنتاً شديداً ، فقد استولى اليابانيون على نصف ما يصاد من السمك، وقد قتّروا عليهم تقتيراً بالغا فى توزيع أثمار الشجر ، وهم يصدونهم عن المخابىء عند ظهور قاذفات القنابل الأمريكية، فهل للبحرية الأمريكية أن تيسر لهم سبيل الجلاء عن تلك الجزيرة إلى جزيرة أخرى تسيطر عليها أمريكا .

فقال ربان المدمرة إن هذا ممكن بلا ريب . فرجع الزعيم إلى جزيرته ، وفى تلك الليلة بين منتصف الليـل والفجر دلفت المدمرة نحو شاطىء الجزيرة . وكانت إحدى ليالى المحاق ، وبعد قليـل انطلق من الشاطىء موكب عجيب ، فقد خرج عشرات وعشرات من الزوارق تحمل كل سكان الجزيرة ، فتحرك الجمع ، وكانت زوارقهم منشورة الشراع ولا يسمع لمجاديفهم صوت .

وخرجوا من الظلمة إلى المدمرة التى كانت تنتظرهم فألقوا لهم الحبـال . ولما أشرقت الشمس على المحيط الهادى كشفت عن منظر عجب : مدمرة أمريكيـة تجر وراءها صفاً واحـداً فيه حوالى مئة زورق غاصّ بالرجال والنساء والأطفال . وسرعان ما نزلوا موطناً جـديداً ، ومعهم غذاؤهم وأسـباب علاجهم ، وبدأ الرجال يبنون أكواخاً جديدة .

وقد عـلم رجال البحرية من الزعيم وقومه أن اليـابانيين حاولوا أن ينشـئوا حدائق ، ولـكن قبل أن ينمو الغرس رآها طيارو الحلفاء فألقوا قذائفهم . والسـمك هنـاك هو الغـذاء الأول ، ولم يضـق اليابانيون به لأن السمك غـذاء أصيل فى اليابان . وهذه الجزائر المرجانية ليس من السهل أن تزرع ، فالتربة الرملية ، والرياح التجارية التى لا تنقطع ، وقلة المطر ، تجعل الزراعة المعروفة أمراً مستحيلا ، ولـكن هـذه الجزائر تنبت جوز الهند وفسائل النخيل ونبات التارو وبذور الباندانوس ، وكلها مما يؤكل .

وقد قدر سكان البـلاد عدد الحامية اليابانية بما يقرب من سـبعة الاف وأن حوالى ٤٥٠٠ منهم لا يزالون أحياء . وقد فتكت الطائرات بعـدد كبير منهم ، ومات الباقون بالمرض الخبيث الذى يورثه سوء التغذية (برى برى) وبالدوسنطاريا وما يشبههما من الأمراض .

وقد أجـبر اليابانيون الأهالى على أن يعملوا لهم : بأن يساعدوا فى إصلاح الدارج

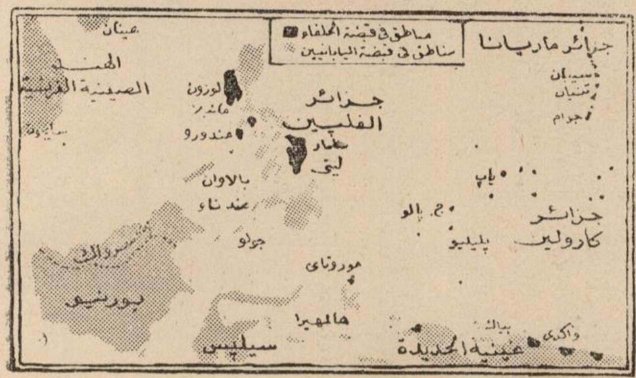

كلما دكت ، وفى بناء المخابىء ، والمصاطب للمدافع المضادة . وقد بنيت المخابىء بناء متينا ، فصارت غارات الحلفاء لا تحدث إلا خسارة طفيفة فى الأرواح. ويظهر أن عندهم مقادير كبيرة من ذخيرة المدافع المضادة . ويظن الزعيم أنهم يتلقون فضلامن الذخيرة، بل مدافع جديدة أيضا من حين إلى حين .

وهذا الظن قد أيدته مشاهدات رجال البحرية فيما يتعلق بأمر دقيق كل الدقة ، فقد ظلت القوة البحرية تعمل فى المحيط الهادى شهوراً، فلم تلق من الغواصات كيداً ولا عنتا . وتدل الدلائل على أن اليابانيين كانوا يستعملون أسطول غواصاتهم فيما يبذلونه من جهد لدوام اتصالهم بالمعاقل القوية المخلفة المعزولة . ولا ريب فى أن المؤن التى يمكن نقلها بهذه السفن كانت محدودة جداً ، وهى أدوية وذخيرة فيما يظن ، لا مقادير كبيرة من الغذاء ولا نجدات .

ومن المعقول أن يعتقد المرء أن هذه الجزيرة خاصة هى المثل الصادق ، فاليابانيون يوطنون أنفسهم على البقاء ، وهم يرون أن المشكلة أهون عليهم إذا كانوا جماعات كبيرة ، كحالهم فى جزيرة ترك حيث الأرض شديدة الخصب.

ولا تنس أنه لم يخطر ببال حامية واحدة من الحاميات المخلفة أن تسلم . وقد يكون السبب أن هؤلاء اليابانيين المعزولين يصغون إلى الإذاعات الصادرة من بلادهم . ونحن نعرف حق المعرفة كيف تكون هذه الاذاعات ، فقد سمعنا مرة بعد مرة قول اليابانيين إنهم قد أحرزوا انتصاراً لا يصدق فى البحر وفى الجو وفى الأرض . ومن الجائز أن يكون كثير من هذه الإذاعات يقصد بها هؤلاء الجنود اليابانيون المنقطعون فى جزائر المحيط الهادى ، والذين يعتقدون اعتقاداً جازما أن سوف ينقذون ، أو أن سوف ترسل إليهم النجدات فى أوانها حتى يشاركوا فى النصر الأخير الذى تحوزه إمبراطوريتهم.

وإذن، فماذا يمكن أن يدبر فى أمر هؤلاء ؟ إنه ليُرَى أمراً بعيد الاحتمال أن يموت هؤلاء الناس جوعا ، ثم إن لفتك القنابل وتدميرها حدا تقف دونه. ومما يفسد على الحلفاء نشوة ظفرهم يوم تسلم اليابان بلا قيد ولا شرط — أن يضطروا إلى أن يعودوا لكى يبيدوا مئة من المعاقل الصغيرة الحصينة ، التى لن يصدق قوادها أو يعترفوا بأخبار ذلك التسليم . ومع ذلك فيبدو أن هذا أمر لا مفر منه ، وإلا فإن هذه الجزائر سوف تكون يابانية، وسوف تكون خطراً دائما، ويومئذ تكون الإمبراطورية اليابانية قد أنشأت لنفسها ملكا جديداً تابعاً لها ، وإن كانت الهزيمة قد حاقت بها .

[أقصوصه مؤثرة عن رجل يكافح العناصر الطبيعية] .

إيقـاد نـار

ملخصة عن قصة بقلم چاك لندن

كان النهار قد طلع بارداً جداً ومكفهراً حين مال الرجل عن طريق يوكون الرئيسى وأخذ فى طريق غير مطروق يخترق الغابة الكثيفة . وكانت الساعة التاسعة ولا شمس هناك ولا إيذان بشمس ، وكان النهار واضحاً ولكن على وجوه الأشياء سجفاً قاتماً . غير أن هذا لم يكرب الرجل فقد مضت أيام لم ير فيها الشمس .

ورمى بنظرة إلى الطريق الذى أقبل منه ، وكان نهر يوكون ، وعرضه ميل ، قد اختفى تحت ست أقدام من الجمد والثلج . وأجال عينه شمالا وجنوباً فإذا كل ما تأخذه أبيض إلى آخر مدى البصر ، ولكن احتجاب الشمس والبرد القارس والوحشة لم تترك فى نفسه أثراً ، لا لأنه قد طال اعتياده ذلك ، فقد كان هذا أول شتاء له هنا ، وإنما كانت آفته أنه لا خيال له ، فهو سريع يقظ فى أمور الحياة ولكنه يعنى بالأشياء لا بدلالتها . وكل ما وقع من نفسه حين قدر أن درجة الحرارة ٤٥° تحت الصفر هو أن الجو بارد مزعج ، وهذا كل ما شعر به ، فلم يدفعه ذلك إلى التفكير فى ضعفه كمخلوق ذى طاقة معينة لا يستطيع أن يعيش إلا فى حدود ضيقة معينة من الحر والبرد . وتقفل وهو يدور ليواصل السير ، فسمع صوتاً حاداً كالفرقعة أزعجه ، فتفل ثانية ، وقبل أن تصل البصقة إلى الثلج سمع هذه الفرقعة ، وكان يعلم أن البصاق يفرقع على الثلج فى مثل هذه الدرجة تحت الصفر ، ولكن الفرقعة حدثت فى الجو ، فلا شك أن درجة الحرارة أوطأ من ٤٥° . غير أن درجة الحرارة لا تهمه ، فإنه قاصد إلى أرضه القديمة عند خور هندرسون ، وسيكون فى المخيم فى نحو الساعة السادسة ، ولا بد أن يكون القوم قد أوقدوا ناراً وأعدوا عشاءاً ساخناً .

وانطلق يمشى بين الأشجار الكبيرة ، وكان الطريق غير واضح ، فما سار فيه رجل ، جيئة أو ذهاباً ، منذ شهر ، وكان يتبعه كلب كبير من كلاب هذه الأرض ، وقد ثقل عليه البرد القارس ، وأدرك بفطرته أن هذا ليس وقت السير ، وكانت غريزته أصدق من رأى صاحبه . والحقيقة أن درجة الحرارة لم تكن ٤٥° تحت الصفر

بل ٦٠ ، وساور الكلبَ خوفٌ غامض جعله يتبع خطوات الرجل، وبالـه إلى كل حركة غير عادية، كأنما يتوقع منه أن يدخل المخيم ويوقد ناراً، فقد ألف الكلب الادّفاء على النار ، وكان يبغيها .

وكانت لحيـة الرجل الحمراء قد جمدت وزاد الثلج عليها مع كل نَفَس يخرجه ، فلو وقع لتكسرت هـذه اللحية المتبلورة كما يتكسر الزجاج . وكان وهو يمشى يحك عظام خديه وأنفه بظهر يده المدسوسة فى القفاز ، وكان إذا كف عن حكها تخدر ، وكان واثقاً أن خدّيه سيجمدان ، ولـكن الخد إذا جمد ليس مما يقلق .

وكان يجعل باله بدقة شديدة إلى موضع قدمه قبل الخطو ، وحدث مرة وهو يدور حول منعطف أن ارتد بغتة ، وكان يعلم أن الخور متجمد إلى قاعه ، ولـكن هناك عيوناً متفجرة من الجبـال وماؤها يجرى تحت الثلج ، فهى فخـاخ تحجب بركا من الماء قد يكون عمقها ثلاث بوصات أو ثلاث أقدام ، وهذا هو الذى جعله يرتد فزعاً ، فقـد أحس بالرخاوة تحت قدميه وسمـع طقطقة غشاء الثلج ، وإذا ابتلت قدماه فى مثل هذا البرد كان ذلك خطراً .

وفى السـاعة الثانية عشرة كان النهار أضوأ ما يكون ، ولـكن الرجل لم يلق ظلا على الأرض ، وكانت الشمس فى أقصى الجنوب فهى لا تجلو الأفق ، وفك الرجل أزرار سترته وأخرج غـداءه ، وكان قد ألصقه بجلده حتى لا يجمد ، ولم يستغرق ذلك إلا ربع دقيقـة ، ولـكن الخـدر أصاب الأصابع المعرّاة ، فضرب سـاقه بأصابعه ودسها فى القفاز ، وحاول أن يأكل لقمة، ولـكن لحيته المتجمّـدة كانت كالكمامة فحالت دون ذلك ، فقد نسى أن يوقد ناراً ويذيب الثلج ، وأضحكته غفلته . ولاحظ وهو يضحك أن الوخز الذى أحس به فى أصابع قدميه حين قعد قد أخذ يزايله ، فتساءل أترى أصابعه دافئة أم خدرة ؟ وكبر فى ظنه أن هذا من الخدر .

فانتابه بعض الرعب . لقد صدق ذلك الرجل — من أهالى سلفر كريك — حين وصف ما يبلغه البرد من شدة ، أحياناً ، وقد سخر منه ! وهـذا يدل على أن المرء لا ينبغى أن يبالغ فى الثقـة والاطمئنان . وأخرج كبريتاً وشرع يوقد ناراً ، واقتلع بعض حشائش ، وتوخّـى الحذر فما لبثت أن تأججت النار ، وتسعّـرت فأذاب عليها الثلج الذى على وجهه ، وأكل طعامه ، وتغلب إلى حين على البرد ، ورضى الـكلب عن النار وتمدد قريباً منها . فلما وضع الرجل قفازه على يديه ، وأسدل على أذنيه غطاءها

وأخذ طريق الخور ، حن الكاتب إلى النار ، ألا أن هذا الرجل ليجهل ما البرد!

ثم كان ماخاف أن يكون . ففى موضع كان الثلج الناعم فيه يوهم الصلابة ، وقع الرجل ، وسقط فى الماء إلى قريب من ركبتيه قبل أن يستطيع الخروج إلى الطبقة المتينة .

فلعن سوء حظه بصوت عال ، فإن هذا سيؤخره ساعة ، إذ عليه أن يوقد ناراً ويجفف ما يلبس فى رجليه ، فصعد إلى شاطئ النهر ، وهناك وجد حطباً جافاً مما طرحه النهر ، مختلطاً بالعشب النابت حول جذوع الأشجار الصغيرة . فألقى بعدة أجذال ، وأثقب النار بإدناء عود من الكبريت من لحاء خفيف أخرجه من جيبه .

وكان يعمل على مهل وبحذر ، وهو دقيق الإدراك لما هو فيه من خطر ، وجلس القرفصاء على الثلج ، وجعل ينزع الأعواد مما اختلطت به من العشب ويذكي بها النار ، وكان يدرك أنه يجب أن لا يخفق فإنه إذا كانت درجة الحرارة ٦٠ تحت الصفر فعلى المرء أن لا يخفق فى أول محاولة لإيقاد نار ، إذا كانت قدماه مبتلتين . فإذا كانتا جافتين، فإنه يسعه أن يجرى ويستحث دورة الدم ، التى لا يمكن أن يعيدها الجرى إلى قدمين مبتلتين متجمدتين إذا كانت درجة الحرارة ٦٠ تحت الصفر .

وصفع الفضاء ببرده الأرض ، وتلقى الرجل الغشية بكل قوتها ولكنه كان إلى الآن آمناً ، فقد كانت النار محتدمة قوية ، وتذكر نصيحة ذلك الرجل الهرم المجرب فى « سلفر كريك » وتبسم ، فقد كان هذا الرجل المجرب جاداً حين قرر أنه ما من إنسان يجوز له أن يقطع أرض كلونديك وحده إذا ما هبطت درجة الحرارة إلى ٤٥ $\frac{٥}{٩}$ تحت الصفر . وهذا هو الآن . وقد اتفق له هذا الحادث ، وإنه لوحده ، وقد أنقذ نفسه ، غير أنه لم يدر بخلده من قبل أن تفقد أصابعه الشعور فى مثل هذا الوقت الوجيز . وإنها لميتة ، فما يكاد يستطيع أن يمسك بها عوداً ، وإنه ليخيل إليه أنها بمعزل عن بدنه ، حتى إنه ليلمس العود وينظر ليرى هل هو قابض عليه أو غير قابض ، فكأن الأسلاك التى تصل ما بينه وبين أنامله قد تقطعت .

ثم كان الحادث قبل أن يستطيع أن يحل أربطة نعليه . وكان الذنب ذنبه ، أو على الأصح خطأ منه ، فما كان ينبغى أن يوقد النار تحت الشجرة ، فقد كانت الشجرة تحمل عبئاً من الثلج ، وكان كلما اقتلع عوداً ، تهتز الشجرة ، فيسقط عن غصن منها ما يوقره من الثلج ، وصار كالسيل وهو ينزل عليه بلا إنذار وعلى النار ، فخمدت النار .

وذعر الرجل ، فكأنما سمع الحكم عليه بالإعدام . ثم سكنت نفسه جداً ، وصار عليه أن يوقد مرة أخرى . وكان الأرجح حتى إذا وفق، أن يفقد بعض أصابع رجليه، فجمع حشائش جافة وبعض عيدان صغيرة، وكان لا يستطيع أن يضم أصابعه الخدرة ليقتلع العيدان، فجمع معها طائفة من الحشيش الأخضر لم يكن مرغوباً فيه ، ولكن هذا كان خير ما يستطيع .

ولما تهيأ كل شيء أدخل يده فى جيبه ليخرج قطعة أخرى من اللحاء، وكان يسمع صوت خشخشتها ولكنه لم يستطع على فرط اجتهاده أن يمسك بها ، فجعل يضرب فخذيه بيديه ، وبعد مدة شرعت بدايات الإحساس فى أصابعه تقوى حتى صارت ألماً لاذعاً مبرحاً، ولكنه رحب به راضياً عنه مغتبطا به ونزع القفاز عن يمناه ، وأخرج قطعة اللحاء ثم أخرج ما معه من عيدان الكبريت، ولكن البرد كان قد جرد أصابعه من الحياة، فلما حاول أن يتناول عوداً من الأعواد سقطت كلها على الثلج ، وعجزت أصابعه الميتة عن أن تمسكها ، ونحى خاطر قدميه الباردتين من رأسه ، ووجه كل همه إلى الكبريت ، وجعل يراقب نفسه ويحل البصر محل اللمس، حتى إذا رأى أن أصابعه على جانبى الكبريت عزم على أن يضمها عليه، ولكن أعصابها كانت قد فقدت الحس .

وبعد محاولة استطاع أن يضم الكبريت بين رسغيه فى قفازيهما ، وحمله إلى فمه ، وطقطق الثلج وانشق ، حين جاهد بعنف ففتح فمه والتقط عوداً من الكبريت بأسنانه ، وحكه عشرين مرة على رجله قبل أن ينجح فى إشعاله، ولكن رائحة الكبريت المشتعل دخلت فى خياشيمه فسعل برغمه فهوى العود إلى الثلج وانطفأ .

لقد كان الرجل الهرم المجرب على حق . جرى ذلك بباله فى لحظة من لحظات اليأس المكبوح ، فبعد أن تهبط درجة الحرارة إلى خمسين تحت الصفر ينبغى أن لا يخاطر المرء بالسير إلا ومعه رفيق، وعرّى كلتا يديه فجأة وضم رسغيه على العيدان كلها وحكها برجله فاشتعلت ، واتقد سبعون عوداً دفعة واحدة ! وأحس وهو يدنى اللهب من اللحاء أن جلده يحترق ، وكان يشم رائحته، فباعد ما بين يديه ، واشتعلت النار فى اللحاء ، فشرع يلقى عليها العيدان .

ولم يكن يستطيع أن يتخير ، فقد كان مضطراً أن يرفع الحطب بين رسغيه ، ولكنه أذكى النار بعناية وبدون لباقة ، فقد كانت النار معناها الحياة ، وأخذ ينتفض من البرد ، فزادت حركاته اضطراباً ، وسقط عود من الطحلب الأخضر فوق

النار الصغيرة ، وكان انتفاضه من البرد يجعل تحريكه للنار نثراً ، فتبعثرت العيدان وخمدت.

وغمره خوف حاد ثقيل الوطأة ، إذ أدرك أن الأمر لم يعد أمر فقد يدين ورجلين وجزع وفزع ، فذهب يعدو على الخور المتجمد ، وعلى الطريق القديم الغامض ، وأشعره العدو أنه صار أحسن حالا ، ومن يدرى ؟ لعله إذا واصل العدو ، تدفأ قدماه المتجمدتان . وهو خليق على كل حال إذا ثابر على الجرى أن يصل إلى المخيم والرجال.

وخطر له أن من العجيب أن يستطيع العدو بقدمين متجمدتين لا يشعر بهما وهو يضرب الأرض ، وخيل إليه أنه يطير فوق سطح الأرض ، ولكنه عثر مرات ، وسقط آخر الأمر ، ولما حاول أن ينهض عجز . فبدا له أن يجلس ويستريح ثم يقتصر بعد ذلك على المشى ويواصل السير ، ولاحظ أنه يشعر أنه دافئ ومرتاح ، غير أنه لما لمس أنفه أو خديه لم يشعر بشىء ، فخطر له أن الأجزاء المتجمدة من بدنه تزداد اتساعاً وامتداداً ، وحاول أن ينحى هذا الخاطر لأنه خشى عاقبة الفزع الذى يورثه إياه .

وشرع يجرى مرة أخرى ، وكان الكلب يجرى معه طول الوقت ، فلما وقع الرجل مرة أخرى ، لف الكلب ذيله حول قادمتيه وجلس أمامه يواجهه ، فى يقظة وتربص غريبين ، وفى هذه المرة انتابته الرعدة بسرعة ، وكان الخدر يدب فى بدنه من كل ناحية ، فدفعه هذا إلى استئناف السير ، ولكنه تعثر مرة أخرى وانطرح .

وكان هذا آخر ما عراه من الفزع ، فلما انتظمت أنفاسه ، جلس وشرع يفكر فى ملاقاة الموت رابط الجأش . وكبر فى ظنه أنه لا بد أن يموت برداً ، فخير له أن يتلقى الموت كريماً . وقاربه مع هذه السكينة النفسية الجديدة ، النعاس ، فخطر له أن من الخير أن ينام فيقضى نحبه ، وثم ميتات أخرى شر من هذه .

وجعل يتمتم مناجياً ذلك الهرم المجرب :

« لقد كنت على حق ياصاحبى .. على حق »

ثم غلبه النوم فراح فى أطيب سبات عرفه فى حياته وظل الكلب يواجهه وينتظر . وذهب ضوء النهار ودخل فى غسق طويل بطىء ، ولم يكن ثم ما يؤذن بنار توقد ، ولم ير الكلب من قبل رجلا يستلقى هكذا على الثلج . فلما أطبق الغسق غلبه حنينه إلى النار ، فردد صوته بالعواء ، غير أن الرجل ظل صامتاً . زحف الكلب إلى الرجل ودنا منه وشم رائحة الموت ، فقفقف شعره وتراجع ، وظل فترة أخرى يعوى تحت النجوم الباردة .

ثم دار ومضى فى الطريق إلى المخيم حيث يجد من يزوده بالطعام ، وبالنار .

كيف يفسر التآلف الغريب الذى ينشأ بين الأعداء الألداء من الحيوان ؟

تآلف الحيوان

ج . فرانك دوبى

ملخصة عن مجلة " نيتشر "

يدهشنى البتة أن أرى أسداً وحملاً راقدين معاً على أن يكون كل منهما قد انقطعت صلته بعشيرته ، وأن يكون الأسد قد صادق الحملَ فى وقت شبعه . نعم تكاد الحيوانات جميعاً تتوق إلى الألفة والرفقة فإذا لم تستطع أن تصاحب من بنى جنسها أنشأت أحياناً مودّات بينها وبين حيوانات غريبة عنها كل الغربة .

كان لأحد رعاة البقر على شاطىء نهر فريو فى ولاية تكساس غزال أليف رباه منذ الصغر مع كلاب المنزل ، فنشأت بينه وبين كلب كبير من الكلاب اسمه « أولد بلو » صداقة وثيقة ، وصارا لا يفترقان . وإذا أخذ « أولد بلو » يلتهم طعامه وقف الغزال يذود الكلاب عنه . وإذا ذهبت جماعة الكلاب إلى الصيد رافقها الغزال وتقدم الكلاب فى إثر الذئاب أو غيرها من الحيوانات . ولما بلغ الرابعة أو الخامسة من عمره جعل ينزع إلى التطواف وحيداً فى الخلاء ، وكانت الوسيلة الوحيدة لإغرائه بالعودة أن ينفذوا « أولد بلو » إلى مكان قريب منه ، فإذا استشعر وجود الكلب أقبل عليه ورافقه عائداً إلى المزرعة حيث يظل بها إلى أن يهتف به هاتف الخلاء فيخرج إليه ثانية .

ولا شك فى أن الباعث فى بعض الأحيان على الألفة الغريبة التى تنشأ بين الحيوان هو غريزة المحافظة على النفس . وقد رأى أحد السائحين فى سهول كنساس منذ سنين ، ثوراً هزيلا من الجاموس فى صحبة جماعة من الخيول الوحشية ، وربما كانت هذه الخيول الوحشية قد احتملت صحبته لا أنها أحبّته ، ولكنه كان فى صحبتها آمناً على نفسه من الذئاب . وثمة ما كان من أمر بفلو جونز الذى جاهد فى سبيل الإبقاء على الجاموس الأمريكى حتى لا ينقرض ، فقد حاز مهراً صغيراً عمره سنتين كان قد قضى سنة يرعى مع قطيع من الجاموس .

عند ما كنت صبيا أعيش فى مزرعة يكثر فيها طير السُّمَانَى (السمّان) ، جاء

صيف فرأيت سمانى قد صحبت دجاجنا وجعلت تذهب لتنام معه فى بيته . ومع أن من طبيعة السمانى أن يجثم فى الأرض ، فقد كانت هذه السمانى الصغيرة تلازم دجاجنا صباحاً ومساء ، وأخواتها يتصايحن بها من كل جانب أن تعود ، وكأنى بها قد نسيت بنى جنسها .

وفى كثير من الحيوان غريزة الأمومة والكفالة ، فكثيراً ما تفضى بها إلى مَوَدَّات غريبة . ففى سنة ١٩٣٤ كفلت بقرة حلوب فى وايومنج غزالاً أمريكيا يتيما . وكان لصديق لى فى ولاية تكساس حاضنة حيوانات شديدة العطف لم أسمع بمثلها ، هى بغلة كفلت عجلا فأرضعته وربته إلى ما بعد الفطام . وقرأت أخيراً عن حادثة مماثلة فى ولاية تكساس أيضاً ، حتى إن الراعى لما اقترب من العجل ركلته البغلة فكسرت فكه .

وللحيوانات كما للإنسان غرائز متناقضة . فقد تعقّبت كلبة ترضع أجراء لها ، أنثى حيوان الكيوت إلى جحرها وساعدت على قتلها . وكان لأنثى الكيوت أجراء هى الأخرى ، فلما أخرج الصغار من الجحر أنّت الكلبة وتشممتهم عاطفة عليهم عطفاً شديداً . وأنقذ جرو صغير من أجراء الكيوت ووضع مع أجراء الكلبة فأقبلت عليه ترضعه وتفليه مع صغارها حتى كبر وصار للكلاب رفيقاً محبوباً .

كان لأولاد إحدى الأسر فى أوكهرست بولاية تكساس كلبة يلعبون معها ، فأعطاهم صديق ثلاثة سناجيب (جمع سنجاب) صغيرة ، فاحتضنتها الكلبة فى الحال كأنها أجراؤها هى وأرضعتها وربتها . وكانت الكلبة قبل أن تاتى السناجيب على وفاق تام مع هرة ، ولكنها بعد أن احتضنت السناجيب صارت تطرد الهرة مغضبة إذا هى اقتربت من أجرائها .

على أنه لا يمكن تفسير بعض الصداقات التى تقوم بين الحيوانات بما يكون من غريزة الكفالة أوحب العزلة ، وإنما تنمو تلك الصداقات كما تنمو الصداقات الإنسانية عن لقاء يأتى اتفاقاً . وجد أحد سكان دنكان بأوكلاهوما كلباً لجار له يحاول أن ينام على القش فى حظيرة بقرته ، وحاولت البقرة فى أول الأمر أن تركل الكلب، واسمه « بك » ، لتقصيه عنها . وأخيراً كان لبك ما أراد ، فقد ظل يرافق البقرة وهى ترتعى ، فإذا ظهر كلب غريب طارده وأقصاه عنها . وقد صار الكلب والبقرة رفيقين لا يفترقان .

ومن أجمل ما أذكر من مناظر الطبيعة منظر رَشَأ مرقط (غزال صغير) وقطتين وقد رقدوا فى الشمس على الحشيش الأخضر . ويمد الغزال جِيدَه الجميل على الأرض ، وقد

تمددت على جانبيه القطتان أيضاً، ويغفو الجميع كما تغفو القطط. وكان ثلاثتهم يشربون اللبن معاً. وبينا كان الغزال يقضم الحشيش كانت القطتان تضعان أرجلهما الأمامية على ساقه وكتفه أو على رأسه. ولم يكن للغزال الأسير سوى هاتين الرفيقتين يرتع معهما ويلعب، ولم تبد القطتان رغبة فى رفقة القطط.

حدث منذ سنين أن ربى راعى بقر فى تكساس بطناً من صغار الخنازير مع بطن من الأجراء، فكانت الخنازير والأجراء يختلط بعضها ببعض وتلعب معاً. وذات يوم اصطاد الراعى ثعلباً، فحبس كلابه الكبيرة وأطلق الثعلب لتطارده الأجراء. وأخيراً استدار الثعلب نحوها مكشراً عن أنيابه فصرخ جرو يطلب النجدة، فهرع إليه ثلاثة من رفقائه الخنازير وهاجموا الثعلب وكادوا يجهزون عليه، لولا أن ذادهم عنه راعى البقر.

إن إسراع الخنازير إلى الجرو فى محنته ليس أعجب من حراسة الكلب لطفل سيده. ومن الممكن، إذا أتيحت الفرصة، أن ينمو أى نوع من التآلف بين حيوان وآخر، كما ينمو بين الإنسان وأى نوع من الحيوان. ويبدو أن ذلك جزء من سنة الطبيعة.

عرف الفيلد مارشال مونتجومرى بأنه لا يدخن ولا يشرب الخمر ولا يسب أحداً ولا يأكل اللحم. فلما دعا القائد الألمانى الجنرال فون توما إلى العشاء بعد أسره فى معركة العلمين، احتج على ذلك النواب البريطانيون فى مجلس النواب، فهز تشرشل كتفيه وقال: « مسكين فون توما، فقد تعشيت أنا أيضاً مع مونتجومرى ».

طار الجنرال باتريك ج. هرلى إلى موسكو ليدبر أمر اشتراك ستالين فى مؤتمر طهران، وبعد أن أقرت جميع التفاصيل سئل هرلى عن الطريقة المتبعة فى تحية روزفلت وتشرشل باللغة الإنجليزية، فقال: « ما عليك إلا أن تتقدم وتقول هذه الكلمات ». فحفظها ستالين وتحين لإلقائها مأدبة عشاء سبقه إليها روزفلت وتشرشل، ففتح باب ردهة المأدبة وشخص ببصره إلى الضيوف المجتمعين وقال: « تباً لكم، ماذا تفعلون هنا؟ »

"وفّر إنتاجك" مشروع زراعى لسكان المدن

إد روبنسون

ملخصة عن
مجلة " بترهومز آند جاردنز "

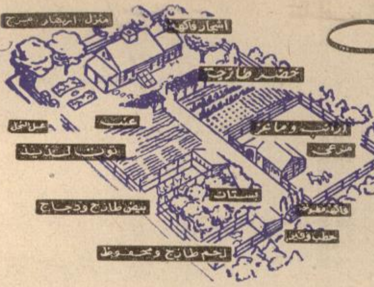

« أرض صغيرة ورزق وفير » هـذا هو شعار هذين الزوجين الشابين النشيطين اللذين استطاعا أن يجعلا مزرعة فى إحدى الضواحى تدر عليهما المال .

كنا — نحن أسرة روبنسون — نقطن منذ عامين شقة فى نيويورك ، فتبينا أن متاعب المعيشة فى مدينـة كبيرة تفوق ما يُزْهَى به الناس من أسباب الراحة فى المـدن ، فكل عمل نعمله كان يكلفنا مالا ويجشمنا عناء .

فلكى نهيىء لطفلنا فرصة اللعب فى الخلاء مثلا ، كان حتما علينا أن نحمل أغطيته وألعابه ، وأن نجتاز طول شارعين ، وأن ننتظر الترام ، ثم نقطع به طول اثنى عشر شارعاً ، وأن نحمل كل شىء إلى الحديقة حيث نبحث عن مكان يصلح لجلوسنا ، وفى عصر يوم قائظ أقبل علينا شرطى قائلا : « ألا تعلمون أن الجلوس هنا ممنوع » .

فمن يومئذ فكرنا تفكيراً صادقاً فى سكنى الريف ، فلم نتبين أول الأمر كيف نصنع ، ثم تراءى لنـا تدبير أمرنا بإنتاج بعض ما نحتاج إليه من طعام . وكنا لانعرف شيئاً عن الزراعة ، فبدأنا نقرأ مئتى كتاب ونشرة ، ثم وجدنا على مقربة من نوروك بولاية كونكتكت ، وعلى مسيرة ساعة من مكتبى بنيويورك ، منزلا فيه ست غرف ، قائماً على أرض منبسطة شجراء ، مساحتها فدانان ، وكان علينا أن ندفع نقداً ستمئة ريال ، أما الأقساط وفوائدها والضرائب فتبلغ ٤٩٫٣٠ ريالا فقط فى الشهر ، فكان ذلك أقل مما كنت أدفعه لا ستئجار شقتى بنيويورك ، حتى مع مصاريف انتقالى .

كانت فكرتنا الأولى أن نزرع الأرض لخاصة شـأننا لا للربح منها ، فأطلقنا على مشروعنا هـذا اسم « وفر إنتاجك » ، فأنت إذا لم تنتج إلا أشياء قليلة ، فلا بد لك من أن تبيع ما يفيض منهـا عن حاجتك بسعر الجملة ، وأن تشترى ما تحتاج إليه بسعر التجزئة ، ولـكنك إذا أنتجت مقادير أقل

منها من منتجات كثيرة مختلفة تستهلكها أنت ، قلَّ ما تحتاج إلى شرائه من الأصناف .

ونحن ننتج اليوم من مزرعتنا الصغيرة كل حاجتنا من اللبن والقشدة وبعض الزبد ، وكل حاجاتنا من البيض ، وما يقرب من ١٢٠ رطلا من لحم الدجاج فى العام ، ومئات الأرطال من لحم الخنزير الطازج والمقدد وفخذه المملح ، يضاف إليها الأرانب والضأن والإوز وتوت العلّيق ، وكل ما نحتاج إليه من الخضر الغضة والمحفوظة والمبرّدة ، إلا قليلا منها نشتريه ، وكذلك يظفر منها بالسماد لحديقتنا ومَرْجنا .

وقد يخيل إليك أن العناية بحديقة ، وأشجار فاكهة ، وعنز للبن ، ودجاج ، وأرانب ، وإوز ، ونحل ، إنما هى عمل يرهقنا ، ولكنه عمل علينا يسير ، مع أننى أسافر إلى عملى بنيويورك خمسة أيام فى كل أسبوع . وكلانا فى ريعان عمره ، فعمرى ٣٢ سنة وعمر زوجتى ٢٩ عاماً ، وكلانا قوى ولا يهاب العمل . ونحن نستيقظ فى السادسة والنصف ، وأعود من مكتبى فأعمل فى الحديقة بين السابعة والتاسعة مساء ، وقد نعمل أحياناً حتى منتصف الليل فى موسم إعداد الخضر والفاكهة لحفظها فى العلب . ولست أستطيع أن أشير بهذا الجهد على طاعنين فى السن أو ضعفاء ولكنك إذا أطقته ارتاحت إليه نفسك .

ويدل حسابنا على أن ما ننتج من الطعام لو ابتغيناه من السوق زاد ثمنه ٥٥ ريالا فى الشهر الواحد على نفقات الإنتاج . هذا وقد قلّ ما ننفقه فى العلاج الطبى وغيره من أبواب الإنفاق الكثيرة ، فنحن فى المدينة نصرف غير قليل من المال فى المسارح ومباريات البيس بول « الكرة » وحفلات الكوكتيل وغير ذلك ، ولكنا اليوم نستفيد من أوقات الفراغ فى بناء حائط أو قطع حطب المدفأة أو رعاية دواجننا ، وتبلغ قيمة ما نوفره من ذلك حوالى تسعمئة ريال فى السنة ، ثم تأتى بعد ذلك أشياء لا تقدر بمال ، كجودة الطعام ، والاعتزاز بمنزلنا ، والشعور بأننا قد بلغنا ما نتمنى .

وكان إنتاج البيض أول أهدافنا ، وظننا أننا فى حاجة إلى ٢٤ بيضة فى الأسبوع ، فاشترينا سبعة فراريج كلفتنا أحد عشر ريالا ، ولكنها لم تضع بيضا فى الأسبوع الأول . وجاءت ليلة فقابلتنى زوجتى فرحة حين عدت من نيويورك — فقد وضع دجاجنا بيضة واحدة ، وظلت الدجاجات السبع ثمانية شهور تبيض حتى وضعت ٦٤٦ بيضة فقدرنا أثمانها وتكاليفها ، فإذا

لكل اثنتى عشرة بيضة ستة قروش ، يقابلها ١٦ قرشاً عنـد البدال ، فزدنا سرب الدجاج إلى عشرين ، وبذلك وفرنا ١٥ ٪ من مصاريف تغذيتها . ونحن نستهلك الآن ٤٨ بيضة فى الأسبوع . فإذا زاد الإنتاج عن حاجتنا بعته لزملائى فى المكتب بسعر ١٦ قرشاً لكل ١٢ بيضة .

ثم يجىء أمر دجاج الأكل ، والذى يربى على الطريقة المسماة « وحدات الدجاج » فتقلل هـذه الطريقة من احتمال هلاك الأفراخ « الكتاكيت » بالمرض ، ويرسل إلينا معهد التفريخ اثنين وثلاثين من هذه الصغار كل دفعـة ، يكلفنا إطعامها أربعة قروش وحسب للرطل الواحـد من لحم الدجاج . والعمل ؟ أتسـأل عن العمل ؟ استغرق إعداد أول دجاجة صغيرة من ذبح وتنظيف ما يقرب من سـاعة ، ولـكننا استطعنا فى اليوم التالى إعداد سبع منها فى ساعتين ، وتستغرق رعاية « وحـداتنا » أقل من عشر دقائق كل يوم ، وبعد تسعين يوماً ظفرنا بما يكفى حاجتنا من الطعام كاملا.

وقدرنا أنه يجـدر بنا أن نربى من الدواجن نوعاً آخر على الأقل ، ووجدت أن الإوز خيرها طعاماً وأسهلها تربيـة ، فبدأنا باثنتى عشرة بيضة من بيض الإوز ، ثمنها أربعة ريالات ، ففرخت سبع منها تحت دجاجتين من دجاجنا ، فأكلنا ثلاثة منها ، وبعنا اثنتين ، وأبقينا زوجاً لتربيته .

فانتحينا بذلك منحى جديداً فى مشروعنا « وفر إنتاجك » ، هو الاتجار مع جيراننا ، فقـد قايضنا الإوز بالديوك الروميـة ، والأرانب بالكمثرى . وفى الشتاء الماضى قايضنا دجاج الأكل والبيض بالبطاطس . فإذا جرى عـدد من الجيران على نظام « وفر إنتـاجك » ازداد تنويع المنتجات المتاحة لهم ازدياداً مطرداً ، وقلت مصاريف الإنتاج ، وقل مجهود العمل .

فلما انقضى الشتاء الأول ، صرفنا جهدنا إلى الحديقة ، فحصلنا أثنـاء الموسم على كل حاجتنا للأكل من الخضر الغضـة ، ثم حفظنا منها للشـتاء التالى ما يقرب من ١٨٧٫٥ رطلا فى العلب أو الثلاجة ، وقد وفر علينا ذلك ما قيمته ١٥٠ ريالا .

وذات يوم تصفحنا قسـائم ما اشتريناه من اللبن والزبد والجبن ، فوجـدنا أن مصنع الألبان يأخذ ما يقرب من ٢٥ ٪ مما ننفقه على طعامنا ، فكان من الواضح أنه يجب علينا أن نبدأ بإنتاج اللبن ، ولـكن البقرة الواحـدة تحتاج إلى مرعى مساحته فدانان ، فما هو إلا أن اقتنينا عنزاً حلوباً .

وكلفنا شراء عنز نوبية ومعها رضيعها مبلغ ٤٩ ريالا منها أجرة النقل ، فأدرّت

هذه العنز ١١٫٢٥ رطلا فى اليوم ، وما زالت تدر ٣ ٣/٤ رطل من اللبن كل يوم ، وذلك بعد تسعة أشهر من ولادتها . وهى صغيرة السن ، ونتوقع أن تدر أكثر من ذلك فى الموسم القادم ، وأصدقاؤنا من سكان المدينة يدهشون حين يعلمون أن ما تناولوه من لبن فى الغداء كان لبن عنز ، فليس للبن الماعز مذاق غريب يميزه متى اعتنى بحلبه ، وهو أدسم قليلا من لبن البقرة وهو صاف متجانس بطبيعته .

ومضينا نحشد أسباب إنتاج المأكولات المختلفة فى مزرعتنا الصغيرة ، فزرعنا بها ١٥ شجيرة من شجيرات التوت البرّى واتخذناها سوراً ، وعشر دوالى كرم ، ومئة من شجيرات توت العُليق ، وبقعة صغيرة من الشليك ، وقد زادت أشجار الفاكهة الثمانية عشرة من جمال المرج المنبسط فى دارنا ، وجنينا من خلايا النحل فى العام الماضى ما يقرب من خمسة أرطال من العسل ، وسنجنى منها هذا العام ما لا يقل عن ١٥٠ رطلا ، وهذا لم يكلفنى أنا وحدى من العمل أكثر من ٢٤ ساعة فى العام .

واشترينا فى شهر إبريل خنزيرين مطعمين ضد الأمراض ، عمرهما سبعة أسابيع ، وذبحناهما فى ديسمبر فحصلنا على ٤٦٠ رطلا من اللحم ، ولم يزد ثمن الرطل منها على خمسة قروش ونصف قرش . وعمدنا إلى تربية الأرانب فاتخذنا ذكراً وأنثيين . ولما كان الأرنب نَثُوراً (كثير النسل) فسنظفر فى العام الواحد بما يتراوح بين ٣٠ أرنباً إلى ٤٠ ، يختلف وزن أحدها من ثلاثة أرطال إلى أربعة ، وهى أسهل فى الطبخ من الدجاج ، ولا تقتضى العناية بها سوى خمس دقائق كل يوم ، ولا يتكلف الرطل من لحمها أكثر من قرشين إلى قرشين ونصف ، ولا نبقى عندنا أكثر من ١٨ أرنباً ، وبيتها لا يشغل من الفراغ أكثر مما تشغله مائدة وسط .

وأكبر ما يبعث فينا السرور من أعمال مشروعنا هو حفظ الأغذية ، إذ نأكل من جنى مزرعتنا طول العام . ومن سعادة الجدّ أن الناس يعرفون اليوم ثلاث طرق لحفظ الأغذية — التبريد السريع والحفظ فى العلب والتجفيف . وقد كان طعامنا ، فى عامين فرض فيهما نظام الجراية ، أجود مما كان من قبل . فالدجاج الذى نأخذه من ثلاجتنا طرى ولذيذ ، والخضر الطيبة المذاق تتيسر لنا فى شهر يناير ، وهكذا ، والثلاجة السريعة التبريد هى عماد أمرنا فى مزرعتنا الصغيرة .

نعم إنه لأفضل أن نحفظ بعض ضروب الأطعمة فى آنية من الزجاج ، فلذلك نجد

رفوفنا غاصّة بتلك الأوانى البراقة التى تملؤنا زهواً ورضى، وتوفر علينا مالا كثيراً أيضاً. فقد كلفنا إعداد ١٨٧,٥ رطلا من عصير الطماطم المحفوظة أربعة ريالات فقط، منها ثمن الثمار، والتصفية، وأوانى الزجاج والتوابل، والتيار الكهربائى، ولو اشتريتها لكان ثمنها ١٦,٥٠ ريالا، فيبلغ ما اقتصدناه بذلك ٧٦٪

وسرّ مشروعنا هو هـذا العالم الصغير المضمر فى كلمة « نحن »، فقد كان تعاوننا أنا وزوجتى تعاوناً تاما منذ اتخذنا دجاجاتنا السبع الأولى. وصدقنى أن المعيشة فى مزرعة كمزرعتنا تجلو ما فى الزواج من معنى صحيح، سواء أكان ذلك فى بطاح الغرب المتسعة أم فى مزرعة صغيرة بالضواحى.

وفى مشروعنا هذا شئ مهم هو ولدنا جاكى، فقد أصبح مخلوقاً لطيفاً مستقلا بنفسه لا يهاب شيئاً، فهو يحب جميع حيواناتنا، وسيفيد شيئاً كثيراً من الحياة وأسرار ما فيها، إذا هو ساعدنا فى العناية بتلك الحيوانات، وسيحمل التبعات صغيراً، ويتعلم كيف يكون كسب الرزق، وأعظم من ذلك أنه سيتمتع بكل مسرات الطفولة التى عرفت بها حياة الريف.

ومشروعنا إنما هو نموذج، ولكنه ليس دواء شافياً — وما هو إلا نموذج لفريق من الناس وحسب، فبعض الناس لا يحب أن يزيد على قدر عمله عملا، وبعضهم لا يطيق، وآخرون ليس بهم إلا أنهم لا يحبون المعيشة فى الريف، ولكن أوساط الأسر تستطيع أن تنهض بهـذا المشروع الذى يجمع بين المعيشة فى الريف وبين العمل فى المدينة، فقد سهلت الآلات والأساليب المستحدثة أمر الزراعة. ولما كانت أيام العمل فى الأسبوع قد قلت اليوم، صار وقت الفراغ أوسع مما كان منذ عشرين سنة.

ومن اليسير اليوم أن ينتج المرء محاصيل النبات والحيوان إنتاجاً صالحاً. وقد تحسنت البذور والنبات وسلالات الحيوان والأسمدة والعلف ووسائل مقاومة الآفات.

ونحن نعتقد أن كثيراً من الأسر ستجرب بعد الحرب فكرة المعيشة فى الريف والعمل فى المدينـة تجربة موفقة، وأنهم سيتخذون الشعار الذى اتخذناه لأنفسنا : « أرض صغيرة ورزق وفير ».

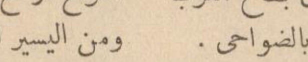

فيمـة كلّ امرىء ما يُحسن

[على بن أبى طالب]

لحية جوزيف بالمر

تاريخ عجيب لذيوع اللحى وزوالها فى أمريكا .

ستيوارت هولبروك *

ملخصة عن "ذى أميريكان سكولار"

جوزيف بالمر هو أحد الأفذاذ المغمورين الذين عملوا على أن تصير أمريكا أرضاً تطيب فيها الحياة . وقد أُغفل ذكره الآن ، وإنه لإغفال مزرٍ ، فهو رجل من جيل كاد ينقرض .

كان بالمر فريسة اضطهاد من أغرب ما كان فى التاريخ ، ولم يكن للعصبية أو الدين شأن فى هذا الاضطهاد ، إذ كان سببه لحية ، لحية من أضخم اللحى التى عرفتها نيو إنجلند بل الولايات المتحدة .

انحدر بالمر من أجدادٍ شداد الأسْر بنيو إنجلند ، واشترك والده فى الثورة الأمريكية ، وحمل هو نفسه السلاح فى حرب الولايات المتحدة مع إنجلترا سنة ١٨١٢ ، وكان فى الثانية والأربعين من عمره حين نزح من مزرعته فى سنة ١٨٣٠ إلى قرية فيتشبرج الزاخرة . ولم تلبث لحيته أن أصبحت هناك هدفاً للتهكم اللاذع والنكات القاسية ، ولكن قبل أن نروى ما استهدف له من ظلم ، ينبغى أن نذكر بإيجاز تاريخ اللحى فى أمريكا .

اكتشف أمريكا رجال من أمم شتى ، وكان معظمهم يطلق لحيته ، فإن هرمان كورتيس ، وصمويل دى شاملان ، وسير فرانسيس دريك ، وسير والتر رالى ، وكابتين جون سميث ، وفرناندو دى زوتو ، كانوا جميعاً يدِلّون بلحى مختلفة الشكل والطراز ، ثم جاء بعدهم الغلاة النازحون من أوربا والمتشددون فى الدين الذين لا تكاد تجد فيهم إلا مرسلا لحيته ، غير أن المستوطنين الأول لم يبقوا طويلا على لحاهم ، فجعلوا يأخذون منها شيئاً فشيئاً إلى أن كادت تصبح كزلمة العنز ، ثم زالت زوالا تاماً فى سنة ١٧٢٠ . ولم يكن للمجاهدين فى الثورة لحى ، ولم يكن لوشنطن أو أحد من قواده شارب أو أثر من لحية ، وكذلك كان كل من وقع على عهد الاستقلال .

واستمرت الحال على هذا النحو سنوات ، فلم يكن لأى رئيس للولايات المتحدة — قبل لنكولن — شعرة واحدة على عارضيه ، وكان المصورون يرسمون العم سام حتى سنة ١٨٥٨ حليق الذقن والشارب . ولم تنتشر عادة إرسال الشعر فى أمريكا إلا بعد احتدام الحرب الأهلية .

ولما نزل بالمر بلحيته على فيتشبرج لم يكن للحى وجود منذ مئة عام على الأقل ،

وكان بالمر ، على غرابة ما يكسو وجهه من شعر كثّ ، رجلا أميناً طيباً رقيق الحاشية متشدداً فى دينه ، ولكنه متسامح . كان رجلا مشاركا فى ضروب المعرفة ، وكان ثابتاً كل الثبات على مبادئه التى كان يعد منها حق الإنسان فى إطلاق لحية غزيرة الشعر .

لهذا كان الأطفال ، أينما ذهب ، يرمونه بالحجارة ويتصايحون به، وكانت النساء تأنف منه، فيعبرن إلى الجانب الآخر من الطريق حين يرينه مقبلا ، وكثيراً ما كان المشاغبون يحطمون نوافذ بيته الصغير ، والرجال يسخرون منه جهرة .

وذات يوم من سنة ١٨٤٠ حين كان بالمر منصرفاً من نزُل فيتشبرج أمسك بتلابيبه أربعة رجال مسلحون بمقص وفرشة وصابون وموسى ، وقالوا له : « إن الناس يحسون أن لحيتـه ينبغى أن تزال » ثم طرحوه أرضاً بعنف، وأصيب ظهره ورأسه بأذى ، غير أنّه استطاع أن يخرج من جيبه مدية وطفق يضرب حوله بشدة فأصاب أرجل اثنين من المعتدين عليه بجروح لم تكن بليغة ، ولكنها كانت كافية أن تثنيهم عن تولى مهمة الحلاقة . ولما

جوزيف بالمر ولحيته

نهض بالمر جريحاً ينزف دما ، كانت لحيته الفخمة سليمة لم يمسسها سوء .

ثم أُلقى القبض عليه فوراً متهماً « بالمبادأة بالاعتداء » وقد أبى أن يدفع الغرامة ، فهى مسألة مبدأ ، كما قال . فأودع سجن مدينة وستر ، ولبث هناك أكثر من عام ، وقضى فترة فى سجن منفرد . ولم يكن له بدٌّ، وهو فى السجن أيضاً، من أن يكافح دفاعاً عن لحيته ، فذات مرة هجم عليه السجان ومعه عدة رجال ليزيلوا لحيته الشهيرة، ولكنه صارعهم صراعاً عنيفاً ، وارتد الرجال دون أن ينالوا منه شعرة واحدة ، وقد نجح مرتين فى ردّ من ابتغى أن يحلق له لحيته من السجناء .

ثم كتب وهو فى السجن رسائل ذكر فيها أنه لم يسجن لاعتدائه على غيره ، بل لأنه يطلق لحيته، وكان هذا هو الواقع ولا ريب. وتلقى ابنه الرسائل ثم نشرها فى صحيفة وستر سباى، ثم نقلتها عنها بعض الصحف، وسرعان ما أخذ أهالى ولاية ماساشوستس يلغطون ، وأدرك رئيس الشرطة أن بين يديه رجلا حديد الطباع عنيداً لا يلين ، وربما كان أيضاً مظلوماً بريئاً ، فأمره أن ينطلق إلى داره وينسى ما حدث ، فأبى بالمر .

وأخذ السجان يحثه على مغادرة السجن ، وكتبت إليه أمه العجوز أن يعود إليها ، ولكن دون جدوى ، فلا شيء يثني سجين وستر ذا اللحية عن عزمه ، فجلس هناك على كرسى كأنه بوذا تحت لحيته ، إلى أن اضطر رئيس الشرطة بعد أن عجز أن يحمله هو والسجانون بكرسيه ويتركوه فى الطريق .

ومن يومئذ لم تلق لحية بالمر كيداً ولا عنفاً . ولم يلبث أن اشترك فى كفاح الرق بعد أن أطلق سراحه ، وكثيراً ما كان يذهب إلى بوسطن ليحضر اجتماعات حزب إلغاء الرق ، باذلا وقته وماله فى سبيل دعوته . ولقى هناك إمرسون وثورو اللذين قدّرا فطنته وذكاءه ، ومن يومئذ ذاع صيته .

ولم يعد بالمر يلقى من الناس اضطهاداً بل ألفاهم ينظرون إليه نظرتهم إلى بطل ، ومضت السنون ولحيته تنتشر انتشار الصفصاف ، وتريك صورة التقطت له حينئذ أنها كانت ضخمة هائلة .

وأخيراً بلغت اللحى فى أمريكا ذروة مجدها قبل وفاته بسنوات ، وكان انتشارها فى أمريكا للمرة الثانية مباغتاً ، فهاج الشعر دفعة واحدة فى وجوه ذكور الأمريكيين .

ولا يعلم أحد علم اليقين سبب ذلك ، فلما انتخب لنكولن كان حليق الذقن والشارب ولكنه كان ملتحياً يوم تقلد الرياسة ، وكان قواد الحرب الأهلية وجنودهم أيضاً يرسلون لحاهم فى سنة ١٨٦٢ ، وقد أطلق الجنرال برنسايد اسمه على شكل خاص من اللحى .

وكان لاعبو البيس بول فى العقد السابع والثامن من القرن الماضى من ذوى اللحى كما تصورهم رسوم الحفارين المعاصرين لهم ، وكان للصيارفة طراز خاص بهم ، وقد نبذت المواسى وانتشرت فى السوق الجديدة الأدوية المزيفة التى تنمى الشعر . وكانت خير هدية تقدم للرجل حُقّاً أنيقاً منها لتنمية الشارب . وأصبحت اللحية آية المكانة والهيبة والكمال . وذاعت فى أمريكا كل أصناف اللحى وملايين من الشوارب الضخمة .

غمرت السعادة نفس بالمر الشيخ ، كما تغمر نفس الداعى إلى الخير عاش حتى رأى ذيوع دعوته ، وقد توفى سنة ١٨٧٥ حين بلغت اللحى أوج انتشارها ، ولم ير منظرها المؤلم وهى تذبل ثم تختفى إلى الأبد .

وقد شغل زوال اللحى خلال السنوات الخمس والثلاثين التالية فريقاً قليلا من صغار المؤرخين — غير أن مستر لويس جانيت خط لها رسماً بيانياً وجعل أساسه وجوه المتخرجين من جامعة هارفرد التى تخرج فيها . وقد دل بحثه على أن المتخرجين فى العقد السابع من القرن الماضى كانوا

يطلقون لحى كثة كشعر الماعز ، غير أن أكثرهم فى سنة ١٨٧٢ كانوا يطلقون شواربهم فقط وشعر العارضَين . وفى سنة ١٨٩٠ امتنع الناس عن إرسال اللحى وشعر العارضين ، أما الشارب فكان فى ذروة انتشاره .

ثم لحقها الزوال بسرعة محزنة ، فلم يكن لأحد المتخرجين سنة ١٩١٠ لحية . وكان آخر شارب ظهر فى فريق كرة القدم بجامعة هارفرد فى سنة ١٩٠١ ، وكان آخر شارب ظهر فى فريق البيس بول سنة ١٩٠٥

ولقد رأى البيت الأبيض مثل هذا التدهور ، فمن لنكولن إلى تافت انتخب للرياسة رجل واحد بلا شارب ، وهو ماكينلى ، ولكن منذ تولى ولسن الرياسة لم يدخل البيت الأبيض رجل فى وجهه شعر . وقد ظن بعض الناس أن لحية شارل إيفانس هيوز كانت سبب سقوطه فى انتخابات الرياسة سنة ١٩١٦ ، وكانت لحيته هذه هى اللحية الوحيدة الكثيفة بين أعضاء المحكمة العليا .

وإذن فقد مات بالمر الشيخ فى الوقت المناسب ، ولقد كان من همّه أن يضمن لنفسه بقاء الذكر . وهو يثوى الآن فى لحده فى المقبرة القديمة نورث ليومينستر على مقربة من فيتشبرج ، وهو قطعة مربعة من صخر خشن فى طول الرجل ، وفى مقدمته صورة محفورة فى الرخام الأبيض هى رأس بالمر ، بلحيته النبيلة مسترسلة متموجةً ، وقد كتب تحت الرأس هذه الكلمة البسيطة : « اضطهد لأنه أرسل لحيته » .

الصوت الهاتف

منذ سنوات ماتت فى ريف كاليفورنيا الجنوبية امرأة مكسيكية ، تخلّفت أسرة مؤلفة من ثمانية أولاد . وكانت أكبرهم فتاة نحيفة ضئيلة لم تبلغ السابعة عشرة ، تحملت على عاتقها النحيل عبء العناية بالأسرة ، فكانت تسهر على نظافتهم وطعامهم وذهابهم إلى المدرسة .

وفى أحد الأيام أثنيت عليها مشيداً بما عملت فردت : « لا يحق لى أن أظفر بثناء على ما لا بد منه » . فقلت : « ليس بشىء لا بد منه يا عزيزتى ، إنك تستطيعين أن تتخلى عنه » . ووقفت هنيهة ثم قالت : « صدقت ، ولكن « لا بد منه » التى أسمع هتافها فى قلبى ، ما أصنع بها ؟ » [فرنا رولنجر]

الطريق إلى الرق

ملخص لكتاب

فريدريخ ا. هايك

كتب هنرى هازليت فى جريدة نيويورك تيمس يقول : « إن كتاب فردريخ ا . هايك « الطريق إلى الرق » من أهم الكتب فى جيلنا ، وهو يبسط فيه لزماننا النزاع بين الحرية والسلطة ، وفيه دعوة قوية إلى جميع ذوى النيات الحسنة من الاشتراكيين وأصحاب مشروعات الإصلاح ، وإلى جميع الديمقراطيين المخلصين وأحرار القلوب ، أن يقفوا ، وينظروا ، ويسمعوا » .

والمؤلف اقتصادى دولى الشهرة ، وهو نمسوى المولد ، وكان مديراً للمعهد النمسوى للأبحاث الاقتصادية ، ومحاضراً في الاقتصاد بجامعة فينا فى السنوات التى ظهرت فيها الفاشية فى أوربا الوسطى . وقد عاش فى انجلترا منذ سنة ١٩٣١ حيث عين أستاذاً لعلم الاقتصاد بجامعة لندن ، وقد اكتسب الجنسية البريطانية .

وفى هذا الكتاب يرسل الأستاذ هايك صيحة تحذير وإنذار قائمة على التفكير القوى والمنطق الصارم ، إلى الأمريكيين والبريطانيين الذين يتطلعون إلى الحكومة لإيجاد مخرج من مصاعبنا الاقتصادية جميعها . وهو يبين أن الفاشية وما يدعوه الألمان بحق الاشتراكيه الوطنية هى النتائج المحتومة لاطراد الزيادة فى رقابة الدولة وسلطة الدولة و « التوجيه » الوطنى والاشتراكية .

وقد كتب جون تشمبرلن محرر باب الكتب فى مجلة هاربز فى تقدمته لكتاب « الطريق إلى الرق » يقول : « هذا الكتاب صرخة تحذير فى وقت تردد . وهو يهيب بنا أن نقف ، وننظر ، ونسمع . ومنطقه لا يدفع ، وينبغى أن يظفر بالإصغاء إليه فى أوسع نطاق ممكن » .

قضى المؤلف نحو نصف حياته ، بعد أن بلغ مبالغ الرجال فى وطنه النمسا، على اتصال وثيق بالفكر الألمانى ، والنصف الآخر فى الولايات المتحدة وإنجلترا . وقد ازداد اقتناعاً فى الشطر الأخير بأن بعض العوامل التى عصفت بالحرية فى ألمانيا تعمل أيضاً هنا فى الولايات المتحدة وانجلترا .

إن مدى جسامة الفظائع التى ارتكبها الاشتراكيون الوطنيون قد قوت الثقة بأن النظام الجامع لا يمكن أن ينشأ هنا . ولكن علينا أن نتذكر أنه قبل خمسة عشر عاماً كان إمكان حدوث شىء من هذا فى ألمانيا خليقاً أن يبدو خياليا ومستبعداً لا لتسعة أعشار الألمانيين أنفسهم فحسب ، بل لأشد المراقبين الأجانب عداء .

وهناك وجوه كثيرة كانت يومئذ تعد « ألمانية الصبغة » وهى الآن مألوفة فى إنجلترا وأمريكا ، وأعراض عديدة تشير إلى تطور آخر فى الاتجاه نفسه : ازدياد الاحترام للدولة ، وروح القدرية فى تقبل « الاتجاهات التى لامفر منها » ، والحماسة « لتنظيم » كل شىء ، (ونحن نسميه الآن « التوجيه ») .

ولعل إدراك طبيعة الخطر أقل هنا — إذا كان هذا ممكناً — مما كان فى ألمانيا . وما زالت المأساة الكبرى غير مدركة ، وهى أن ذوى النيات الحسنة فى الأغلب والأعم ، هم الذين مهدوا السبيل بسياساتهم الاشتراكية للقوات التى تمثل كل ما يمقتون . وما أقل من يفطنون إلى أن ظهور الفاشية والنازية لم يكن رد فعل للنزعات الاشتراكية فى المدة السابقة ، بل نتيجة لازمة لهذه النزعات . ومماله دلالة أن كثيرين من زعماء هذه الحركات ، من موسولينى فنازلا (وفى جملتهم لافال وكويسلنج) بدأوا اشتراكيين وانتهوا فاشيين أو نازيين .

وفى الديمقراطيات القائمة فى الوقت الحاضر ، يعمل كثيرون من المخلصين فى مقت كل مظاهر النازية ، فى سبيل مثل عليا يفضى تحقيقها إلى الاستبداد المشنوء مباشرة . ومعظم الذين تؤثر آراؤهم فى سير الأمور اشتراكيون إلى حد ما ، وهم يعتقدون أن حياتنا الاقتصادية ينبغى أن تُوَجَّه توجيهاً قائما على الوعى والإدراك ، وأنه ينبغى أن نحل « التوجيه الاقتصادى » محل نظام التنافس . ولكن هل ثم مأساة يستطاع تخيلها أعظم من أننا فى محاولتنا صوغ مستقبلنا بإدراك ، طبقاً للمثل العليا ، ننتج فى الواقع ومن حيث لا نحتسب نقيض ما نسعى له ؟

التوجيه والسلطة

لكى يدرك الموجهون غاياتهم لابد لهم من إيجاد سلطة — سلطة على الغير

يستعملها الغير — فى نطاق وإلى مدى لم يعرفا قط من قبل ، وسيكون نجاحهم رهناً بما يفوزون به من هذه السلطة . والديمقراطية عقبة فى طريق هذا الخنق للحرية ، وهو ما تتطلبه الإدارة المركزة للنشاط الاقتصادى. ومن هنا يقع التصادم بين الديمقراطية والتوجيه .

ويتوهم كثيرون من الاشتراكيين لسوء الحظ أنهم بحرمان الأفراد ما لهم من قوة فى نظام فردى ، وتحويل هذه القوة إلى الجماعة ، يقضون على السلطة ، ولكن الذى يغيب عنهم هو أنهم بتركيز السلطة تركيزاً يجعل من الممكن استعمالها لخدمة منهج واحد ، لا ينقلون هذه السلطة فحسب بل يزيدونها أضعافاً مضاعفة ، لأنهم يجمعهم فى أيدى هيئة مفردة ، سلطة كان كثيرون يتوزعونها ويستعملونها منفردين ، قد خلقوا مقداراً من السلطة أعظم جدا من أى قدر آخر كان له من قبل وجود . وهى لفرط بعد مداها تكاد تكون من ضرب مختلف جداً.

ومن الخطأ المحض أن يقال إن السلطة العظيمة التى تستعملها هيئة مركزية للتوجيه لن تكون « أكبر من السلطة التى كانت تستعملها فى جملتها مجالس الإدارات » ، فليس ثم أحد فى جماعة قائمة على قاعدة التنافس يستطيع أن يزاول حتى ولو جزءاً من السلطة التى تملكها هيئة موجهة اشتراكية . واللامركزية فى السلطة مؤداها خفض مقدارها ، ونظام التنافس هو الوحيد الذى يهبط بسلطة الإنسان على الإنسان إلى أدنى حد . ومن الذى يشك جاداً فى أن السلطة التى تكون لمليونير على — أنا عامله — أقل جداً من السلطة التى يملكها أصغر مستبد فى يده سلطان الدولة ، وإلى رأيه يرجع الأمر فى كيف يسمح لى أن أعيش وأحيي ؟

والعامل غير الحاذق الضئيل الأجر فى هذه البلاد ، يملك بكل معنى صحيح ، من الحرية فى تكييف حياته فوق ما يملك كثيرون من أصحاب الأعمال فى ألمانيا ، أو مهندس أو مدير عمل أحسن منه أجراً فى روسيا . فإذا أراد مثلا أن يغير عمله أو ينتقل من المكان الذى يعيش فيه ، أو إذا شاء أن يذهب إلى آراء معينة ، فإنه لا تعترضه عقبة ما . وليس على سلامته البدنية أو على حريته خطر ، وليس ثم قوة وحشية تلزمه أن يبقى فى العمل والوسط الذى عينه له رئيس .

وقد نسى جيلنا أن نظام الملكية الفردية أهم ضمان للحرية ، وما تيسر لنا نحن الأفراد أن نكون أحراراً فيما نصنع بأنفسنا ، إلا لأن السيطرة على وسائل الإنتاج موزعة بين أناس كثيرين يعمل كل منهم مستقلا .

ومتى صارت جميع وسائل الإنتاج محصورة في يد واحدة ، سواء أكانت اسميا يد الجماعة في جملتها أم كانت يد دكتاتور ، فإن الذى بيده هـذه السيطرة يكون له الأمر كله علينا . ومن الممكن أن تكون القوة الاقتصادية فى أيدى الأفراد أداة للإكراه ، ولكنها لا تبلغ أبداً أن تكون سيطرة على حياة الشخص كلها . أما متى ركزت القوة الاقتصادية وصارت أداة للسلطة السياسية ، فإنها تخلق درجة من الاتكال والتعويل لا تكاد تتميز من الرق . وقد صدق من قال إن المعارضة فى بلد تكون فيـه الدولة هى وحدها التى تستخدم الناس فى الأعمال ، يكون معناها الموت البطىء جوعاً .

الخطـر الماثـل

إن الفردية ، على نقيض الاشتراكية وكل أشكال النظم الجامعة الأخرى ، قوامها احترام الفرد ، والاعتقاد أن من المرغوب فيه أن يكون الناس أحراراً فى إنماء مواهبهم الفردية ومسايرة ميولهم الخاصة . وقد نمت هذه الفلسفة التى بسطت لأول مرة فى عصر النهضة واستفاضت ، فصارت ما نعرفه الآن بالحضارة الغربيـة ، وكان الاتجاه العام للتطور الاجتماعى هو تحرير الفرد مما يقيده فى الجماعة الإقطاعية .

ولعل أعظم نتيجة أدى إليها تحرير الفرد ومواهبه هو هـذا الرقى المدهش الذى أحرزه العلم . وما استطاع العلم أن يخطو هذه الخطوات العظيمة فى المئة والخمسين عاماً الأخيرة وأن يغير بها وجه العالم ، إلا بعد أن فتحت الحرية الصناعية الطريق للانتفاع الحر بالمعارف الجديدة ، وإلا بعد أن أصبح من الممكن اختبار كل شىء وتجربته ، إذا وجد من يظاهر التجريب على مسئوليته — وقد فاقت نتيجة هذا الرقى كل ما كان متوقعاً . ففى حينما أزيلت الحواجز التى كانت تحول دون الانتفاع الحر بالذكاء الإنسانى ، صار الإنسان بسرعة قادراً على إرضاء رغباته التى لا يزال نطاقها يزداد اتساعاً ، وقد بلغ العالم درجة من الدعة المادية والأمن والاستقلال الذاتى كانت قبل مئة عام لا تكاد تبدو ممكنة .

وكان من أثر هـذا النجاح أن يكسب الناس شعوراً جديداً بالسيطرة على مصايرهم ، والاعتقاد بإمكان تحسين أحوالهم إلى غير حد ، وصار ما أمكن تحقيقـه يُعدّ ملك إيمان الناس . وقد تم تملكه وانتهى الأمر ، وبدأت درجة التقدم تبدو أبطأ مما ينبغى ، وحدث فضـلا عن ذلك أن المبادىء التى يسرت هـذا التقدم أصبحت تعد عقبات فى سبيل تقـدم أسرع يجب أن تنحى

بسرعة حتى ليمكن أن يقال إن النجاح الذى أصابته المبادىء الحرة انقلب علة انحطاطها.

وما كان ينبغى لعاقل أن يشك فى أن المبادىء الاقتصادية للقرن التاسع عشر لم تكن أكثر من بداية ، وأنه كانت هناك احتمالات هائلة للتقدم فى الطريق الذى سرنا فيه . ولكن المسألة ، بحسب الآراء السائدة الآن، لم تعد : كيف نستخدم القوات الذاتية التى تعمل من تلقاء نفسها فى جماعة حرة ، أحسن استخدام ؟ فقد أخذنا فى الواقع نستغنى عن هذه القوات ونحل محلها التوجيه الجامع المنطوى على العمد .

ومما له دلالة أن هذا الانصراف عن المبادىء الحرة ، سواء أظهر فى صورة الاشتراكية المتطرفة ، أو فى صورة « تنظيم » أو توجيه قد بلغ غايته فى ألمانيا . ففى الربع الأخير من القرن التاسع عشر ، والربع الأول من القرن العشرين ، سبقت ألمانيا العالم بمراحل فى نظرية الاشتراكية وتطبيقها ، حتى إن المباحث الروسية فى الوقت الحاضر لا تعدو فى الأكثر أن تصل ما انقطع عند الألمان ، وقد حمل الألمان على المبادىء الحرة والديمقراطية والرأسمالية والفردية قبل ظهور النازيين بزمان طويل.

وقبل ظهور النازيين بزمان طويل أيضاً كان الاشتراكيون الألمانيون والإيطاليون يذهبون إلى آراء استخدمها النازيون والفاشيون فيما بعد على نحو فعّال ، ففكرة حزب سياسى يسيطر على نشاط الفرد من المهد إلى اللحد ويزعم أنه يرشده ويهديه فى كل أمره ، كان الاشتراكيون أول من وضعها موضع التنفيذ . ولم يكن الفاشيون ، بل الاشتراكيون ، هم الذين بدأوا يجمعون الأطفال فى سن غضة ويزجون بهم فى هيئات سياسية لتوجيه تفكيرهم ، ولم يكن الفاشيون بل الاشتراكيون هم الذين فكروا قبل غيرهم فى تنظيم الألعاب مثل كرة القدم والرحلات على الأقدام ، فى أندية حزبية لا يتأثر فيها أعضاؤها بآراء أخرى ، والاشتراكيون هم أول من حتم على عضو حزبهم أن يميز نفسه من غيره بأساليب التحية والخطاب ، وهم الذين نظموا « اللجان السرّية » وابتكروا الوسائل للاشراف الدائم على الحياة الخاصة ، فخلقوا النموذج الأول للحزب الجامع .

فلما جاء هتلر واستولى على السلطة فى ألمانيا كانت المبادىء الحرة قد ماتت ، وكانت الاشتراكية هى التى قتلتها .

وكثير من الذين راقبوا الانتقال من الاشتراكية إلى الفاشية عن كثب ، قد استبانوا العلاقة بين المذهبين أو النظامين ،

وازدادت وضوحاً لهم ، ولكن كثرة الناس فى البلاد الديمقراطية لا تزال تعتقد أن من الممكن الجمع بين الاشتراكية والحرية ، ولا يدركون أن الاشتراكية الديمقراطية التى كانت الغاية المثالية للأجيال القليلة الأخيرة ، لا سبيل إليها ، وأن السعى لها ينتج شيئاً مختلفاً أتم الاختلاف — هدم الحرية نفسها . وقد قيل بحق : « إن الذى لم يزل يجعل من الدولة جحيما على الأرض هو أن الإنسان سعى ليجعل منها جنة له » .

ومما يقلق أن نرى فى إنجلترا والولايات المتحدة اليوم نفس تجمع القوى ، ونفس الاحتقار تقريبا لكل ما هو حر بالمعنى القديم . وقد كانت عبارة « الاشتراكية المحافظة » هى الصيحة التى اتخذها كثير من الكتاب لإعداد الجو الذى نجحت فيه الاشتراكية الوطنية . « والاشتراكية المحافظة » هى النزعة السائدة بيننا الآن .

الطريقة المثمرة للتوجيه

ويرجع شيوع فكرة التوجيه على الأكثر إلى أن كل امرئ يود بطبيعة الحال أن تعالج مسائلنا المشتركة بأكثر ما يمكن من بعد النظر . وليس موضوع الخلاف بين المحدثين من الدعاة إلى التوجيه ، وبين الأحرار ، هل ينبغى أن نحرص على التفكير السديد المنظم عند توجيه أمورنا ، وإنما الخلاف على خير الطرق للقيام بذلك . والمسألة هى : هل نوجد أحوالا يستطيع الأفراد فى ظلها بعلمهم وابتكارهم أن يتولوا هم التوجيه بأعظم نجاح ، أو هل نوجه وننظم كل وجوه النشاط الاقتصادى إلى أقصى حد ؟ أى أن « نوجه عمداً موارد الجماعة بحيث تطابق الآراء الخاصة للموجهين فى مَن من الناس يكون له ماذا من الأمر » .

والمهم أن لا نخلط الاعتراض على الضرب الأخير من التوجيه، بموقف ترك الأمور تجرى فى مجاريها ، فإن الأحرار لا يذهبون إلى إبقاء الأمور على ما هى عليه ، وإنما يؤثرون أحسن استخدام ممكن لعوامل المنافسة كوسيلة لتنسيق الجهود الإنسانية . وهذا المذهب قائم على الاقتناع بأنه فى حيث يستطاع خلق المنافسة الفعالة ، تكون هذه الوسيلة لتوجيه الجهود الفردية خيراً من غيرها . ولكى تؤتى المنافسة ثماراً حميدة ينبغى سن تشريع دقيق بعناية تامة ، وأنه لا الأحكام القانونية الماضية ولا الحاضرة تخلو من مواطن نقص خطيرة .

على أن المبادئ الحرة تعارض إحلال وسائل أدنى وأحط لتوجيه النشاط الاقتصادى محل المنافسة ، وتعد المنافسة أرفع ، لا لأنها

فى أكثر الأحوال أفعل وسيلة معروفة فحسب، بل لأنها كذلك الوسيلة الوحيدة التى لا تتطلب التدخل الإجبارى أو العرفى من جانب السلطة. وهى تستغنى عن الحاجة إلى « السيطرة الاجتماعية المنطوية على العمد » وتتيح للأفراد فرصة للبت فى هل ما يرجى من عمل معين فيه تعويض كاف ومكافأة مجزئة للمتاعب والمصاعب المرتبطة بهذا العمل ؟

ولا ينفى الاستخدام الناجح للمنافسة بعض ضروب التدخل الحكومى. مثال ذلك أن تحديد ساعات العمل، وتحتيم بعض التدابير الصحية، وتهيئة نظام واسع النطاق للخدمات الاجتماعية — كل هذا يأتلف تمام الائتلاف مع الاحتفاظ بالمنافسة. وثم أيضا ميادين معينة لا يكون فيها نظام المنافسة عمليا. مثال ذلك أن الآثار السيئة لقطع الغابات أو لدخان المصانع، لا يمكن أن تكون مقصورة على صاحب هذه أو تلك. ولكن كوننا مضطرين إلى الالتجاء إلى التنظيم المباشر حيث لا يتيسر إيجاد الأحوال الصالحة للمنافسة، لا ينهض دليلا على أنه ينبغى قمع المنافسة فى حيث يمكن أن تعمل وتنفع. ولا شك أن إيجاد أحوال تكون فيها المنافسة أفعل ما يمكن، ومنع الغش والتدليس، والقضاء على الاحتكار — هذه المهمات تهيئ مجالا رحيبا لا جدال فيه لنشاط الدولة.

وليس معنى هذا أن من الممكن إيجاد « وسيلة وسطى » بين المنافسة والإدارة المركزية، وإن كان هذا يبدو لأول وهلة أولى وأرشد، أو أخلق بأن تتقبله عقول العقلاء، فإن العقل بمجرده يضل فى مثل هذا المجال، لأن المنافسة وإن كانت تتقبل مقداراً من التنظيم يختلط بها، لا يمكن أن يجمع بينها وبين التوجيه إلى أى مدى نشاء بدون أن تفقد قيمتها كمرشد فعال للإنتاج. والمنافسة والإدارة المركزية تصبحان أداتين ضعيفتين غير مجديتين إذا كانتا غير تامتين، والخلط بينهما معناه سلب كل منهما القدرة على العمل.

إن التوجيه والمنافسة لا يمكن أن يجتمعا إلا إذا كان التوجيه للمنافسة لا ضدها، فالتوجيه الذى نوجه إليه كل نقدنا هو التوجيه ضد المنافسة.

النظام المثالى

ولا شك فى أن معظم الذين يطالبون فى البلاد الديمقراطية بإدارة مركزية لجميع وجوه النشاط الاقتصادى لا يزالون يعتقدون أن الاشتراكية والحرية الفردية يمكن أن يجتمعا، غير أن كثيرين من المفكرين قد

فطنوا من أول الأمر إلى أن الاشتراكية أعظم خطر يهدد الحرية .

وقلما يتذكر الناس الآن أن الاشتراكية فى بداياتها كانت مستبدّة صريحة، فقد بدأت جهرة كرد فعل للمبادئ الحرة التى قامت عليها الثورة الفرنسـية . وكان الكتاب الفرنسيون الذين وضعوا أساسها لا يشكون فى أن آراءهم لا يستطاع وضعها موضع التنفيذ إلا على يد حكومة دكتاتورية قوية . وقد تكهن أول المنظمين المحدثين بأن الذين لا ينزلون على حكم هيئات التوجيه المقترحة « سيعاملون كالماشية » .

وما من أحـد كان أصح إدراكا من المفكر السياسى العظيم دى توكفيل لما بين الديمقراطية والاشتراكية من تعارض حاسم قال : « الديمقراطية توسع نطاق الحرية الفردية » ، وقال فى سنة ١٨٤٨ : « إن الديمقراطية تجعل لكل فرد كل قيمة ممكنة أما الاشتراكية فلا تجعل الفرد إلا مجرد أداة ، ومجرد رقم . وليس بين الديمقراطية والاشتراكية شىء مشترك سوى كلمة واحدة: المساواة. ولكن لاحظ الفرق : فالديمقراطية تنشد المساواة فى الحرية ، أما الاشتراكية فتنشد المساواة فى الكبح والاستعباد » .

ولكى يسكن الاشتراكيون هـذه الشكوك ، ويشدوا إلى مركبة الاشتراكية أقوى البواعث السياسية ـ الرغبة فى الحرية ـ أخذوا يزدادون استخداماً للوعد « بحرية جديدة » ، فقالوا إن الاشتراكية ستجىء « بالحرية الاقتصادية » التى لا تكون الحرية السياسية بدونها ذات قيمة .

ولكى يجعلوا هـذه الحجة مقبولة حوّلوا معنى كلمة « الحرية » تحويلاً ينطوى على الدهاء . وكانت الكلمة فيما مضى معناها التحرر من الإكراه ، ومن السلطة العرفية التى يستعملها الغير ، فالآن صار معناها التحرر من الضرورة، ومن إكراه الظروف التى تضيق لا محالة نطاق الاختيار لنا جميعاً. وبديهى أن الحرية بهذا المعنى ليست إلا لفظاً آخر للسلطة أو الغنى ، فالمطالبة بهذه الحرية الجديدة ليست إلا صورة أخرى للمطالبة القديمة بإعادة توزيع الثروة .

وقد أخذ معظم الباحثين يتخلون عن الزعم القائل بأن الاقتصاد المهيأ الخطط خليق أن يكون أعظم إنتاجاً من نظام التنافس ، غير أن الأمل الكاذب يدفعنا كما يدفعنا أى شىء غيره فى الطريق إلى التوجيه

ومع أن الاشتراكيين الحديثين مخلصون فيما يعدون من حرية أعظم، إلا أن ذوى النظر والبصر فى السنوات الأخيرة قد فطنوا

واحداً بعد واحد ، إلى النتائج غير المتوقعة للاشتراكية ، وإلى التشابه الغريب من عدة وجوه بين الأحوال فى ظل « الشيوعية » و « الفاشية » . وقد أعرب الكاتب بيتر دروكر عن هذا فى سنة ١٩٣٩ فقال : « إن الانهيار التام للاعتقاد بإمكان الوصول إلى الحرية والمساواة عن طريق الماركسية قد أكره روسيا على السير فى نفس الطريق الذى سلكته ألمانيا إلى الجماعة الكلية التى لا حرية فيها ولا مساواة . وليس معنى هذا أن الشيوعية والفاشية سواء فى جوهرها ، فإن الفاشية هى المرحلة التى بلغت بعد أن ثبت أن الشيوعية وهم وخدعة ، وقد ثبت أنها وهم فى روسيا ، كما ثبت ذلك فى ألمانيا قبل عهد هتلر .

وليس رأى الجماهير فى الحركات الشيوعية والفاشية بألمانيا قبل سنة ١٩٣٣ ، بأقل دلالة أو أضعف مغزى ، فإن السهولة النسبية التى يمكن بها تحويل شاب شيوعى إلى نازى ، أو بالعكس كانت معروفة ، وكان أعرف الناس بها الدعاة من الحزبين . وقد تصادم الشيوعيون والنازيون فيما بينهما أكثر مما تصادما بغيرهما من الأحزاب، لسبب بسيط هو أنهما يتنافسان على طراز عقلى واحد ، واحتفظ كل منهما للآخر بكراهة المؤمن للضال ، ودلت أساليبهما على مبلغ ما بينهما من صلة وثيقة . فكلاهما يرى أن عدوه الحقيقى هو الرجل الذى لا يشاركه فى شىء ، أى الرجل من الأحرار من الطراز القديم . ولكن الشيوعى فى رأى النازى ، والنازى فى رأى الشيوعى ، والاشتراكى فى رأى الاثنين ، نصير محتمل من المعدن المنشود ، وكلاهما يعلم أنه لا سبيل إلى التوفيق بينه وبين الذين يؤمنون إيماناً صحيحاً بالحرية الفردية .

والذى يعدوننا به ، وهو الطريق إلى الحرية ، ليس فى الواقع إلا الطريق الأعظم إلى العبودية والرق . فليس من العسير أن نتبين العواقب التى لا بد منها متى أخذت الديمقراطية طريقها إلى التوجيه . وسيوصف الهدف الذى يرمى إليه التوجيه بعبارة غامضة مثل « الخير العام » . ولن يكون ثم اتفاق حقيقى على الغايات التى تُنشد وسيكون تأثير موافقة الأمة على أن يكون هناك توجيه مركزى دون الاتفاق على الغايات ، شبيهاً بأن تخرج جماعة من الناس فى رحلة من غير أن يتفقوا على المكان الذى يقصدون إليه . وتكون النتيجة أن يضطروا جميعاً إلى القيام برحلة لا يريدونها على الإطلاق .

إن الجماعات الديمقراطية لا تستطيع أن تعمل كوكالات للتوجيه ، ولا تستطيع أن

نصل إلى اتفاق على كل شيء — الإدارة الجامعة لموارد الأمة — لأن عدد الطرق الممكنة للعمل لا حصر لها. وحتى لو استطاع مؤتمر يخطو خطوة فخطوة ، ويتوخى التوفيق فى كل نقطة،أن يتفق على مشروع ما فإنه لن يرضى أحداً فى النهاية على التحقيق.

ووضع خطة اقتصادية على هذا النحو أبعد فى الإمكان من النجاح فى وضع خطة حربية باتباع إجراءات ديمقراطية ، وكما أنه عند وضع الخطط العسكرية لا مفر من وكل المهمة إلى الخبراء ، كذلك فى الشئون الاقتصادية . وحتى إذا استطاعت الديمقراطية باللجوء إلى ذلك ، أن توفق إلى وضع الخطط لكل قطاع فى ميادين النشاط الاقتصادى ، فإنه سيكون عليها أن تواجه مسألة التوفيق بين هذه الخطط المنفصلة وجعلها كلا موحّداً ، وستزداد الحاجة إلى إيجاد هيئة ما ، أو فرد يخوّل سلطة العمل على مسئوليته . فإن الحاجة إلى دكتاتور اقتصادى مرحلة مميزة لهذه الحركة فى سبيل التوجيه.

وهكذا تضطر الهيئة التشريعية إلى اختيار أشخاص يخولون سلطات مطلقة فى الواقع . ويتجه نظام الحكم كله إلى ذلك النوع من الدكتاتورية الذى يثبت فيه رئيس الدولة من حين إلى حين فى منصبه بالتصويت العام ، ولكنه فى الواقع يملك كل السلطات التى تجعله على يقين من أن التصويت سيتجه الوجهة التى يريدها .

وهذا التوجيه أو التسيير يفضى إلى الدكتاتورية ، لأن الدكتاتورية أفعل أداة للإكراه ، فهى لهذا جوهرية إذا أريد أن يكون التوجيه المركزى ممكناً على نطاق واسع . وليس ثم ما يسوغ الاعتقاد الشائع بأنه لما كانت السلطة ممنوحة على مقتضى الإجراءات الديمقراطية ، فإنها لا يمكن أن تكون عرفية . فإن مصدر السلطة ليس هو الذى يمنعها أن تكون عرفية ، إذ يجب أن تكون السلطة أيضاً مقيدة لتخلو من الصبغة الدكتاتورية . وأخلق بدكتاتورية حقيقية للطبقات العاملة (البروليتاريا) حتى ولو كانت ديمقراطية شكلا ، أن تعصف بالحرية الشخصية عصفاً تاما ، كأية حكومة أوتقراطية ، إذا هى تولت إدارة النظام الاقتصادى على نحو مركزى .

إن الحرية الفردية لا يمكن أن توائم سيادة غرض واحد تخضع له الجماعة كلها خضوعاً دائماً . وقد جربنا نحن هذه الحقيقة فى زمن الحرب إلى حد محدود ، إذ كان إخضاع كل شيء لمطالب الحرب العاجلة الملحة هو الثمن الذى نؤديه لنحتفظ بحريتنا

فى النهاية . غير أن العبارات الدائرة على الألسنة والتى مؤداها أن نصنع لأغراض السلم ما تعلمنا أن نصنع لأغراض الحرب — هذه العبارات مضللة جداً ، فإن من الحكمة أن نضحى بالحرية إلى حين لنجعلها فى المستقبل أرسخ قدماً . أما التضحية بالحرية تضحية دائمة لمصلحة التوجيه الاقتصادى فأمر مختلف جدا .

والذين راقبوا التحول من الاشتراكية إلى الفاشية عن كثب ، يرون العلاقة بين النظامين بديهية ، فإن تحقيق البرنامج الاشتراكى معناه القضاء على الحرية ، أما الاشتراكية الديمقراطية التى كانت الأجيال القليلة الأخيرة تعدها مثلا أعلى تنشده ، فلا سبيل إلى تحقيقها .

لماذا يستعلى شرار الناس

ولا شك أن نظاماً « فاشيا » إنجليزيا أو أمريكيا ، يكون مختلفاً إلى حد كبير عن النموذجين الإيطالى والألمانى . ولاريب فى أنه قد يكون لنا أن نتوقع أن نظفر بزعيم من طراز أحسن إذا تم الانتقال والتحول بغير عنف ، ولكن هذا ليس معناه أن نظامنا الفاشى سيكون فى النهاية مختلفاً جدا عن النماذج التى سبقته ، أو أن احتماله سيكون أقل عسراً . وثم أسباب قوية للاعتقاد بأن شرور هذه النظم الجامعة ظواهر ملازمة لهذه النظم تبدو عاجلا أو آجلا .

وكما أن السياسى الديمقراطى الذى يهم بتوجيه الحياة الاقتصادية للأمة لا يلبث أن يضطر إلى اختيار أحد أمرين ، إما تخويل نفسه سلطات دكتاتورية ، وإما التخلى عن مشروعاته ، كذلك الزعيم فى نظام جامع لا يلبث أن يضطر إلى أحد أمرين : إما إغفال الأخلاق العادية وإما الإخفاق . وهذا هو السبب فى أن الذين لا يبالون بما يكون منهم ، أخلق بالنجاح فى جماعة تميل إلى النظام الجامع . والذى لا يستطيع أن يدرك هذه الحقيقة لا يكون قد فطن إلى سعة الهوة التى تفصل ما بين النظام الجامع والحضارة الغربية ذات الصبغة الفردية فى جوهرها .

ولا بد للزعيم فى نظام جامع أن يجمع حوله زمرة مستعدة للخضوع للنظام الذى يوكل إليها أن تفرضه بالقوة على بقية الأمة ، فأما أن الاشتراكية إنما يستطاع وضعها موضع التنفيذ بوسائل لا يقرها معظم الاشتراكيين ، فهذا درس تعلمه كثير من المصلحين الاشتراكيين فى الماضى . فقد كانت الأحزاب الاشتراكية القديمة مكبلة بمثلها العليا الديمقراطية ، ولم تكن فيها تلك

القسوة التى يتطلبها أداء واجبها المختار .
ومما له دلالة أنه فى كل من ألمانيا وإيطاليا ، كان نجاح الفاشية مسبوقاً برفض الأحزاب الاشتراكية أن تحمل أعباء الحكم ومسئولياته. وكانت هذه الأحزاب غير مستعدة قلباً وقالباً أن تستخدم الأساليب والوسائل التى دلت عليها ، وكانت لا تزال ترجو أن تقع المعجزة ، وأن توافق أغلبية على خطة معينة لتنظيم الجماعة كلها ، على أن غيرها كانوا قد حذقوا الدرس وأدركوا أنه فى جماعة منظمة مسيرة ، لا يبقى محل للسؤال عما عسى أن توافق عليه الأغلبية ، بل يكون السؤال عن الجماعة الكبرى الذى يتفق أعضاؤها اتفاقاً يكفى لجعل الإدارة الموحدة لكل الشئون ممكنة .

وثم ثلاثة أسباب رئيسية تجعل الأرجح فى الاحتمال أن يتألف مثل هذا الفريق الكبير ، المتشابه الآراء إلى حد كبير ، من شر العناصر فى أى جماعة ، لا من خيرها .

الأول : أنه كلما كانت تربية الأفراد أسمى وذكاؤهم أحد ، كانت مسافة الخلف بين آرائهم وأذواقهم أوسع . وإذا أردنا أن نجد درجة عظيمة من التطابق فى النظر ، فإن علينا أن نهبط إلى ذلك الدرك العقلى والأخلاقى الذى تسود فيه الغرائز البدائية . وليس معنى هذا أن المقاييس الأخلاقية منحطة عند سواد الأمة ، وإنما معناه أن الفريق الأكبر من الأمة الذى تتشابه عنده قيم الأشياء تشابهاً شديداً ، هو الذى تكون مقاييسه منحطة .

الثانى : أنه لما كان هذا الفريق ليس من الكثرة بحيث يجعل لمساعى الزعيم وزناً كافياً ، فإنه مضطر أن يزيد عدده بأن يغرى عدداً آخر أكبر بالتحول إلى هذا المذهب البسيط نفسه . ولا بد له من أن يفوز بتأييد كل لين العريكة سهل الانقياد والانخداع ، ممن ليست لهم عقائد قوية أو آراء خاصة ، وإنما هم مستعدون أن يتقبلوا ما يعرض عليهم من القيم محضراً مجهزاً إذا قرعت به أسماعهم قرعاً متكرراً كافياً . وهؤلاء الذين يسهل التأثير فى آرائهم الفجة الغامضة ، واستثارة عواطفهم وإحساساتهم هم الذين تتضخم بهم صفوف الحزب الجامع .

والثالث : أن الزعيم إذا أراد أن يوثق ما بين جماعة مؤتلفة من الأنصار ، لا معدى له عن أن يهيب بضعف إنسانى مشترك . ويبدو أن اتفاق الناس على نهج سلبى — مثل كراهة عدو ، أو حسد من هم أحسن حالا — أيسر من الاتفاق على مهمة إيجابية .

ومن أجل هذا كان الذين ينشدون ولاء الجماهير الغفيرة لا يزالون يستعملون لفظى « نحن » و « هم » على سبيل المقابلة

والمعارضة . وقد يكون العدو داخليا « كاليهود » فى ألمانيا ، و « القولاق » فى روسيا ، أو يكون خارجيا . ومهما يكن من ذاك ، فإن هذه الوسيلة لها مزية كبيرة هى أنها تؤتى الزعيم حظاً من حرية العمل أعظم مما يؤتيه إياه أى برنامج إيجابى .

والارتقاء فى الجماعة الكلية ، أو الحزب الجامع ، رهن على الأكثر بالاستعداد للقيام بأعمال منافية للخلق الكريم . فالمبدأ القائل بأن الغاية تبرر الوسيلة ، وهو يعد فى شرعة الأخلاق الفردية نقضاً لكل فضيلة ، يصبح لا محالة القاعدة العليا فى شرعة المبادىء الجامعة ، ولا يكاد يوجد شىء لا يكون الرجل الجماعى غير مستعد أن يفعله إذا كان فيه « خير المجموع » ، لأن هذا عنده هو المقياس الوحيد لما ينبغى أن يفعل .

ومتى سلمت أن الفرد ليس إلا أداة لخدمة غايات الكيان الأسمى الذى يسمى الجماعة أو الأمة ، فإن معظم وجوه النظام الجامع التى نستبشعها ، تنشأ حتما . فمن وجهة النظر الجماعية ، يكون التعصب والقمع الوحشى لكل خلاف ، والغش ، والتجسس ، والإهمال التام لحياة الفرد وسعادته ، أموراً جوهرية لا مهرب منها ، والأعمال التى تستثير غضبنا وسخطنا كإعدام الرهائن ، أو قتل المرضى والشيوخ ، تعد أموراً تقضى بها الضرورة ليس إلا ، ويغدو قلع مئات الآلاف من الناس من أوطانهم وإخراجهم من ديارهم ونقلهم إلى سواها ، وسيلة سياسية يقرها كل امرىء تقريباً ، ما خلا الضحايا أنفسهم .

فإذا أراد الرجل أن يكون عونا نافعاً فى إدارة دولة جامعة فإن عليه إذن أن يكون مستعداً لانتهاك كل قاعدة أخلاقية عرفها فى حياته ، إذا بدا له أن هذا ضرورى لإدراك الغاية التى رُسمت له ، وتتهيأ فى ظل النظام الجامع فرص خاصة للقساة ومن لا يزعهم ضمير ، فلا الجستابو ولا إدارة معسكرات الاعتقال ، ولا غيرها هى وما يقابلها من الهيئات ، أماكن صالحة للصدور عن وحى العواطف الإنسانية . ومع ذلك فهذه المراكز هى التى تفضى إلى أسمى المناصب فى الدولة الجامعة .

وقد لاحظ اقتصادى أمريكى ملحوظ المكانة ، هو الأستاذ فرانك ه . نايت ، بحق أن أولى الأمر فى الدولة الجامعة « لا يسعهم إلا أن يأتوا هذه الأمور سواء أأرادوا ذلك أم لم يريدوه . واحتمال أن يكون ذوو السلطان أفراداً قد يكرهون أن تكون لهم السلطة وأن يستعملوها ،

كاحتمال أن يحصل رجل رقيق القلب جداً على وظيفة جلاد فى مزرعة عبيد » .

وثم نقطة أخرى ينبغى أن نسوقها :

ذلك أن النظام الجامع مؤداه القضاء على الحقيقة ، فليس يكفى لكى يسير النظام الجامع بدقة وإحكام ، إكراه كل امرىء على العمل للأغراض التى اختارها الذين فى أيديهم الأمر ، بل من الجوهرى أن يُحمل الناس على الاعتقاد أن هذه الأغراض هى أغراضهم ، وهذا ما تتكفل به الدعاية والسيطرة التامة على جميع مصادر الأنباء والمعلومات .

وأفعل وسيلة لحمل الناس على التسليم بصحة المبادىء التى يخدمونها هى إقناعهم بأنها هى نفسها ما كانوا يعتنقونه دائماً ، وكل ما فى الأمر أنها لم تكن مفهومة أو مُدركة على الوجه الصحيح . وأيسر ما تتأتى به لذلك أن تستعمل الألفاظ القديمة ولكن تغير معانيها . وقل أن تكون هناك خصائص للنظم الجامعة أبعث على حيرة المراقب السطحى ، وارتباكه ، وأدل فى الوقت نفسه على الجو العقلى كله ، من هذا المسخ التام للغة .

ولم تُمن كلمة فى هذا الباب بمثل ما مُنيت به كلمة « الحرية » ، وهى كلمة يشيع استعمالها فى الدول الجامعة كما فى غيرها ، بل إنه ليكاد يمكن أن يقال إنه فى حيثما يُقضى على الحرية بالمعنى الذى نعرفه ، يتم هذا باسم نوع جديد من الحرية يوعد بها الشعب . حتى بيننا ، نجد موجهين يعدوننا « حرية جماعية » وهى عبارة مضللة كتضليل أى شىء يقوله الساسة الجماعيون . فإن « الحرية الجماعية » ليست هى حرية أعضاء الجماعة أو الأمة ، بل الحرية المطلقة للمُوجّه أن يصنع بالجماعة أو الأمة ما يشاء . وهذا خلط بين الحرية والسلطة يذهب إلى أبعد حد .

وليس من الصعب حرمان السواد الأعظم التفكير المستقل ، ولكن القلة التى تحتفظ بالميل إلى النقد يجب إخراسها أيضاً . ولا بد من قمع النقد العلنى أو حتى مجرد الإعراب عن الشك ، لأن هذا من شأنه أن يضعف تأييد النظام . والأمر كما يقول سدنى وبيتريس ويب فى وصف الحال فى كل مشروع روسى : « فى أثناء سير العمل ، يكون كل إعراب عن الشك فى أن المشروع ناجح ، عملا ينطوى على عدم الإخلاص بل على الخيانة . وذلك لما عسى أن يكون من تأثيره فى إرادة بقية العمال وجهودهم » .

وتمتد السيطرة حتى إلى الرعايا الذين لا يبدو أن لهم قيمة سياسية . فنظرية

النسبية مثلا ، قد عورضت لأنها « حملة سامية على أسس الفلسفة الطبيعية المسيحية والنوردكية » ولأنها « تناقض المادية المنطقية والتعاليم الماركسيّة » . فكل نشاط يجب أن يستمد مايسوغه من غرض اجتماعى مقصود ، ولا يجوز أن يكون هناك نشاط اختيارى " غير مسيّر ، لأنه قد يحدث نتائج غير منظورة ، وليس له فى الخطة المرسومة كفيل .

بل إن المبدأ يمتد حتى إلى الألعاب والملاهى ، وأنا أدع للقارئ أن يخمّن أين نوشد لاعبو الشطرنج رسميا أن « نقضى حملة ودفعة واحدة على حيدة الشطرنج . ويجب أن نستنكر استنكاراً حاسما قاعدة « الشطرنج من أجل الشطرنج » .

ولعل أدعى الحقائق إلى الجزع أن احتقار الحرية العقلية لاينشأ فقط متى توطد النظام الجامع ، بل يمكن أن يوجد فى كل مكان بين الذين اعتنقوا عقيدة جامعة . إن شر الظلم يغتفر إذا ارتكب باسم الاشتراكية ، وعدم الاحتمال للآراء المعارضة يمجّد علناً ، ومأساة العقلية الجماعية هى أنها تبدأ بأن تجعل المحل الأسمى للعقل ، وتنتهى بأن تهدمه وتقضى عليه .

وثم وجه من وجوه التغيير فى القيم الأخلاقية ، جرّه تقدم المذهب الجماعى " ، وفيه مجال خاص للتفكير . ذلك أن الفضائل التى لا يقل التقدير لها فى بريطانيا وأمريكا هى بعينها التى كان الأنجلو سكسون يباهون بها ، والتى يُعترف لهم على العموم بالتفوق فيها . وقد كانت هذه الفضائل هى الاستقلال والاعتماد على الذات ، وروح الابتكار الفردى ، والمسئولية المحلية ، والاعتماد الناجح على النشاط الاختيارى ، وعدم التدخل فى شئون الجار ، والتسامح مع المخالف ، وسوء الظن بذوى القوة والسلطان .

وكل هذه التقاليد والخصائص التى صاغت الخلق القومى وطبعت الأخلاق بطابعها فى إنجلترا وأمريكا ، هى بعينها التى يدأب النظام الجامع ووسائله المركزية على القضاء عليها .

التوجيه — وحكم القانون

ليس أوضح تميزاً لبلد حر من بلد آخر تحت حكومة استبدادية ، من توخى المبادئ العظيمة التى تسمى حكم القانون . وهذا معناه ، إذا أهملنا المصطلحات الفنية ، أن الحكومة فى كل أعمالها مقيدة بأحكام مقررة ومعلنة من قبل — أحكام تجعل فى الإمكان أن يعرف المرء معرفة تكاد تبلغ حد اليقين ، كيف تنوى الحكومة أن تستخدم سلطتها القهرية فى ظروف معينة ، و تيَسّر

للفرد أن يرتب شئونه على مقتضى هـذه المعرفة . ففى الحدود المعروفة لأحكام العمل يكون الفرد حرا فى السعى لغاياته الشخصية، وهو واثق أن سلطة الحكومة لن تستخدم عمداً لإحباط مساعيه .

أما التوجيـه الاقتصادى الاشتراكى فيستوجب نقيض ذلك تماماً ، فإن السلطة الموجِّهة لا تستطيع أن تقيد نفسها سلفاً بأحكام عامة تمنعها من التصرف على هواها .

فإذا أرادت الحكومة أن تقرر كم خنزيراً تربى ، أو كم خط سيارات نقل يجرى ، وأى مناجم الفحم يستغل ، وبأى ثمن تباع الأحذية ، فإن مثل هذه الأمور لا يمكن أن تقرر لمدد طويلة سلفاً ، إذ كانت رهناً بظروف الساعة . ومن الضرورى عند وضع هذه القرارات ، الموازنة دائماً بين مصالح أفراد مختلفين وهيئات شتى .

وينتهى الأمر بأن تتغلب آراء بعضهم فى أى المصالح أهم ، ولا مفر من أن تصبح هذه الآراء جزءاً من قانون البلاد ، ومن هنا تتجلى الحقيقـة المألوفة ، وهى أنه كلما مضت الدولة فى التوجيـه واسترسلت فيه زادت على الفرد مشقة توجيهه لشئونه .

والفرق بين هذين النوعين من الحكم ، مهم ، وهو شبيه بالفرق بين وضع العلامات على الطرق للإرشاد ، وبين إكراه الناس على سلوك طرق معينة .

وفضلا عن ذلك فإن الحكومة فى ظل التوجيه المركزى لا تستطيع أن تتجنب التحيز ، ولا تعود الدولة أداة نفع مقصود بها معاونة الأفراد على إنماء شخصياتهم الفردية إلى أقصى حد ، بل تصبح منشأة تتعمد التمييز بين الحاجات الخاصة لأشخاص مختلفين ، وتسمح لواحد بأن يفعل ما يجب أن يمنع غيره من فعله . وتقرر بحكم القانون مبلغ الرغد الذى ينعم به أشخاص معينون ، وبماذا يسمح لمختلف الناس .

أما حكم القانون ، وانتفاء الامتيازات القانونية لأشخاص معينين تتخيرهم السلطة ، فإنه هو الذى يكفل تلك المساواة أمام القانون، التى هى نقيض الحكم الغاشم . ومما له دلالة أن الاشتراكيين (والنازيين) قد ظلوا دائماً يحتجون على العدالة الرسمية المجردة ، ويعترضون على القانون الذى لا يبين ما ينبغى أن ينعم به أشخاص معينون من الخفض والرغد ، ويطالبون «باشتراكية القانون » ويحملون على استقلال القضاة .

وفى الجماعة المسيرة يفيض القانون الصبغة الشرعية على ما يظل مع ذلك عملا عرفيا ، إذا اعتبرنا أغراضـه وغاياته . فإذا قال القانون إن هـذه الهيئة أو السلطة لها أن

تفعل ما تشاء ، فكل ما تفعله هذه الهيئة أو السلطة يكون قانونيا ولكن أعمالها ليست خاضعة فى أى حال لحكم القانون . ومتى خولت الحكومة سلطة غير محدودة ، فإن كل حكم غاشم يمكن أن يكتسب الصبغة القانونية . وبهذه الطريقة يمكن أن تقيم الديمقراطية أشد أنواع الاستبداد التى يمكن تصورها .

إن حكم القانون إنما نشأ فى العصر الحر وهو من أعظم ثماره ، وهو الكيان الشرعى للحرية . وفى هذا يقول إمانويل كانت : « الإنسان حر ما دام لا يحتاج أن يطيع سوى القوانين » .

ألا مهرب من التوجيه ؟

مما له مغزى أن دعاة التوجيه الذين يقنعون اليوم بأن يقولوا إن التوجيه المركزى مرغوب فيه ، قليلون ، أما الأكثرون فيقررون أننا الآن مضطرون إلى ذلك ، بحكم ظروف لا سيطرة لنا عليها .

ومن الحجج التى كثيراً ما يسمعها المرء أن تعقد الحضارة الحديثة يخلق مسائل جديدة لا يرجى لها علاج فعال إلا بالتوجيه المركزى . وهذه الحجة قائمة على سوء فهم تام لفعل المنافسة ، فإن تعقد الأحوال الحديثة هو بعينه الذى يجعل المنافسة الطريقة الوحيدة التى يمكن بها تنسيق الأمور .

وقد كان خليقاً أن لا تنشأ صعوبة ما ، فيما يتعلق بالسيطرة الفعالة أو التوجيه لو كانت الأحوال من البساطة بحيث يستطيع فرد واحد أو مجلس إدارة أن يحيط إحاطة وافية بجميع الحقائق ، ولكن الحقائق التى يجب إدخالها فى الحساب كثيرة ومعقدة بحيث يعجز مركز واحد عن تتبعها والإلمام بها ، وليس فى الوسع الإحاطة التامة بأحوال العرض والطلب التى لا تنفك تتغير فيما يتعلق بالسلع المختلفة ، ولا من الممكن أن يذيع أى مركز مفرد هذه الأحوال بالسرعة اللازمة .

أما فى ظل المنافسة — دون أى نظام اقتصادى آخر — فإن نظام الأسعار يسجل من تلقاء نفسه وعلى صورة آلية كل المعلومات المزومة . ففى وسع رجال الأعمال إذا جعلوا بالهم إلى حركة عدد قليل نسبيا من الأسعار — على نحو ما يراقب المهندس بعض اللوحات — أن يجعلوا نشاطهم وفق نشاط غيرهم من الناس .

وإذا قيس التوجيه المركزى إلى هذه الطريقة لحل المسألة الاقتصادية — باللامركزية مضافاً إليها التنسيق الآلى بواسطة نظام

الأسـعار ـ فإن التوجيه يبدو غليظاً ، وبدائياً ، ومحدود النطاق ، إلى حد يجاوز التصور . وليس من المبالغة أن يقال إننا لو كنا اضطررنا أن نعتمد على التوجيـه المركزى فى نمو نظامنا الصناعى لما بلغ قط هذه الدرجـة من التنوع والمرونة . وقد تيسَّر نشوء الحضارة الحديثة لأنها لم تخلق خلقاً ، وقد جاوز توزيع العمل كل ما كان يمكن أن يحـدث بالتوجيه ، وكل نمو آخر فى الكيان الاقتصادى المعقد لا يجعل التوجيه المركزى ألزم ، بل يزيد أهميـة استخدامنا لعامل المنافسة وعـدم التعويل على السيطرة المفروضة .

ومما يساق أيضاً من الحجج أن التغييرات الفنية جعلت المنافسة مستحيلة فى عدد متزايد من الميادين ، وأن علينـا أن نختار أحد أمرين لا ثالث لهما : السيطرة على الإنتاج بواسطة الاحتكارات الخاصة ، أو التوجيه بواسطة الحكومة . على أن الاحتكار يبدو أنه ليس نتيجة لازمة للتقـدم الفنى بقدر ما هو نتيجة للسياسات التى اتبعت فى معظم البلدان .

وقد قامت اللجنـة الاقتصادية القومية الموقتة بأوفى درس للموقف ، وهى على التحقيق لا تتهم بالإسراف فى تحيزها للمبادىء الحرة . وقد ختمت اللجنة تقريرها بقولها :

«إن التفوق فى الكفاية فى المؤسسات الكبيرة لم يثبت ، والمزايا التى يقال إنها تقضى على المنافسة ، قد عجزت عن التبدى فى عـدة ميادين . . . ولا يمكن التسليم بأن مزية الإنتاج فى نطاق واسع لا بد أن تفضى حتما إلى إلغاء المنافسة . . . على أنه يجب أن يلاحظ أن الاحتكار كثيراً ما أمكن الوصول إليه بالتواطؤ ، وشجعته السياسات العامة . ومتى أبطلت هـذه الاتفاقات المنطوية على التواطىء ، وعُكست السياسات ، فإن الأحوال اللازمة للمنافسة يمكن أن تعاد »

وكل من لاحظ كيف أن المحتكرين الطامحين لا ينفكون ينشدون معونة الدولة لتكون سيطرتهم فعالة ، لا يبقى عنده شك فى أن هذا التطور ليس أمره محتوماً أبدا . وقد ساعدت سياسة الحماية القوية فى الولايات المتحدة على نمو الاحتكارات . وفى ألمانيا كان نمو نقابات الإنتاج يشجع عمداً وباطراد منذ سنة ١٨٧٨ ، وهناك بمساعدة الدولة أدت التجربة العظيمة الأولى « للتوجيه العلمى » و « التنظيم المتعمد للصناعة » إلى إيجاد الاحتكارات الضخمة ، فقـد كان القضاء على المنافسة سياسة متعمدة فى ألمانيا اختطتها فى سبيل مثل أعلى نسميه الآن التوجيه .

والخطر عظيم من سياسة فئتين قويتين تؤيدان تنظيم الصناعة على قاعدة الاحتكار : وهما رأس المال المنظم ، والعمل المنظم . وقد جاء النمو الحديث للاحتكار نتيجة للتعاون العمد بين رأس المال المنظم ، والعمل المنظم ، فى حيث تشاطر طوائف العمال الممتازة أرباح الاحتكار على حساب الجماعة، وخاصة على حساب الذين يستخدمون فى الصناعات التى هى أقل تنظيما . على أنه لا سبب يدعو إلى الاعتقاد بأن هذه الحركة لا معدى عنها .

إن الحركة التى تنزع إلى التوجيه نتيجة للعمل العمد ، وليس ثم ضرورات خارجية تفرضها علينا .

هل يخلينا التوجيه من التبعات ؟

إن معظم دعاة التوجيه ، الذين درسوا بعناية الوجوه العملية لمهمتهم ، لا يخالجهم شك فى أن الاقتصاد المسيّر يجب أن يقوم على قاعدة دكتاتورية ، وأن النظام المعقد لوجوه النشاط المتداخلة يجب أن تتولى إدارته هيئات من الخبراء ، وتكون السلطة العليا فى يد قائد عام لا تعوق أعماله الإجراءات الديمقراطية . والعزاء الوحيد الذى يقدمه لنا دعاة التوجيه هو أن هذه الإدارة الاستبدادية لا تسرى إلا على الشئون الاقتصادية ، وهذا التطمين يصحبه فى العادة القول بأننا بالنزول عن الحرية فيما هو قليل الأهمية من وجوه حياتنا ، نحصل على الحرية فى نشدان ما هو أسمى قيمة . وعلى أساس هذه الحجة نرى الذين يمقتون فكرة الدكتاتورية السياسية ، كثيراً ما يصخبون مطالبين بإقامة دكتاتور فى الميدان الاقتصادى.

والحجج التى تساق فى هذا المعرض تؤثر فى خير غرائزنا ، لأنه إذا كان التوجيه يحررنا حقا من المشاغل القليلة القيمة، ويسهل علينا أن نجعل حياتنا بسيطة فى أسلوبها وسامية فى التفكير ، فمن ذا الذى يود أن يغض من قدر هذا المثل الأعلى ؟

ولكن من سوء الحظ أن الغايات الاقتصادية البحت لا يمكن أن تكون بمعزل عن غيرها من غايات الحياة . والذى يسمى تضليلا « الباعث الاقتصادى » ، لا يعنى إلا الرغبة فى الفرصة العامة . فإذا نحن سعينا للمال فإنما نسعى لأن المال يتيح لنا أوسع مجال للاختيار للاستمتاع بثمرات جهودنا — ومتى كسبنا المال فنحن احرار فى إنفاقه كما نحب .

ولما كان دخلنا المحدود من المال هو الذى يشعرنا بالقيود التى يفرضها علينا فقرنا النسبى، فإن كثيرين منا قد أصبحوا يبغضون

المال ويعدونه رمزاً لهذه القيود . على أن الواقع أن المال من أعظم أدوات الحرية التى اخترعها الإنسان . والمال فى جماعاتنا القائمة هو الذى يهىء مدى مدهشاً للاختيار للرجل الفقير — مدى أعظم مما كان مهيّأً قبل أجيال غير كثيرة للأغنياء .

وخليق بنا أن نكون أقدر على فهم قيمة الخدمة التى يؤديها المال، إذا قدرنا المعنى الحقيقى لما يقترحه كثيرون من الاشتراكيين من إحلال « الحوافز غير الاقتصادية » محل « الباعث المالى » . فلو أن كل المكافآت كانت لا تقدم فى صورة مال ، بل فى صورة إنعامات أو امتيازات أو مراكز ذات سلطة على الغير ، أومساكن أحسن وطعام أطيب ، وفرص للسياحة أو التعلم ، فإن هذا لا يكون مؤداه إلا أن الذى يتلقى المكافأة يفقد الاختيار ، وأن الذى عين المكافأة هو صاحب الرأى لا فى قدرها فحسب ، بل فى طريقة الاستمتاع بها أيضاً .

والحرية الاقتصادية ، كما يسميها الذين يعدوننا بها ، معناها على وجه الدقة إعفاؤنا من ضرورة حل مسائلنا الاقتصادية الخاصة ، وأن الاختيارات المرة التى كثيراً ما يؤدى إليها هذا ، ستفرض علينا . ولما كنا فى الأحوال الحديثة نحتاج فى كل شىء تقريباً إلى الوسائل التى يهيؤها الناس، فإن التوجيه الاقتصادى يفضى إلى التحكم فى كل وجوه حياتنا تقريباً ، ولا يكاد يوجد وجه واحد لا يسيطر عليه الموجه ، يدخل فى ذلك حاجاتنا الأولية وعلاقاتنا بأسرتنا وأصدقائنا ، وطبيعة عملنا وما نُزَجِّى به فراغنا .

ولن تكون سلطة الموجِّه على حياتنا الخاصة أقل ، إذا كان المستهلك حرا بالاسم فى إنفاق دخله كما يشاء ، لأن هذه السلطة تسيطر على الإنتاج .

أما حريتنا فى الاختيار فى جماعة تجرى فيها المنافسة مجراها ، فتقوم على هذه الحقيقة : وهى أنه إذا أبى شخص أن يرضى رغباتنا ، فإن فى وسعنا ان نتحول إلى سواه ، أما إذا واجهنا محتكراً فنحن تحت رحمته . وأخلق بالسلطة التى توجه النظام الاقتصادى كله أن تكون أقوى ما يمكن تصوره من أشكال الاحتكار .

ذلك أنها تكون ذات سلطة تامة فى تقرير ما نعطاه ، والشروط التى نعطاه بها . ولن يقتصر الأمر على تقرير السلع والخدمات المتاحة ، وبأى كمية تُعطى ، بل يكون فى وسعها تقرير توزيعها بين المناطق والجماعات ، وفى مقدورها إذا شاءت أن تميز وتفرق بين الأشخاص كيف تشاء ، فليس رأينا

نحن ، بل رأى غيرنا فيما ينبغى أن نحب أو نكره ، هو الذى يعين ما ينبغى أن نحصل عليه .

وتكون إرادة السلطة هى التى تكيف وتوجه حياتنا اليومية ، وأثر هذا التوجيه أكبر ، بوصفنا منتجين . وأكثرنا ، وقته الذى يقضيه فى عمله ، هو جانب كبير من حياته كلها ، وعمله هو فى العادة الذي يعين له المكان الذى يعيش فيه ، والناس الذين يحيا بينهم . ومن هنا كان بعض الحرية فى اختيار عملنا أهم على الأرجح من الحرية فى إنفاق دخلنا فى ساعات فراغنا .

وحتى فى خير العوالم تقيد الحرية ، وقل من يتهيأ لهم اختيار العمل فى نطاق واسع . على أن المهم هو أن لنا بعض الاختيار ، وأننا لسنا مشدودين إلى عمل اختير لنا ، وأنه إذا أصبح العمل مما لا يطاق ، أو تعلقت قلوبنا بغيره ، فإن هناك دائماً وسيلة يستطيع بها الفرد أن يصل إلى غايته ببعض التضحية . وليس شىء ا كفل بأن يجعل الأحوال أثقل من أن تحتمل ، من العلم بأنه ما من جهد لنا يستطيع تغييرها . وقد يكون من الشر أن يكون المرء قطعة من آلة ليس إلا ، ولكن شراً من ذلك بكثير أن نعجز عن تركها ، وأن نربط بالمكان وبالرؤساء الذين اختيروا لنا .

ومن الميسور فى عالمنا الحاضر أن نفعل كثيراً لتحسين فرصنا للاختيار ، غير أن « التوجيه » يسير على التحقيق فى اتجاه ضد هذا الاتجاه ، لأنه لا بد أن يسيطر على الدخول فى الحرف والمهن المختلفة ، أو على قواعد المكافأة والأجور ، أو على هذا وذاك . وقد حدث فى حالات التوجيه المعروفة جميعها تقريباً أن كانت السيطرة والتقييد من أول التدابير التى اتخذت .

ومن الممكن الحصول على معظم الأشياء بثمن فى جماعة قائمة على المنافسة . وكثيراً ما يكون الثمن قاسياً فى ارتفاعه ، إذ لا بد أن نضحى بشىء لنفوز بآخر ، غير أن البديل من هذا ، ليس حرية الاختيار ، بل الأوامر والنواهى التى لا بد أن تطاع .

وليس من المستغرب أن يتمنى الناس الإعفاء من الاختيار المر الذى تعرضه عليهم الحقائق القاسية ، ولكن ما أقل من يبتغون أن يكون الإعفاء بأن يتولى غيرهم أمر الاختيار لهم . وإنما يشتهى الناس أن لا يكون الاختيار ضروريا على الإطلاق وما أشد استعدادهم لأن يعتقدوا أن الاختيار ليس ضرورياً فى الحقيقة ، وأنه لا يفرضه عليهم إلا النظام الاقتصادى الخاص

الذى يعيشون فى ظله . والذى يتمضون منه فى الواقع هو أن هناك مسألة اقتصادية .

ومما قوّى التوهم المبنى على الاشتباه ، بأنه لم تعد هنـاك مسألة اقتصادية ، الزعم بأن الاقتصـاد الموجه خليق أن يكون أوفر إنتاجاً من نظام المنافسة . على أن هذا زعم قد أخذ معظم الذين درسوا الموضـوع يتخلون عنه شيئاً فشيئاً ، بل إن كثيرين من الاقتصاديين ذوى الآراء الاشتراكية يقنعون الآن بالأمل بأن تكون الجماعة المسيّرة فى مثل كفاية الجماعة القائمة على المنافسة، ويشيرون بالتوجيه لأنه يساعدنا على الوصول إلى توزيع أعدل للثروة . ومما لانزاع فيه أنه إذا أردنا أن نقرر من يأخذ ماذا ، فإن علينا أن نوجه النظام الاقتصادى كله .

ولكن المسـألة التى تبقى هى : أليس الثمن الذى ينبغى أن نؤديه لتحقيق العدل المثالى فى نظر بعضهم سيكون لا محالة زيادة السخط والظلم على كل ما سببه النظام الذى كثر ذمه ، والذى يقضى بترك العوامل الاقتصادية حرة فى التفاعل ؟

ذلك أنه إذا تولت الحكومة توزيع الثروة ، فبأى المبادىء تهتدى أو ينبغى أن تهتدى ؟ وهل ثم جواب قاطع للمسائل التى لا حصر لها عن المزايا النسبية ؟

إنه لا يهىء الجواب إلا مبدأ عام واحد وقاعدة بسيطة واحدة : المساواة المطلقة بين جميع الأفراد . فإذا كانت هذه هى الغاية ، فإنها خليقة على الأقل أن تكسب الفـكرة الغامضة عن العدل الموزع ، معنى واضحاً . ولكن الناس على العموم لا يعدون المساواة الآلية من هـذا الضرب مرغوباً فيهـا ، والاشتراكية لا تعدنا المساواة التـامة بل « مساواة أعظم » .

وهذه القاعدة لا تقدم جواباً لأية مسألة، فهى لا تعفينا من الحاجة إلى أن نوازن فى أية حالة خاصة بين مؤهلات الأفراد أو الجماعات الخاصة ، ولا تساعد على تقرير شىء . وكل ما تقوله لنـا هو فى الواقع أن يؤخذ من الأغنياء كل ما يستطاع أخذه ، فإذا انتقلنا إلى توزيع الأسلاب ، فإن المسألة تبقى كما هى ، كأنما لم تخطر فكرة « الحرية الأعظم » على البال .

وكثيراً ما يقال إن الحرية السيـاسـية لا معنى لها بغير الحرية الاقتصادية . وهذا صحيـح ، ولـكن بمعنى يكاد يكون مناقضاً للمعنى الذى يقصده الموجهون حين يسـتعملون هـذه العبارة . إن الحرية الاقتصادية التى هى الشرط لـكل حرية أخرى لا يمكن أن تـكون التحرر من التبعات الاقتصادية الذى يعدنا به الاشتراكيون ، والذى لا يمكن أن يتحقق بإعفائنا من القدرة على الاختيار ،

وإنما يجب أن تكون هذه الحرية هى حرية النشاط الاقتصادى التى تحمل التبعة عن هذا الحق، مع حق الاختيار المضاف إليها.

نوعان من الأمن

إن الأمن الاقتصادى، كثيراً ما يصور «كالحرية الاقتصادية» الزائفة، كأنه حالة لا غنى عنها للحرية الحقيقية. وهذا من بعض الوجوه صحيح ومهم، فقلما نرى استقلال العقل أو قوة الشخصية بين من لا يستطعون أن يكونوا على ثقة من أنهم سيشقون طريقهم بجهودهم.

ولكنّ هناك ضربين من الأمن: الاطمئنان إلى الحصول على حد أدنى معين من مقومات الحياة للجميع، والاطمئنان إلى مستوى معين للحياة، وإلى المركز النسبى الذى ينعم به فرد أو جماعة من الناس بالقياس إلى الغير.

وليس ثم ما يمنع أن يكفل النوع الأول من الأمن للجميع بغير خطر على الحرية العامة، فى جماعة بلغت ما بلغته جماعتنا من المستوى العام للثروة — أى حد أدنى للطعام والمأوى والملبس يكفى للاحتفاظ بالصحة. كذلك لا سبب هناك يمنع الدولة أن تساعد على وضع نظام شامل للتأمين الاجتماعى بالاحتياط للمخاطر العادية التى لا يستطيع سوى القليلين أن يحتاطوا لها.

والنوع الثانى من التوجيه فى سبيل التأمين هو الذى له هذا الأثر السىء فى الحرية، فإنه توجيه مقصود به حماية أفراد أو جماعات ممن نقص دخلهم.

وإذا كان الواقع، الذى يزداد وضوحاً، أنه إذا كان يسمح لرجال أية صناعة تتحسن أحوالها، بأن يقصوا غيرهم ليضمنوا لأنفسهم الربح الكامل فى صورة أجور أو فوائد أعلى، فإن الذين يعملون فى صناعات قل طلبها لا يجدون عملا. وكل تغير، يؤدى إلى زيادة البطالة. ولا يمكن أن يكون هناك شك فى أن السعى للأمن بهذه الوسائل فى العقود الأخيرة هو الذى أفضى إلى مثل هذه الزيادة فى البطالة والاضطراب.

إن حالة اليأس التى صار إليها الذين تُركوا خارج نطاق العمل المحمى، فى جماعة أصبحت أحوالها جامدة صارمة على هذا النحو، لا يقدرها إلا الذين عانوها. ولم يشهد العالم قط من قبل مظهراً لاستغلال طبقة لأخرى، أقسى من هذا الاستغلال من المنتجين الموطدى المركز، للذين هم أسوأ حظاً. والذى يسّر هذا هو «تنظيم» المنافسة. وما أقل الكلمات التى أحدثت من

الأذى مثل ما أحدثته كلمة « توطيد » بعض الأسعار أو الأجور ، فقد ضمنت لبعضهم الرزق ، وجعلت حالة الباقين تزداد حرجاً على الأيام .

وقد ازدادت فى إنجلترا وأمريكا أهمية بعض المزايا الخاصة ، ولا سيما التى اتخذت صورة « التنظيم » للمنافسة و « التوطيد » لأسعار وأجور معينة . فإنه كلما منحت جماعة مثل هذا التأمين ، ازداد تبعاً لهذا اضطراب الباقين ، لأنك إذا ضمنت للبعض حصة ثابتة فى كعكة غير ثابتة الحجم ، فإن النصيب المتروك للآخرين لابد أن يتفاوت وتضطرب نسبته أكثر مما يتفاوت حجم الكعكة كلها ، ثم لابد أن يزداد النقص فى تنوع الفرص وكثرتها ، وهو العنصر الجوهرى للأمن فى نظام المنافسة .

إن السعى العام للتأمين بتدابير مقيدة تعززها الدولة قد أحدث على الأيام تطوراً مطرداً فى الجماعة — وهو تطور كانت ألمانيا هى السابقة إليه ، كشأنها فى عدة أمور أخرى ، وكانت الدول الأخرى تابعة لها فيه — وقد عجل بهذا التطور تأثير آخر للتعاليم الاشتراكية التى تتعمد الغض من كل مظاهر النشاط التى تستدعى المخاطرة الاقتصادية ، والإنحاء بالذم على المكاسب التى تجعل المخاطر أهلا للركوب ، والتى لا يفوز بها إلا القليلون .

ولسنا نستطيع أن نلوم شبابنا حين يفضلون المركز الآمن ذا المرتب على خطر المغامرة ، بعد أن ظلوا يسمعون مذ كانوا صغاراً أن الأول أسمى وأخلى من الأنانية والأثرة . وقد نشأ جيل الشباب الحالى فى عالم تعلم فيه من المدارس والصحافة أن روح المغامرة التجارية معيب ، وأن كسب الربح مناف للأخلاق ، وأن استخدام مئة رجل استغلال ، أما قيادة مثل هذا العدد فعمل شريف .

وقد يرى الذين ارتفعت بهم السن أن هذه مبالغة ، غير أن التجربة اليومية للمدرس الجامعى لا تدع شكا فى أنه كان من أثر الدعاية ضد الرأسمالية أن تغيرت القيم تغيراً سابقا جدا لما حدث إلى الآن من التغير فى النظم . والمسألة هى : إذا غيرنا نظمنا لمواجهة المطالب الجديدة ، ألا نقضى ونحن لاندرى على القيم التى لا نزال نعلى من قدرها ؟

إن النزاع الذى علينا أن نعالجه أساسى بين طرازين لا يأتلفان من التنظيم الاجتماعى ، كثيراً ما وصفا بالتجارى والعسكرى ، وفى أحدهما يكون الاختيار والمخاطرة مرجعهما إلى الفرد ، وفى الآخر يعفى منهما جميعاً . وفى الجيش يعين العمل والعامل بالأمر ،

وهذا هو النظام الوحيد الذى يؤتى الفردُ فيه التأمين الاقتصادى التام ، على أن هذا التأمين لا ينفصل عن القيود المضروبة على الحرية وعن نظام الطبقات فى الحياة العسكرية — فهو تأمين الثكنات .

وليس من المحتمل فى جماعة ألفت الحرية أن يكون كثيرون من الناس مستعدين عن عمد وإدراك ، أن يشتروا التأمين بهذا الثمن ، غير أن السياسات التى تتبع الآن تخلق بسرعة أحوالا تجعل السعى للتأمين أقوى من حب الحرية .

فإذا أردنا أن لا نقضى على الحرية الفردية ، فإنه يجب أن ندع المنافسة تعمل عملها بلا عائق . ولنعين معدلا أدنى لكل امرىء ، ولكن علينا أن نعترف فى الوقت نفسه بأن كل المطالب الخاصة بتأمين ممتاز لطبقات معينة يجب أن تهمل ، وأن يزول كل ما يسوغ به السماح لطوائف معينة بإقصاء غيرها عن مشاركتها رخاءها النسبى لتحتفظ بمعدل خاص لنفسها .

ولا يمكن أن يكون هناك شك فى أنه يجب أن يكون من غاياتنا الرئيسية توفير التأمين الوافى من الحرمان القاسى ، ولكنه ليس أوخم عاقبة من هذا الأسلوب الجديد الذى يتخذه الزعماء المفكرون لتمجيد التأمين على حساب الحرية . ومن الجوهرى أن نعود فنتعلم مرة أخرى أن نواجه بصراحة هذه الحقيقة ، وهى أن الحرية لا يمكن أن تنال إلا بثمن ، وأننا كأفراد يجب أن نكون مستعدين أن نبذل تضحيات مادية قاسية للاحتفاظ بها .

ويجب أن نسترد الاقتناع الذى قامت الحرية على قاعدته فى البلاد الأنجلو سكسونية ، والذى أعرب عنه بنيامين فرانكلين فى جملة تصدق علينا أفراداً وشعوباً :

« إن الذين يريدون أن يتخلّوا عن حرية جوهرية ليشتروا أمناً وقتياً يسيراً ، لا يستحقون لا الحرية ولا الأمن » .

نحو عالم أفضل

إذا أردنا أن نبنى عالماً أفضل، فلا بد لنا من شجاعة نقدم بها على محاولة جديدة . وعلينا أن نزيل العوائق التى كظت بها الحماقة الإنسانية طريقنا ، وأن نطلق للنشاط الإنسانى الفردى العنان ، وأن نخلق أحوالا جديدة ملائمة للتقدم لا « لتوجيه التقدم » .

ليس الذين يصيحون مطالبين بزيادة « التوجيه » هم الذين يظهرون الشجاعة اللازمة ، لا ولا الذين يدعون إلى « نظام جديد » ليس أكثر من استمرار لاتجاهات

الأربعين سنة الماضية ، والذين لا يستطيعون أن يفكروا فيما هو خير من تقليد هتلر . بل الواقع أن أعلى الناس صوتاً من أجل الاقتصاد الموجه ، هم أتم الناس خضوعاً لسلطان الآراء التى أثمرت هـذه الحرب ومعظم الشرور التى نقاسيها .

ويجب أن يكون المبدأ الهادى فى كل محاولة لخلق عالم من الأحرار هو هذا : أن سياسة الحرية للفرد هى السياسة الحقيقية الوحيدة التى تفضى بنا إلى التقدم .

أرأيت إلى البيضة ؟

نزل ثلاثة طيارين من طائرة محطمة فى سفوح جبال همالايا ، حيث يقال إن رجال القبائل هناك من قناصة الرءوس . فقادتهم جماعة من المحاربين عتاة الوجوه ، فى صمت مخيف إلى كوخ الزعيم . فجلسوا هنيهة والقوم حولهم يتمتمون تمتمة تنذر بالوبال ، وعلى أحد الجدران علّق صف من جماجم البشر .

وأخـيراً تجرأوا فطلبوا شيئاً يأكلونه ، وكانوا قد رأوا بعض الدجاج فى القرية ، فكوّر الجاويش أصابعه إشارة إلى البيضة ، فهزّ القوم أكتافهم . وأزاد أن يوضح ، فقعد القرفصاء وحرك ذراعيه وصوّت كالدجاج . وإذا أشد القوم عبـوساً وشراسة يقفز إلى الساحة ، وجعل يحرك ذراعيه ويصيح كما يصيح الديك ، وهجم على الجاويش كما يهجم الديك على الدجاجة ، فذعر الجاويش فصاح صيحات قوية وجعل ينط على الأرض والديك يطارده .

فانفجر القوم ضاحكين وانشرحت الصدور ، وهتف القوم للطيارين واحتفوا بهم ، ثم رجعوا بهم إلى قاعدتهم آمنين . ولكن الجاويش لا يزال يرتجف كلما رأى بيضة . [كورى فورد وألاستير مكبين فى مجلة « كوليرز »]

الأربعون شيخوخة الشباب . والخمسون شباب الشيخوخة .

[فكتور هوجو]

حين يهددك الزكام والتهاب الحلق ...

فساعتئذ تقدر ، أكثر مما تستطيع أن تقدر فى أى وقت آخر ، قيمة صديق يعتمد عليه ، هو مطهر ليسترين . فما أكثر ما تستطيع أن تستعين به فى كفاح البكتريا التى لها صلة بالزكام .

فإذا عمدت مبكراً إلى الغرغرة به واستعملته مراراً ، فقد يرد الزكام ردا باتا ، أو يمنعه أن يستفحل . وهذا يصدق ، أيضاً ، على الحلق الملتهب ، الذى يصحب الزكام فى كثير من الأحيان .

فإذا شعرت ، بأن الزكام يهددك ، فمن الحكمة أن تستعمل مطهر ليسترين .

مطهّر ليسترين

أكثر من ٤٥٠ طائرة لوكهيد
كل شهر للعم سام

القلعة الطائرة "بوينج ب-١٧"

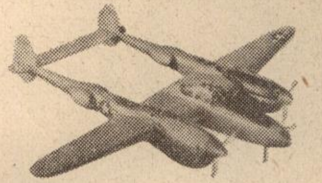

مقاتلة "لايتننج ب-٣٨"

طائرة النقل "كونستليشن س-٦٩"

القاذفة الدورية "فنتورا ب ق"

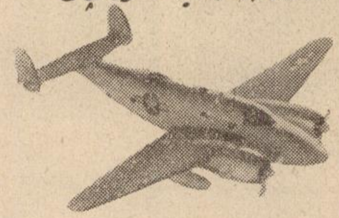

مئة في المئة من إنتاج لوكهيد يذهب إلى الحرب ! مقاتلة لايتننج السريعة ب ٣٨ ، وقاذفة الأسطول فنتورا ب ف ، والقلعة الطائرة بوينج المشهورة ، وطائرة النقل الفخمة لوكهيد كونستيليشن . مقاتلات ، قاذفات ، طائرات نقل . أسلحة حربية سريعة قوية الضرب . يعتمد عليها — تؤيدها سنة لوكهيد في الزعامة ، وتاريخ لوكهيد العظيم الحافل بآيات البراعة والتجربة . مئة في المئة مما تنتجه لوكهيد ، تذهب للحرب . هذا هو سجل لوكهيد في شهر يناير سنة ١٩٤٥ ، وفي كل شهر آخر ما دامت هناك حاجة إلى الطائرات الحربية . ولن تعود لوكهيد إلى غرضها الأصلي — صنع الطائرات للتجارة والصناعة ، ولك أنت ، إلا حين تنقضي الحاجة إلى صنع طائرات الحرب .

LOCKHEED

ترقبوا LOCKHEED في الطليعة دائماً

LOCKHEED AIRCRAFT CORPORATION, BURBANK, CALIFORNIA U.S.A.

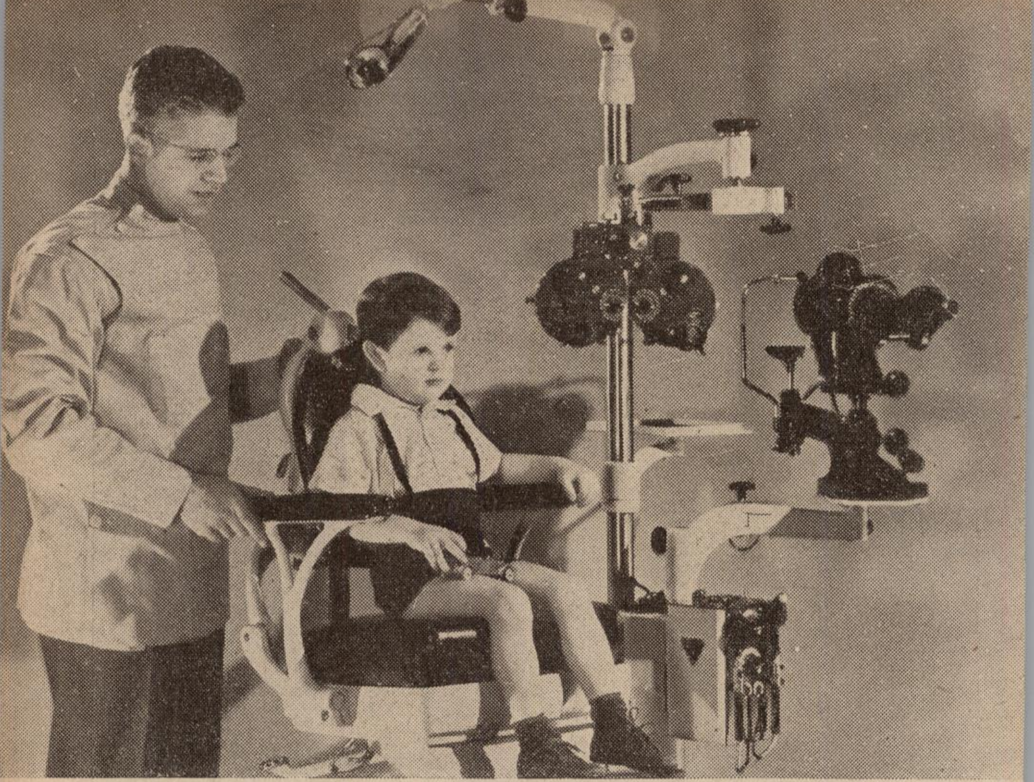

ما أهمّ عينا طفلك !

إنّ عينى الطفل تبلغ من عظم الشأن مبلغاً لا يسمح لك بأن تنتظر ذهابه إلى المدرسة حتى تعلم هل بصره سليم . وهذا هو السبب الذى من أجله تفحص عينا هذا الطفل الآن . فإذا كانت عيناه سليمتين ، فإنه سيعود لفحص آخر فى السنة التالية ولكن إذا كان بصره غير سليم ، كما هى الحال فى كثيرين من الصغار ، فإنه يستطيع أن يبدأ الآن ، فى التمتع بقدرة بصرية جديدة ، بنظارات تصحح البصر .

فلا تقامر على بصر طفلك . ولتفحص عيناه الآن واعلم الحقيقة عن قدرة طفلك على البصر .

تصنع شركة بوش ولومب نظارات خاصة للأطفال ... شنابر متينة وقوية وعدسات دقيقة جعل حجمها مناسباً للوجوه الصغيرة .

بوش ولومب

BAUSCH & LOMB

شركة عدسات

ROCHESTER, N.Y., U.S.A.

ESTABLISHED IN 1853

شركة بوش ولومب : تصنع زجاجاً للإبصار ومجموعة كاملة من أدوات الإبصار للاستعمال فى الحرب والتربية والبحث العلمى والصناعة ولتصحيح بصر العيون وحفظه

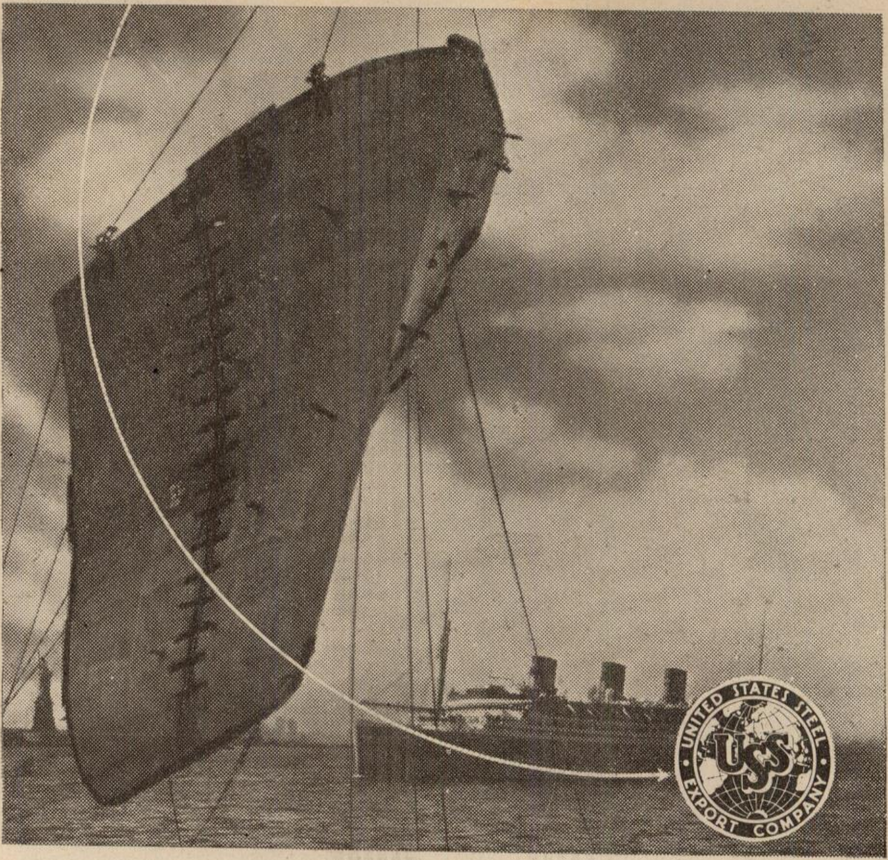

صُلب لأجل عالم الغد

إنّ السفن التجارية الجديدة التى تبنى الآن ، تحتوى على مستحدثات كثيرة ، ابتكرت أولا استجابة لمطالب الحرب المرهقة . وكذلك أصناف الصلب الجديدة التى تفوق ما سبقها ، قد أسفر عنها البحث العلمى خلال الحرب ، وهى أصلح ما تكون للأساليب الجديدة فى بناء السفن . هذه الأصناف الممتازة من الصلب التى تصنعها شركة يونيتد ستيتس ستيل أكبر شركات إنتاج الصلب فى العالم والتى أنتجت فى سنة واحدة ثلث ما صُنع من صفائح الصلب فى الولايات المتحدة — ستكون متاحة فى كل مكان بواسطة شركة يونيتد ستيتس ستيل للإصدار .

شركة يونيتد ستيتس ستيل

UNITED STATES STEEL EXPORT COMPANY

★ ★ 30 CHURCH STREET, NEW YORK 8, U. S. A. ★ ★

نحن فى خدمة العالم بانواع الصلب الممتازة من منتجات اكبر مصانع العالم

المجهر الكهيربي

يعين العلم والصناعة على الإتقان

إنّ مجهر RCA الكهيربي (الأليكتروني) المعروف باسم «العين الكهيربية» يمد آفاق نظر الصناعة والعلم. وهو أداة تكبر الأجسام الدقيقة إلى ٢٢ر٠٠٠ ضعف وتصنع صوراً، إذا ما كبرت بالتصوير الفوتوغرافي صار تكبير الأجسام الأصلية ٢٠٠ر٠٠٠ ضعف عملاً ممكناً.

إن قدرة المجهر الكهيربي على التوضيح والتكبير، لذات قيمة عظيمة لعلماء البكتريولوجيا ولصناعات الكيمياء والمعادن والخزف والعجائن والطيران والنسج والمطاط والبترول وغيرها. وهي معوان جديد للجامعات والمعامل والتجارة والحكومات، في دراسة أحجام الدقائق والأجسام التي لا يزيد قطرها على واحد من خمسة ملايين جزء من البوصة، ومعرفة أشكالها وتوزيعها وتركيب جزيئاتها. وثمة الآن نموذجان متاحان من هذا المجهر — أحدهما مكتنز للاستعمال على المكتب، وهو مصور فوق، وآخر عام يحتوي على مصورة كهيربية.

اكتب إلينا نزودك بمعلومات إضافية.»

RADIO CORPORATION OF AMERICA

RCA VICTOR DIVISION, CAMDEN, N. J., U. S. A.

تتقدم القافلة في الراديو.. تليفزيون.. صمامات.. فونوغرافات.. إسطوانات.. اليكترونات

هو أصدق اليوم منه فى أى يوم سابق . . .

"إنّ طرق العالم قد خدّدتها آثار عجلات ستوديبيكر"

من روسيا إلى فرنسا ، ومن إيطاليا إلى جزائر المحيط الهادى ، تجد أكثر من ١٦٥ ألف مركبة حربية ، صنعها ستوديبيكر فتراها تكتب صفحات جديدة فى تاريخ النقل .

وأكثر مركبات ستوديبيكر هذه ، سيارات حربية معدة للنقل الثقيل ، متعددة القوى . ولكن يجب أن تضيف إليها مركبات ستوديبيكر الجديدة متعددة المنافع ، لحمل الرجال أو للشحن ، المعروفة باسم « ويزل » ، وهى التى ما فتئت تصل إلى جهات القتال بكميات تزداد ازدياداً مطرداً .

فوق أرض لا طرق فيها ولا دروب ، وطرق مزقتها القنابل ، تجد مركبات ستوديبيكر تقيم دليلا جديداً فى كل يوم يمر ، على قوة الاحتمال الطويل ، التى لم تزل السمة المميزة لمعدات ستوديبيكر ، منذ ثلاث وتسعين سنة أو تزيد .

والذين يملكون سيارات ستوديبيكر ، لم يفتأوا يعجبون بمتانة سياراتهم وطول بقائها وقدرتها النادرة على الاقتصاد فى العمل .

إن المهمة الأولى الواقعة الآن على عاتق ستوديبيكر هى المعاونة على كسب الحرب . فحين يتم النصر ، ستتاح للجمهور من مصانع ستوديبيكر سيارات ركوب وسيارات نقل أفضل وأجود من كل ماسبقها .

The Studebaker Export Corporation
SOUTH BEND, IND, U. S. A.
Cables: STUDEBAKER

ستوديبيكر يُنتج محركات سيكلون لأجل القلاع الطائرة

من "الجيب" الطائر إلى سفن الهواء الضخمة

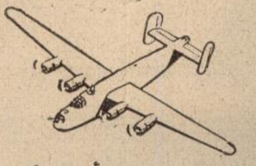

ليبريتور — قاذفة بأربعة محركات

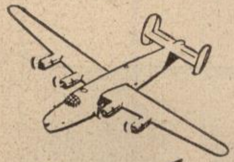

ليبريتور اكسبرس — طائرة نقل

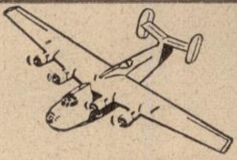

كورونادو — قاذفة دورية

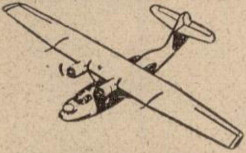

كاتالينا — قاذفة دورية

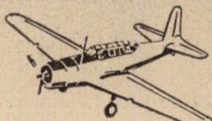

ڤاليانت — طائرة تدريب أساسية

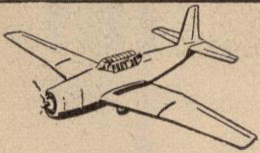

فنجنس — قاذفة انقضاض

ريليانت — طائرة تدريب للملاحة

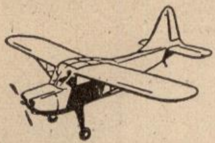

سنتينل — « الجيب » الطائر

حين نحرز النصر، ستكون شركة كونسوليديتيد فولتى للطائرات قادرة على أن تنتج لعالم ما بعد الحرب، الطائرات التى تعادل هذه الطائرات، من الصغيرة التى يملكها أفراد لاستعمالهم الخاص، إلى الضخمة التى تعبر المحيطات حاملة البضائع والركاب.

CONSOLIDATED VULTEE AIRCRAFT

San Diego, Calif.
Vultee Field, Calif.
Tucson, Ariz.
Fort Worth, Texas
New Orleans, La.
Louisville, Ky.
Wayne, Mich.
Dearborn, Mich.
Allentown, Pa.
Nashville, Tenn.
Elizabeth City, N. C.
Miami, Fla.

عضو في مجلس انتاج الطائرات الحربية

منذ سنة ١٩٢٨ كان فيلكو
الرّائد السبّاق في الراديو

... واليوم يتمتع أكثر من ١٧ مليوناً من أصحاب أجهزة الراديو الفخورين بها فى العالم قاطبة ، بثمار جنيت من تطلع فيلكو إلى الأمام وسبقه فى التفكير .

جراموفونات راديو التى تضيف ألواناً جديدة من البهجة إلى الموسيقى المسجلة ...
أجهزة راديو التى تعمل عملا لا يضارع على الموجة القصيرة والإذاعات المحلية جميعاً —
نعم هـــذا هو السبب الذى يجعل أصحاب أجهزة فيلكو فى العالم قاطبة يقولون
« ما أســعدنى لأننى ابتعت جهاز فيلكو » .

فيلكو

المشهور بالجودة في جميع أرجاء العالم

PHILCO INTERNATIONAL CORPORATION,
230 Park Avenue, New York, U.S.A.

راديو منزلى . راديو فونوغراف . راديو سيارة . ثلاجات . أفران كهربائية .
ثلاجات لتجميد الأغذية وحفظها . أجهزة لتكييف الهــواء .

پاركر "٥١"

صنع صنعاً محكماً دقيقاً لا تستطيع أساليب الإنتاج الواسع النطاق أن تجاريه . . . هذا قلم باركر «٥١» سبق ماتتمناه من قلم . فهو الوحيد الذى يتيح لك البدء على التوّ فى الكتابة والانسياب الناعم ، من رأس قصبة مغلفة دائمة الرطوبة . ثم هو الوحيد الذى يستعمل فيه حبر باركر «٥١» ، الحبر الذى يجف وأنت تكتب . فلا حاجة إلى نشاف . وهو مضمون مدى الحياة .

THE PARKER PEN COMPANY
Janesville, Wis. U.S.A.

PARKER "51"

يجف مداده حال كتابته !

GUARD
حقاً إنه لثمين !
الإطار الذى كان دائماً
هو الإطار المفضل بجودته
* * *
شركة چنرال تَير أند رابر اكسپورت
أكرون . أوهايو : الولايات المتحدة
تلغرافيا : چنتيروكو اوكرونوهايو
مصانع فى الولايات المتحدة ، وكندا
ومكسيكو ، وفنزويلا . وشيلى ، والبرتغال
The
GENERAL
TIRE

هدايا وأدوات مكتب فاخرة
صنع جرينجر
هدايا كريمة مناسبة
للطلبة الناجحين في الامتحانات
أدوات مكتب صنع جرينجر
٤٥ أداة مختلفة مختارة
مصنوعة من الالمنيوم اللامع
المصقول على احدث طراز
أطلبوا الأثمان والكتالوج
الكامل ، وكافة الاستعلامات من
مصانع جرينجر الهندسية
H. H. GRANGER JR.
1, SH. KODSI-KOUBBEH-GARDENS
PHONE 49843 - R.C. 34823
ه. ه. جرينجر
١ شارع قدسي بحدائق القبة
تليفون ٤٩٨٤٣ س ت ٣٤٨٢٣

شفرات

ملايين من الناس – فى جميع أقطار العالم – مدينون لجيليت بما يجدونه من السرعة والنعومة والاقتصاد فى حلاقتهم اليومية وبالرغم من انتاجها المحدود لظروف الحرب فباستعمالك شفرات جليت الزرقاء او جيليت استندرد تضمن أريح حلاقة فى العالم.

جيليت

AUTO-LITE

! أوتو-ليت يجتاز الامتحان !

إن الاعتماد على عمل المحركات فى البحر ، فى كل وجه من وجوه سير الآلات ، لم يكن فى زمن ما ، أعظم شأناً منه الآن فى مواجهة ضرورات المعارك البحرية السريعة .

إن وحدات أوتو-ليت البحرية ، التى بنيت خصيصاً للخدمة البحرية تثبت يومياً جدارتها فى هذه الخدمة . وهذه المعدات الخاصة قد صممها الرجال الفنيون الذين ابتدعوا فى أوتو-ليت ، اسم خدمة هندسية موقوفة على إتقان وتحسين أدق المعدات الكهربائية الآلية — معدات للسيارات ، واللوريات والأوتوبيسات ، وقد صنعت هذه المعدات بوساطة وسائل الإنتاج فى ستة وعشرين فرعاً كبيراً من أوتو-ليت ، وهى جميعاً تبنى فى كل ما يصنعه أوتو-ليت صفتى الضمان والخدمة .

THE ELECTRIC AUTO-LITE COMPANY *(Export Division)*

Chrysler Building, New York 17, N.Y., U.S.A.

شموع
بطاريات شحن
اسلاك

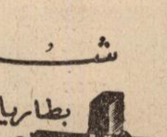

أجهزة للقيام
والإضاءة
والاشتعال

الدرع الواقي لسيارتك
سوكوني - ڤاكوم
C.R. 4954
زيوت موبيلويل
تطيل عمر المحركات

هؤلاء يقولون عن المختار

تتصف مقالاته بصفتين مميزتين : تفسير الحاضر ، والتوجيه الى المستقبل . والافكار الحية الصادقة فيها صفة التطلع الى المستقبل واعداد الذهن واذكاء العزم لمواجهته

الدكتور حافظ عفيفي باشا

يسرني أن أرحب بالمختار على انه رسول من رسل الثقافة العربية ووسيلة من وسائل الألفة بين بني الانسان ومصباح من مصابيح النور التي تبدد الظلام من زوايا الكرة الارضية

الأستاذ عباس محمود العقاد

في المختار يجد كل قارئ مايجعله على صلة دائمة بأحدث الآراء والحقائق ، في أمور لها أعظم شأن في حياتنا الخاصة والعامة

الدكتور علي توفيق شوشه باشا

المختار — من الوسائل القوية لمعرفة الناس بعضهم بعضا ، ولفهم بعضهم عقلية بعض ، وهذه المعرفة وهذا الفهم يقيمان التضامن مقام التنابذ ، ويمهدان لطمأنينة السلام في العالم

الدكتور محمد حسين هيكل باشا

هنا افكار تحفز الى التفكير ، أو تحفز الى العمل ، وارشاد يساعد على اصلاح النفس ، ويدل على اسرار النجاح وسبله ، ومعلومات تنير الذهن فيطل على العالم

الأستاذ محمد علي علوبه باشا

المتعة والفائدة في مطالعة المختار

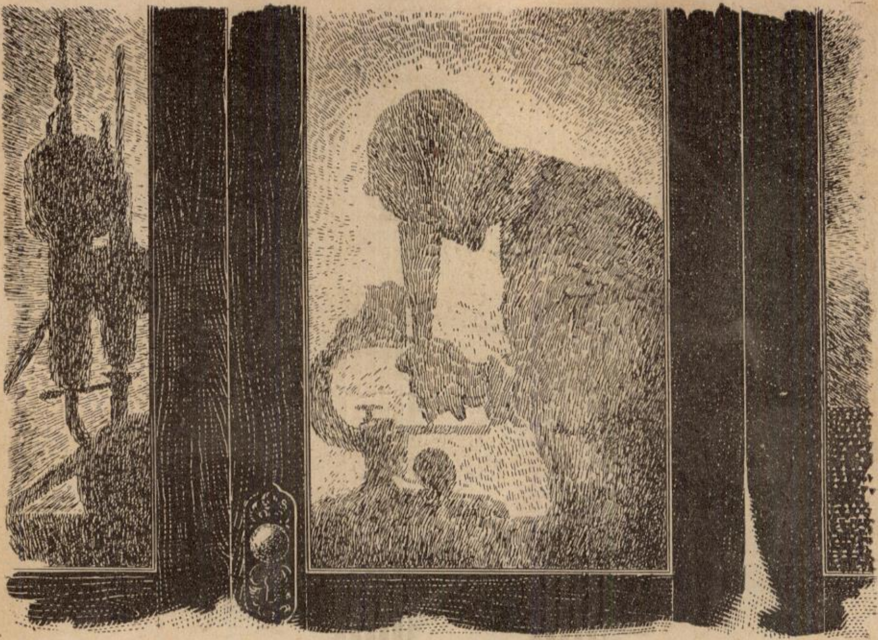

وراء هــذه الأبواب
يتأهب فيليبس ليوم أفضل

وراء أبواب كهذه الأبواب فى جميع الأمم الحرة ، تجد مئات من علماء فيليبس ومهندسيه ، يكشفون طرقاً جديدة ليجعلوا الكهربائية أنفع مما كانت للعالم أجمع . وهذه المكتشفات لاتباح الآن إلا للأمم المتحدة فى مجهودها الحربى . ولكنها ستحوّل جميعاً إلى أدوات جديدة أجدى على العيش حين يستتب السلام .

إن فيليبس لم يزل منذ خمسين سنة اسماً ذائعاً فى جميع البلاد . لأن فيليبس لم يزل مرادفاً لأفضل ما يجده الناس فى الإضاءة والراديو والتلفزيون والأشعة السينية وتطبيقات أخرى كثيرة خطيرة الشأن فى العلم الجديد ، العلم الكهيربى (الأليكترونى) .

وقد بدأت الآن خمسون سنة جديدة فى حياة فيليبس النافعة . وهذه السنون ستكون وقفاً أيضاً على النفع والخدمة للملايين ، عن طريق إضافات فيليبس الجديدة إلى الطب والعلم والصناعة والبيت .

PHILIPS

وقد وقفت شركة فيليبس جميع مواردها، فى طول العالم الحر وعرضه ، على تعجيل النصر .

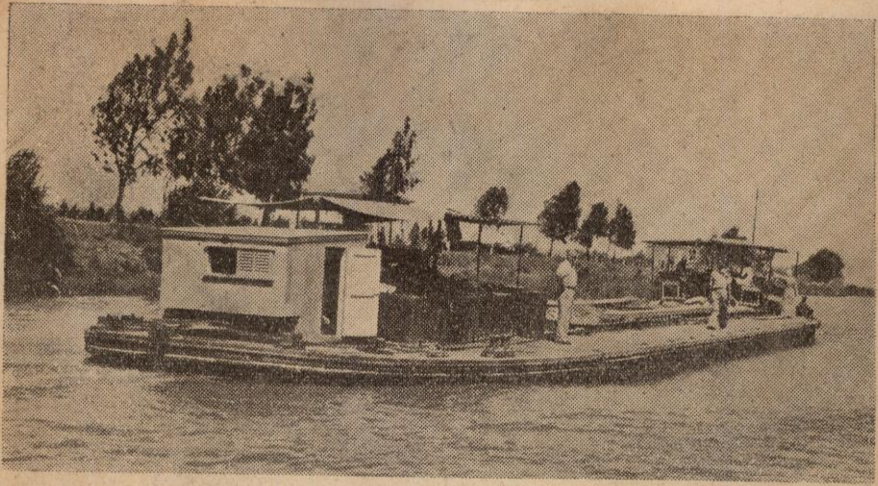

الشحن ينقل بالقوة المحركة الحديثة فى هذا الطريق المائى العريق

إنّ سفينة النقل « أخيليس » ، التى تعمل فى نهر النيل وفروعه فى دلتا مصر ، تنقل شحناً ترتقى زنته إلى ٣٠٠ طن ، بقوة ثابتة يُعتمد عليها يُولدها محرك كاتربيلار ديزل ذو المئة حصان .

وقد بلغ متوسط عمل هذا المحرك البسيط المتين عشر ساعات إلى خمس عشرة ساعة كل يوم — مئتى ساعة أو أكثر كل شهر — منذ أربع سنوات أو أكثر . ولا تقتصر مزيتـه على أنه يدور بزيت غير غالى الثمن وحسب ، بل هو أيضاً لا يستهلك منه إلا قدراً يسيراً كل ساعة ، حتى لتجد أن مزية الاقتصاد فيه ، لا تفوقها إلاّ مزية متانته والاعتماد عليـه زمناً طويلا . والمحرك يولد كل الطاقة اللازمة فى السفينة ، ومنها تحريك مضخات المطافىء والماء العكر .

إن محركات كاتربيلار ديزل أخذت تحل محل أصناف أخرى من الطاقة المحركة فى أنواع كثيرة من السفن . وهى صغيرة الحجم ، يسهل تركيبها ولا تحتاج إلى إدخال تعـديل عليها قبل الشروع فى العمـل ولا تقتضى عمالا دربوا خاصة — وتكاد لا تحتاج إلى رعاية أكثر من مواصلتها بالوقود والماء والمواد المزيتة .

وسيتاح قريباً ، كثير من محركات كاتربيلار ديزل، للنقل والزراعة والصناعة فى أرجاء العالم جميعاً . فحدث مورد كاتربيلار فى بلدك عن حاجتك .

CATERPILLAR ***DIESEL***

شركة جرارات كاتربيلار — بيوريا ، الينوى

مفصلة القيادة
ساق الجر
الساق الرابط
من
عصر الخيالة
الى
عجلة القيادة
التشحيم الصحيح يهيئ قيادة سهلة آمنة تضمن
السلامة فى الطريق
اعتمد على
الخدمة
شل
لتشحيم
فنى
العلمية
س. ت. ٩٤١

[تتمة مقالة الغلاف]

ولست أظن أنه من باب الاتفاق، أن نجد فريقاً كبيراً من الذين يركبون طائراتنا فى انتقالهم من بلد إلى بلد فى الشرق العربى، يحملون معهم هذا الرفيق الممتع المفيد — المختار. وكما استطعنا نحن بطائراتنا المريحة أن ننقل الناس فوق أرض النيل الخصبة، أوصحراء سينا، أو جبال فلسطين ولبنان وسوريا، فكذلك استطاع محررو هذه المجلة أن يجعلوا للكلام أجنحة تمكنه من أن يتخطى بسرعة وفى يسر الحواجزَ القائمة بين اللغات. وقد علمت أن «المختار» ينشر الآن بأربع لغات سوى اللغة العربية، فليس ثمة شك فى أن أمم السويد والبرتغال وجمهوريات أمريكا الجنوبية، الذين يقرأون نفس المقالات التى نقرؤها نحن كل شهر، هم أدنى إلينا فى الفكر والروح، مما كانوا، أو يستطيعون أن يكونوا، من قبل أن يتاح لنا جميعاً أن نتزاور هذا التزاور الفكرى كل شهر

ويخيل إلىّ أن المحررين، هم كمهندسى الطيران، ينظرون إلى آفاق المستقبل فيرون مايدور فى أحلامهم دانى التحقيق، ويضعون الخطط لتحقيقه. ولذلك أعتقد أنه سيجىء يوم، يصبح فيه أمراً مألوفاً أن تنشر مجلة دولية كالمختار بلغات كثيرة فى جميع أنحاء العالم فى وقت واحد. ولعل الأساليب المتبعة فى هذا العمل، كالأساليب المتبعة فى ارتقاء الطيران، تكون أمراً قد نَصَلت عنه روعته الأولى، ولكن العمل نفسه، بكل ماينطوى عليه من أسباب الفهم والتعاطف بين الناس، لن يكون، ولا يمكن أن يكون شيئاً لا روعة فيه، لأنه يتيح لحياة ملايين من الناس ولأفكارهم، منفذاً إلى تيار الأفكار العظم الذى يدور فى الأرض، ولا ينفكّ يدور.

الكلام المجنّح

الدكتور حسن صادق باشا

وزير الدفاع والمالية سابقاً

وعضو مجلس الإدارة المنتدب لشركة مصر للطيران

في أحد أيام الصيف الماضي، بعد رحلة جوية عادية بين مصر الجديدة وبورسعيد، قال لى أحد المسافرين: إن الطيران قد فقد كل ما كان له من فتنة. وكنا قد وصلنا إلى مطار بورسعيد فى الساعة الثانية والربع تماماً وفقاً لجدول الطيران، لم نتقدم دقيقة ولم نتأخر. وبعد أن لبثت الطائرة هناك ربع ساعة، غادرت المطار إلى اللدّ فى فلسطين، فكانت رحلتها عادية كأنها رحلة قطار.

ويبدو لى أن الطائرة لما تحولت من لعبة ميكانيكية جديدة شديدة الخطر، فصارت وسيلة من وسائل النقل يألفها الناس، فقدت معجزة الطيران الباهرة، عندئذ، سحرَها وروعتها. ولكن الطائرة كانت تضم فى تلك الرحلة ستة مسافرين سوى صديقى الذى ألف الطيران حتى صار لا يبهره. وكان بينهم طبيبان يقصدان فلسطين، وطالب يقصد بيروت، وسياسى ييمم شطر تركيا، وضابط يريد بغداد، ولست أذكر أين كان يريد المسافر السادس. فهؤلاء ستة أو سبعة من الناس يركبون متن طائرة من مصر الجديدة، فإذا هم يتفرقون بعد ساعات فى طول العالم العربى وعرضه، وكل منهم قد طوى برديه على خلائق نفسه، وعلى رأيه فى الناس ونظرته إلى شئون الدنيا. ويلوح لى أن روعة الطيران لتتجلى حقا فيما تتيحه من فرص تطّرد زيادتها لاتصال الناس بعضهم ببعض، على اختلاف أجناسهم، وتربيتهم، ولغاتهم، ونظراتهم إلى الحياة

(التتمة على الصفحة السابقة)